ق ٢٨٧ ٢٢ ط

المجلد الاول

من تفسير القاضي

٧٥

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIGI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 59/1

RAĞIP P.
Ka. Nu.
74

فهرست تفسير القاضي البيضاوي بيض الله وجهه

بسم الله الرحمن الرحيم ١	سورة الفاتحة ٢	سورة البقرة ٦	ربع من الجزء الاول ٤٤	نصف من الجزء الاول ٥٢
ثلثة ارباع من الجزء الاول ٥٩	الجزء الثاني ٦٦	ربع من الجزء الثاني ٧٢	نصف من الجزء الثاني ٨٠	ثلثة ارباع من الجزء الثاني ٨٧
الجزء الثالث ٩٣	ربع من الجزء الثالث ٩٩	سورة آل عمران ١٠٣	نصف من الجزء الثالث ١٠٦	ثلثة ارباع من الجزء الثالث ١١٢
الجزء الرابع ١١٧	ربع من الجزء الرابع ١٢٤	نصف من الجزء الرابع ١٣٠	ثلثة ارباع من الجزء الرابع ١٣٦	سورة النساء ١٣٢
الجزء الخامس ١٤٤	ربع من الجزء الخامس ١٥١	نصف من الجزء الخامس ١٥٧	ثلثة ارباع من الجزء الخامس ١٦٢	الجزء السادس ١٦٨
سورة المائدة ١٧٢	ربع من الجزء السادس ١٧٣	نصف من الجزء السادس ١٧٩	ثلثة ارباع من الجزء السادس ١٨٤	الجزء السابع ١٩٠
ربع من الجزء السابع ١٩٧	سورة الانعام ١٩٨	نصف من الجزء السابع ٢٠٢	ثلثة ارباع من الجزء السابع ٢٠٢	الجزء الثامن ٢١٣
ربع من الجزء الثامن ٢١٨	سورة الاعراف ٢٢٢	نصف من الجزء الثامن ٢٢٢	ثلثة ارباع من الجزء الثامن ٢٢٧	الجزء التاسع ٢٣٣
سورة الانفال وثلثة ارباع من الجزء التاسع ٢٤٦	الجزء العاشر ٢٥٣	سورة البراءة وربع من الجزء العاشر ٢٥٨	نصف من الجزء العاشر ٢٦٣	ثلثة ارباع من الجزء العاشر ٢٦٢

نصف من الجزء الثامن ٢٤٢
ربع من الجزء التاسع ٢٣٨

الجزء الحادي عشر	ربع من الجزء الحادي عشر	سورة يونس ٢٧٩	نصف من الجزء الحادي عشر	ثلثة ارباع من الجزء الحادي عشر
سورة هود ٢٩٣	الجزء الثاني عشر	ربع من الجزء الثاني عشر	نصف من الجزء الثاني عشر	سورة يوسف ٣١٢
ثلثة ارباع من الجزء الثاني عشر	الجزء الثالث عشر	ربع من الجزء الثالث عشر	سورة الرعد ٣٣٠	نصف من الجزء الثالث عشر
سورة ابراهيم ٣٣٨	ثلثة ارباع من الجزء الثالث عشر	سورة الحجر ٣٤٧	الجزء الرابع عشر	ربع من الجزء الرابع عشر
سورة النحل ٣٥٥	نصف من الجزء الرابع عشر	ثلثة ارباع من الجزء الرابع عشر	سورة بني اسرائيل ٣٧٢	الجزء الخامس عشر
ربع من الجزء الخامس عشر	نصف من الجزء الخامس عشر	سورة الكهف ٣٨٨	ثلثة ارباع من الجزء الخامس عشر	الجزء السادس عشر
سورة مريم ٤٠٣	ربع من الجزء السادس عشر ٤٠٦	سورة طه ونصف من الجزء السادس عشر ٤١٣	ثلثة ارباع من الجزء السادس عشر ٤٢١	سورة الانبياء ٤٢٧
الجزء السابع عشر	ربع من الجزء السابع عشر	نصف من الجزء السابع عشر	سورة الحج ٤٣٨	ثلثة ارباع من الجزء السابع عشر
الجزء الثامن عشر	سورة المؤمنون	ربع من الجزء الثامن عشر	سورة النور ٤٥٧	نصف من الجزء الثامن عشر
ثلثة ارباع من الجزء الثامن عشر	سورة الفرقان ٤٧٠	الجزء التاسع عشر	سورة الشعراء وربع من الجزء التاسع عشر ٤٨٠	نصف من الجزء التاسع عشر

سورة النمل وثلثة ارباع من الجزء التاسع عشر ٤٩١	الجزء العشرون	سورة القصص ٥٠١	ربع من الجزء العشرين	نصف من الجزء العشرين
سورة العنكبوت وثلثة ارباع من الجزء العشرين ٥١١	الجزء الحادي والعشرون ٥١٦	سورة الروم ٥١٩	ربع من الجزء الحادي والعشرين	سورة لقمان ٥٢٥
نصف من الجزء الحادي والعشرين	سورة السجدة ٥٢٩	ثلثة ارباع من الجزء الحادي والعشرين	سورة الاحزاب ٥٣٢	الجزء الثاني والعشرون
ربع من الجزء الثاني والعشرين	سورة السبأ ٥٤٣	نصف من الجزء الثاني والعشرين	سورة فاطر	ثلثة ارباع من الجزء الثاني والعشرين
سورة يس ٥٥٧	الجزء الثالث والعشرون	سورة الصافات ٥٦٥	ربع من الجزء الثالث والعشرين	نصف من الجزء الثالث والعشرين
سورة ص ٥٧٥	ثلثة ارباع من الجزء الثالث والعشرين	سورة الزمر ٥٨٤	الجزء الرابع والعشرون	سورة المؤمن وربع من الجزء الرابع والعشرين ٥٩٣
نصف من الجزء الرابع والعشرين	سورة فصلت وثلثة ارباع من الجزء الرابع والعشرين ٦٠٢	الجزء الخامس والعشرون	سورة الشورى ٦٠٧	ربع من الجزء الخامس والعشرين
سورة الزخرف ٦١٣	نصف من الجزء الخامس والعشرين	سورة الدخان ٦١٩	ثلثة ارباع من الجزء الخامس والعشرين	سورة الجاثية ٦٢٣
سورة الاحقاف ٦٢٦	الجزء السادس والعشرون	سورة محمد صلعم وربع من الجزء السادس والعشرين ٦٣٠	سورة الفتح ٦٣٤	نصف من الجزء السادس والعشرين
سورة الحجرات ٦٣٩	ثلثة ارباع من الجزء السادس والعشرين	سورة ق ٦٤٣	سورة الذاريات ٦٤٦	الجزء السابع والعشرون

سورة الطور ٦٥٠	سورة النجم ٦٥٣	ربع من الجزء السابع والعشرين	سورة القمر ٦٥٦	سورة الرحمن ٦٥٩
نصف من الجزء السابع والعشرين	سورة الواقعة ٦٦٢	ثلثة ارباع من الجزء السابع والعشرين	سورة الحديد ٦٦٥	سورة المجادلة ٦٦٩
الجزء الثامن والعشرون	سورة الحشر ٦٧٢	ربع من الجزء الثامن والعشرين	سورة الممتحنة ٦٧٦	سورة الصف ٦٧٨
نصف من الجزء الثامن والعشرين	سورة الجمعة ٦٧٩	سورة المنافقون ٦٨٠	سورة التغابن ٦٨١	ثلثة ارباع من الجزء الثامن والعشرين
سورة الطلاق ٦٨٣	سورة التحريم ٦٨٥	سورة الملك والجزء التاسع والعشرون ٦٨٦	سورة القلم ٦٨٩	سورة الحاقة ٦٩٢
ربع من الجزء التاسع والعشرين	سورة المعارج ٦٩٤	سورة نوح ٦٩٦	سورة الجن ونصف من الجزء التاسع والعشرين ٦٩٨	سورة المزمل ٧٠٠
سورة المدثر ٧٠٢	ثلثة ارباع من الجزء التاسع والعشرين	سورة القيامة ٧٠٥	سورة الدهر ٧٠٦	سورة المرسلات ٧٠٩
سورة النبأ والجزء الثلاثون ٧١١	سورة النازعات ٧١٣	سورة عبس ٧١٥	سورة التكوير ٧١٧	سورة الانفطار ٧١٨
سورة المطففين وربع من الجزء الثلاثين ٧١٨	سورة الانشقاق ٧٢٠	سورة البروج ٧٢١	سورة الطارق ٧٢٢	سورة الاعلى ٧٢٢
سورة الغاشية ونصف من الجزء الثلاثين ٧٢٣	سورة الفجر ٧٢٤	سورة البلد ٧٢٦	سورة الشمس ٧٢٧	سورة الليل ٧٢٧

سورة الضحى ٧٢٨	سورة الانشراح ٧٢٨	سورة التين ٧٢٩	سورة العلق ٧٣٠	سورة القدر ٧٣١
سورة البينة وثلثة ارباع من الجزء الثلثين ٧٣١	سورة الزلزال ٧٣١	سورة العاديات ٧٣٢	سورة القارعة ٧٣٢	سورة التكاثر ٧٣٢
سورة العصر ٧٣٣	سورة الهمزة ٧٣٣	سورة الفيل ٧٣٤	سورة القريش ٧٣٤	سورة الماعون ٧٣٤
سورة الكوثر ٧٣٥	سورة الكافرون ٧٣٥	سورة النصر ٧٣٦	سورة تبت ٧٣٦	سورة الاخلاص ٧٣٧
سورة الفلق ٧٣٧	سورة الناس ٧٣٨			

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
59/1

RAĞIP P.
Ka. Nu.
74

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ وكفى عبده

٧٥

تفسير القاضي

٧٥

T. C. Ragıp Paşa 1923

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا • فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا • وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا • ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا • فكشف حجاب الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا • وابرز غوامض الحقايق ولطايف الدقايق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا • ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا • فمن كان له قلب والقى السمع وهو شهيد • فهو في الدارين حميد وسعيد • ومن لم يرفع اليه رأسه واطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا • فيا واجب الوجود • ويا فائض الجود • ويا غاية كل مقصود • صل عليه صلوة توازي غناءه • وتجازي عناءه • وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا • وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها

فى بيان هذا المعنى بعد الوصد اشارة الى

الى ان ليدبروا مسند الى ضمير اولى الالباب على

التنازع واعمال الثانى ويحتمل ان يكون ضمير المخاطب

قوله

البصيرة كنسبة الشمس الى البصر ... الصفات

يمكن مشاهدته في ... الافعال والجنس ... يمكن

ولا يمكن ... الشمس في ... البصر ... الى

بل واسطتها فانه يحجب ... الناس ... للفضلاء

قوله

يتكفل القرآن المجيد بتكميل هذه القوة ...

فيها مقالات ... جميع ... وهو الاساس ... الحكم

قوله

ومنها القواعد ... الافعال ... الاحكام

عبارة من الخطاب المتعلق ... عطف ...

بالاقتضاء والتخيير والوضع ... الموضوعة لافادة ...

على ما هو الظاهر والمراد بها العلل ...

قوله

من نصوص الايات ... الاحكام ... الكتاب

وانه امما العلل القياسية ... الاحكام الوضعية

قوله

من نصوص ما صيغة ... الاحكام ...

ان ذكر تمهيد تلك المسائل ... الكلام

المقام لو كان في الكلام ...

من الكتاب ثم قال ... الاحكام على الجنس

القواعد التي يستفاد منها الاحكام ...

من الكتاب ولا يخفى انه ...

قوله

تضمين معنى استنبط ... فصحح اي اذا تم

شرفا ومنارا علم التفسير الذى هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد
الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه الا من برع فى العلوم
الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق فى الصناعات العربية والفنون
الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسى بان اصنف فى هذا الفن كتابا يحتوى
على صفوة ما بلغنى من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف
الصالحين وينطوى على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن
قبلى من افاضل المتأخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القرآءات المشهورة
المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين
الا ان قصور بضاعتى يثبطنى عن الاقدام ويمنعنى عن الانتصاب فى هذا
المقام حتى سنح لى بعد الاستخارة ما صمم به عزمى على الشروع فيما اردته
والاتيان لما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار
التأويل فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطى
كل سول

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدأه فكانها اصله ومنشأه
ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد
بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام
العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل
الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء
وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قرائتها او استحبابها فيها
والشافية والشفاء لقوله عليه الصلوة والسلام هى شفاء لكل داء والسبع المثانى
لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم
من عكس وتثنى فى الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة
وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثانى وهو مكى بالنص بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء

مكة والكوفة وفقهاؤها وابن المبارك والشافعي رحمهم الله تع وخالفهم
قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص
ابو حنيفة رحمه الله فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد
ابن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله. لنا احاديث كثيرة منها ما
روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلم قال فاتحة الكتب سبع
ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم. وقول ام سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله
صلعم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية. ومن اجلهما
اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين
كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن
عما ليس منه حتى لم يكتب امين. والبا متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله
اقرأ لان الذي يتلوه مقرو ولذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ
له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي
لزيادة اضمار فيه. وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في بسم الله مجراها
ومرسيها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم
واوفق للوجود. فان اسمه تع مقدم على القراءة. كيف وقد جعل الة لها من
حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تع لقوله عليه السلم
كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله تع فهو ابتر. وقيل البا للمصاحبة
والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده الى اخر السورة مقول على
السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه. ويحمد على نعمه. ويسال من فضله. وانما
كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما
كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء
والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذف اعجازها لكثرة الاستعمال
وبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من

دابهم ان يبتدأوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء
واسامى وسُمَىّ وسَمّيت ومجئ سُمىً كهُدى لغة فيه قال والله اسماك سُمًى مباركا
آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة
للمسمى وشعار له ومن السِمَة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت
منها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره
فى كلامهم ومن لغاته سِمٌ وسُمٌ قال باسم الذى فى كل سورة سُمُه والاسم ان اريد
به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف
الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به
ذات الشئ فهو المسمى لكن لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى
المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته عن النقايص يجب تنزيه
الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما فى قول
الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راى الشيخ
ابى الحسن الاشعرى انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو
غيره والى ما هو لا هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة
بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط
لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض
عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله
فى اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة
والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير
فى معرفته او من الهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح
تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العابد
يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد
مولعون بالتضرع اليه فى الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان

ولانه قلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل
الله كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون اوهة وقيل اصله لاه مصدر
لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار
ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح
يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به
لانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه
لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع
الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث انه لا يستعمل في غيره
وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع
الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار
امر اخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل
على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تع وهو الله في السموات والارض معنى
صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للاخر في
المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها
بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح
ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا
ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا
ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من
غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل
والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تع انما توخذ باعتبار
الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم
لان زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك
انما يوخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا

رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الاخرة لانه يختص بالمؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب وجميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلايل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلانة او فعلى الحاقا له بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره

الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال

افادتكم النعماء مني ثلثة ٭ يدي ولساني والضمير المحجبا

فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلوة والسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده والذم

نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب
وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده
وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها
والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كل احد ان الحمد ما هو او
للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط
او بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد
عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام
وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب
العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا
ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب
كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا
يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به
كالخاتم والقالب غلب على ما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض
فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمع ليشمل
ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمع بالياء والنون كسائر
اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله
لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم
من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها
الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم فلذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء
او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة
الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم
كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي

قوله قال تعالى وفي أنفسكم

[illegible]

قوله

[illegible]

قوله

[illegible]

قوله

[illegible]

ويعقوب ويعضده قوله تعـ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا الاية وقرا الباقون
ملك وهو المختار وهو قراءة اهل الحرمين لقوله تعـ لمن الملك اليوم ولما فيه
من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك
والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف
وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع
منونا او مضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب
ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى
العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول
به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور
يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او له الملك في هذا
اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة
للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص
بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعـ بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله تعـ من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها
وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة
على انه تعـ الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه
فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان
من لا يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون
دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد
والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه
ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى
يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما
وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين**

قوله ملك بلفظ الفعل ونصب اليوم وهي قراءة ... حينئذ يقدر ... معنى المالك والملك ... وقال الزجاج ...

قوله ... اجراه له مجرى المفعول به ... اي بعض ... المملوكة ... ان نصب ...

ذاته لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر
الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اى يا من هذا شانه نخصك
بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص والترقى من البرهان
الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فبنى اول الكلام على ما هو مبادى
حال العارف من الذكر والفكر والتامل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال
بصنايعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان
يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها
اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب
التفنن فى الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع
فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى
حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقوله تع الله الذى ارسل الرياح فتثير
سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلى ولم
ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العاير الارمد وذلك من نباء جاءنى
وخبرته عن ابى الاسود وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف
والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب
كالتاء فى انت والكاف فى ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه
عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد
عليه وقيل هى الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق
بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك
بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه
طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة ولذلك
لا يستعمل الا فى غاية الخضوع لله تع والاستعانة طلب المعونة وهى اما ضرورية
او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره

وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل

بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل

ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه

وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها

او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة

وحاضري صلاة الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف

عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا

شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر

ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم

في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات

ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها

نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله

اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ

نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه

ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على

ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على

المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي

وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول

لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر

عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا تتم

ولا تستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو في واياك للحال والمعنى

نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم

يكسرون حرف المضارعة سوى اليا اذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط**

المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا
اوافراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل
في الخير وقوله تع فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادي
الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل
معاملة اختار في قوله تع واختار موسى قومه وهداية الله تتنوع انواعا
لا يحصيها عد كما قال تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر في
اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه
كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل
الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه
النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث
الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تع وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف
عن قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام او المنامات
الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول
المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا
طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور
قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان
بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه
فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين
صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب
الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل و

بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفايدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من الذي لا خفا فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبيا وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفكر والفهم والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضا والكسبي تزكية النفس عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مقيدة او مبينة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة ~~ان المنعم عليهم هم الذين سلموا~~ من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد التاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد بها

معهود كالحلي في قوله ولقد امرّ على اللئيم يسبني وقولهم انى لامرّ على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضدّ واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسّر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله اريد به المنتهى والغاية على ما مرّ وعليهم في محل الرفع لانه نايب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين اقصاه وادناه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا الاية وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جدّ في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول الله صلعم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مدّ الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القران اتفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلوة والسلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام و يجهر به

في الجهرية لما روى عن وائل بن حجر انه عليه الصلوة والسلم كان اذا قرا
ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور
عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله
عليه الصلوة والسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملئكة
تقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملئكة غفر له ما تقدم من ذنبه
وعن ابي هريرة ان رسول الله قال لابي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية
والانجيل والقرآن مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب فانها
السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينما رسول الله
جالس اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان
ان النبي صلعم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا
صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع عنهم
بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون
بسم الله الرحمن الرحيم الم وساير الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها
الحروف التي تركب منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به
من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبذلك صرح الخليل
وابو علي وما روى عن ابن مسعود ان النبي صلعم قال من قرا حرفا من كتاب الله
فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف
وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه بالحرف عرف
مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها
حروفا وحدانا وهي اسام مركبة صدرت بها ليكون تاديتها بالمسمى اول
ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي
ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها

قابلة اياه معربة اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين
الساكنين ولم تعامل معاملة اين وهولاء وان سميتها لما كانت عنصر الكلام
وبسائطه التي يتركب منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم
كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا
عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسما الحروف
مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب
خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه
الاديب الاريب الفايق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر
اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا براسها في تسع
وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها
فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجها ويجمعها ستشحثك خصفه
نصفها الحا والها والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها
يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك
اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره
ومن المطبقة التي هي الصاد والطا والضاد والظا نصفها ومن البواقي
المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها
قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين اليا لانها اقل ثقلا ومن المستعلية
وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد
والطا والخا والغين والضاد والظا نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة
نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره
ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها
اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال و

والزاى فى صراط وزراط والفا فى جداف والعين فى لعن والثا فى ثروغ الدلو وا في باسماك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والضاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهى خمسة عشر الهمزة والها والعين والصاد والطا والميم واليا والخا والغين والضا والفا والظا والشين والزاى والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهى الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحا والقاف والكاف والرا والسين والنون واللام لما فى الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التى لا تدغم فيما قاربها ويدغم فيها ما يقاربها وهى الميم والراء والشين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التى يعتمد عليها بذلق اللسان وهى ستة يجمعها رب منفل والحلقية التى هى الحا والخا والعين والغين والها والهمزة كثيرة الوقوع فى الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوايد العشر التى يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التى اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى خمسة وذكر ثلث مفردات فى ثلث سور لانها توجد فى الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون فى الحرف بلا حذف كبل وفى الفعل بحذف كقل وفى الاسم بغير حذف كمن وبه كدم فى تسع سور لوقوعها فى كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففى الاسماء من واذ وذو وفى الافعال قل وبع وخف وفى الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها فى الاقسام الثلاثة فى ثلث عشر سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها

على ان لكل منها اصلا كجعفر وسفرجل وجحمرش ودولعلها فرقت
على السور ولم تعد باجمعها فى اول القران لهذه الفايدة مع ما فيه من اعادة
التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف
من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هى اسماء السور وعليه اطباق
الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم يكن وحيا
من الله تع لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم
تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجى مع العربى ولم
يكن القران باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدى به وان كانت مفهمة
فاما ان يراد بها السور التى هى مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثانى
باطل لانه اما ان يكون المراد بها ما وضعت له فى لغة العرب والظاهر انه
ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تع بلسان عربى
مبين فلا يحمل على ما ليس فى لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه
والدلالة على انقطاع كلام واستيناف كلام اخر كما قاله قطرب واشارة
الى كلمات هى منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر فى قوله قلت لها قفى
فقالت قاف لا تحسبى انا نسينا الايجاف كما روى عن ابن عباس رضه انه
قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها
الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك فى ساير الفواتح وعنه ان
الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اى القران منزل من الله بلسان
جبريل على محمد او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العاليه
متمسكا بما روى انه عليه الصلوة والسلم لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة
فحسبوه وقالوا كيف ندخل فى دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله
صلعم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندرى
بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم

دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين
الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكوة والسجيل والقسطاس او واردة
على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسايط اسما الله
ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسما السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب
لان التسمية بثلاثة اسما فصاعدا مستنكرة عندهم ويودى الى اتحاد
الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن
المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة
على الانقطاع والاستيناف تلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور
ولا يقتضى ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار
من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على
ان هذه الحروف منبع الاسما ومبادى الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا
ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني
دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات
والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها
وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشيا لا دليل عليها والتسمية
بثلثة اسما انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك
فاما اذا نثرت نثر اسما العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية
بالجملة والبيت من الشعر وطايفة من اسما حروف المعجم والمسمى هو مجموع
السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته وموخر
باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق
للطايف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام
من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل
انها اسما القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسما الله

ويدل عليه ان عليا كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفه وهي اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تع وقيل انها سر استاثره الله بعلمه وقد روى عن الخلفا الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله ورموز لم يقصد الله بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسما لله او السور او القران كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتدا او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب وغيره كما ذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تع وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتدا او الخبر كما مر وان جعلتها مقسما بها تكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وحم ويس اية وحم عسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للعقل فيه **ذلك الكتاب** ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف وفسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه

بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو والى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيها مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث المرفوع دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى للمتقين** يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل هو الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى انك لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به المنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة لانه لا يجلب نفعا

مالم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما
هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه
من المجمل والمتشابه فى كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه
بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه
فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه عما
يضره فى الاخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى
عن الشرك لقوله تع والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع
وهو المعنى بقوله تع ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه
عن ما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب
بقوله تع يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله تع هدى
للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون
الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره
وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد
المؤلف الكامل فى تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب
البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف
وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفة ولا ريب فى المشهور
مبنى لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة
عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفى قراءة ابى الشعثاء مرفوع
بلا التى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم فى قوله تعالى لا فيها
غول لانه لم يقصد تخصيص نفى الريب به من بين سائر الكتب كما قصد
ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما
فى لا ضير فلذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير

لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على
معنى انه الكتاب الكامل الذي يستأهل ان يسمى كتابا او صفته وما
بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر
اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت
على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك
الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله
بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه لانه
لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ رابعة
تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او تستتبع كل
واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على
اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج
منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب بطرفه
اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى
للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز
الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة
تاخير الظرف حذرا من ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف
بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين
باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين
يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له
ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مرتبة عليه ترتب التحلية على التخلية
والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية
لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة
والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية

المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلم الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح وتخصيص الايمان بالغيب واقامة الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يومنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء او مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فمنافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده ان الله تعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من اقتران

الاقرار به للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تع ذم المعاند اكثر من
ذم الجاهل المقصر وكلما نع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب
مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تع عالم الغيب والشهادة .
والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فعيل
خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل
وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تع وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر
واحواله وهو المراد به هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول
به وان جعلته حالا على تقدير متلبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء
والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين
آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما
روى ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان
بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم
لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني
للمصاحبة وعلى الثالث للآلة **ويقيمون الصلوة** اى يعدلون اركانها
ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون
عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت
غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق
الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون
لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد
وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها
على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول
اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق

بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرايض والسنن وحقوقها الباطنة
كالخشوع والاقبال بقلبه على الله تع لا المصلون الذين هم عن صلوتهم
ساهون ولذلك ذكر فى سياق المدح والمقيمين الصلوة وفى معرض الذم
فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا
بالواو على لفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص بها لاشتمالها على الدعاء وقيل
اصل صلى حرك الصلا لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجوده واشتهار
هذا اللفظ فى المعنى الثانى مع عدم اشتهاره فى الاول لا يقدح فى نقله عنه
وانما سمى الداعى مصليا تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد ومما
رزقناهم ينفقون الرزق فى اللغة الحظ قال الله تع وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشئ بالحيوان وتمكينه من الانتفاع
به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع
به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه اسند الرزق
ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام
لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تع بقوله
عز وجل قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالا وحراما
واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم
ما لم يحرم واختصاص مما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول
الرزق له بقوله عليه الصلوة والسلم فى حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله
طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله
وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تع
وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وانفق الشئ وانفده اخوان ولو
استقريت الالفاظ وجدت ما يوافقه فى الفاء والعين دالا على معنى
الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال فى سبيل الخير

فرضا كان او نفلا ومن فسّره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصّصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول به للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التى منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلم ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم فى جملة المتقين دخول اخصّين تحت اعمّ اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط فى قوله ٭ الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتيبة فى المزدحم ٭ وقوله ٭ يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب ٭ على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدّقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرّر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصّصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملئكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشئ من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك عن الله تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول عليه الصلوة والسلم فيلقيه على الرسول والمراد بما انزل

اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي
وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا
للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب حينئذ منزلا كله وما انزل من
قبلك ساير الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون
الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية
لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وتشويش المعاش وبالاخرة هم يوقنون
اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان
هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم
في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي
تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان
اعتقادهم في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان
العلم بنفي الشبهة والشك عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به
العلم القديم ولا العلوم الضرورية والاخرة تانيث الاخر صفة الدار
بدليل قوله تع تلك الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة
لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره
لحب المؤقدان الي مؤسي وجعدة اذ اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم
الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكانه
لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون
بالغيب الى اخر الايات والا فاستيناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام
والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات
اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان

قوله انفطر الجهل انه جعل المنزلة

انفطر مطوى الجهل كان استغناء

ركب مطوى الجهل فيه اتخذ الجهل بالطبيعة

بالكناية فانما كان مشبه الجهل بالطبيعة

قوله اعادة النكرة ... مع عدم

قوله لا يبالغ ... التعظيم

قوله فانا اسم ... الاوثان وهنا

قوله كاعادة الموصوف ... الصفات

قوله اثبات بانه ... الحصر

قوله ومعنى الاستعارة ... التمثيل

قوله وهو فصل ای ضمیر الفصل ویسمی عمادا له فواید فصل الخبر وتمییزه عن النعت فلذا سمی فصلا وهو اعلی لانه قد یتوسط بین غیرهما کما ذکره النحاة ویؤکد النسبة والحکم الخبری وقیل انه لتاکید المحکوم علیه لمطابقته له وضعف بانه لو کان کذلک لم یفد التخصیص کما لا یفیده زید نفسه اکرم الناس واد خال اللام علیه فی نحو ان زیدا لهو الظریف ربما دل علی انه من تتمة المحکوم به ویفید اختصاص المسند بالمسند الیه لا عکسه کما ذهب الیه شراح المفتاح وهذا مما اطلقوه وانبئوه بقوله تعالی کنت انت الرقیب علیهم وهو انما یتم اذا ثبت القصر فی مثل کان زید هو افضل من عمرو وما الخبر فیه نکرة والا فتعریف الخبر بلام الجنس یفید قصره علی المبتدأ وان لم یکن فصل کزید الامیر وتعریف المبتدأ بلام الجنس یفید قصره علی الخبر وان کان مع ضمیر الفصل نحو الکرم هو التقوی ای لا کرم الا التقوی وفی الفایق بالشعر بان مثله یفید قصر المبتدأ علی الخبر سواء عرف المبتدأ او الخبر او لا لانه صرح بان معنی فان الدهر هو الله ان جالب الحوادث هو الله لا غیر وفی المفتاح ما یخالفه وقال الفاضل المحقق التحقیق ان الفصل قد یکون للتخصیص بقصر المسند علی المسند الیه نحو زید هو افضل من عمرو سعد وزید هو یقاوم الاسد وفی الکشاف فی قوله تعالی ان الله هو یقبل التوبة هو للتخصیص والتوکید وقد یکون لمجرد التاکید اذا کان التخصیص حاصلا بدونه بان یکون فی الکلام ما یفید قصر المسند علی المسند الیه نحو ان الله هو الرزاق ای لا رازق الا هو وقصر المسند الیه علی المسند نحو الکرم هو التقوی والحسب هو المال ای لا کرم الا التقوی ولا حسب الا المال ولذا قیل ان کلامه یحتمل الامرین خطیب زاده قوله وفیه نظر ان یکون اشارة الی المدعی وهو الحق والا یتعارض کلاماه وان یکون اشارة الی الدلیل وهو فاسد وذهب بعضهم الی انه رابطة وحرف فلا یرد او مبتدأ جعله قسیما للفصل بناء علی ما اشتهر من ان ضمیر الفصل لا محل له من الاعراب قوله والمفلحون خبره قال علیه انه فیه جعل الشیء قسیما لنفسه لان من النحاة من ذهب الی ان ضمیر الفصل فی محل رفع علی الابتداء قلت المراد الاخیر لتطابق الوجوه فی افادة الطیبی فعلی هذا یکون الجملة من باب تقوی الحکم او من باب التخصیص علی نحو هو عارف ومثله یفید علیته مبدأ الاشتقاق ویفید الحصر قوله الحصر ولا حاجة لما ذکره لما تقدم من ان اولئک فی معنی الصفة المشتقة

[illegible]

ام عمرو فان اجیب بقام زید طابق سؤاله فی المعنی وان خالفه بفعلیته بنبی سراه بخلاف ما نحن فیه فان التقدیم فیه یوجب اختلاف المحکوم علیه فیفوت المطابقة المعنویة التی تجب رعایتها نحو زید اخوک واخوک زید هذا الخص بارتضاه قدس سره مخالفا فیه للفاضل المحقق وتبجح به فی غیر موضع من تالیفه وسلمه عامة الفضلاء الا من رمی ربقة التقلید عن جیده فکره کما حفید قال بعض الفضلاء انه مردود لمخالفته لکلام القوم فانهم صرحوا بان من لطلب التصور لا لطلب الحکم والتصدیق فتاویله لا یجدی فی خرق اجماعهم ولذا قیل ان من یسال به عن التشخص فی العلم وتعیینه فالمقصود بمن قام تعیین الفاعل مع تقرر الفعل بحیث لا شک فیه ولیس لطلب مطلق الحکم بالقیام فالمطابق فی الجواب ان یقال زید قام اذ المقصود تعیین الفاعل دون تقریر الفعل ام ذکره لمجرد اعتبار نحوی ولذا قالوا ان قوله تعالی ءانت فعلت هذا لو کان لتقریر الفعل کان الجواب فعلت او لم افعل والحاصل ان فی قام زید ابهاما للتردد السائل فی الفعل وتقریر المجیب ایاه وقد قال محققوا اهل المعانی ان الهمزة یلیها المسؤول عنه ذاتا او غیرها فیقال اضربت زیدا اذا کان الشک فی نفس الفعل وءانت ضربت ان کان فی الفاعل مع تقرر الفعل ولا شک ان خلق السموات مقرر لا مریة فیه والتردد انما هو فی تعیین الفاعل فلما کان من خلق السموات والارض جملة فعلیة معنی بل اسمیة لفظا ومعنی وکان ینبغی ان یکون من قام فی معنی اقام زید ام عمرو بل فی معنی ازید ام عمرو قام لما عرفته والنکتة فی ذکر الجملة الفعلیة فی جواب من خلق انه علی خلاف مقتضی الظاهر للتعریض بغباوة المخاطبین وانهم لا ینبغی لهم التردد فی الفاعل اصلا کما وقع فلو کان هنا تردد کان فی اصل الفعل من حاشیة مولانا الشهاب حرر بمصر المحروسة اسما المطالعة سنة ١١٦١

[illegible]

فان اسم الاشارة ههنا کاعادة الموصوف بصفاته المذکورة وهو ابلغ من ان یستانف باعادة الاسم وحده لما فیه من بیان المقتضی وتلخیصه فان ترتب الحکم علی الوصف یؤذن بانه الموجب ومعنی الاستعلاء فی علی هدی تمثیل تمکنهم من الهدی واستقرارهم علیه بحال من اعتلی الشیء ورکبه وقد صرحوا به فی قولهم امتطی الجهل وغوی واقتعد غارب الهوی وذلک انما یحصل باستفراغ الفکر وادامة النظر فیما نصب من الحجج والمواظبة علی محاسبة النفس فی العمل ونکر هدی للتعظیم وکانه ارید به ضرب لا یبلغ کنهه ولا یقادر قدره ونظیره قول الهذلی فلا وابی الطیر المربة بالضحی علی خالد لقد وقعت علی لحم واکد تعظیمه بان الله تعالی مانحه والموفق له وقد ادغمت النون فی الراء بغنة وبغیر غنة واولئک هم المفلحون کرر فیه اسم الاشارة تنبیها علی ان اتصافهم بتلک الصفات یقتضی کل واحدة من الاثرتین وان کلا منهما کاف فی تمیزهم بها عن غیرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتین ههنا بخلاف قوله اولئک کالانعام بل هم اضل اولئک هم الغافلون فان التسجیل بالغفلة والتشبیه بالبهائم شیء واحد فکانت الجملة الثانیة مقررة للاولی فلا یناسب العطف وهم فصل یفصل الخبر عن الصفة ویؤکد النسبة ویفید اختصاص المسند بالمسند الیه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئک والمفلح بالحاء والجیم الفائز بالمطلوب کانه الذی انفتحت له وجوه الظفر وهذا الترکیب وما یشارکه فی الفاء والعین نحو فلق وفلذ وفلی یدل علی الشق والفتح وتعریف المفلحون للدلالة علی ان المتقین هم الناس الذین بلغک انهم المفلحون فی الآخرة او الاشارة الی ما یعرفه کل احد من حقیقة المفلحین وخصوصیاتهم تنبیه تامل کیف نبه سبحانه علی اختصاص المتقین بنیل ما لا یناله کل احد من وجوه شتی بناء الکلام علی اسم الاشارة للتعلیل مع الایجاز وتکریره وتعریف الخبر وتوسیط الفصل

[illegible]

لانها رقدرهم والترغيب في اقتفا اثرهم وقد تشبث بر الوعيدية في خلود

الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في

الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح لرا

ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي

الهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى

ولا تغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف

في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى

سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهما

في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبنا على الفتح

ولزوم الاسما واعطا معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك

اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل

دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي

بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب

بان اقتضا الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال

بدخولها فتعين اعمال الحرف وفايدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى

بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسالونك عن

ذي القرنين الى قوله انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول

من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قايم جواب سايل عن قيامه

وان عبد الله لقايم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد

به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيره واحبار اليهود

او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما

اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل

للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة

قوله او بان يجعل

لما يصلح ان يكون مثبتا

مثبت لحصر الصدد ... انما كان

[illegible]

قوله عبد الحكيم

[illegible]

مجيئ الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول لا يجترئ عليها ظاهرا لا انها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه. واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم **سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم** خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تع تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم. والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تع واذا قيل لهم امنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل فيهما عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **لا يؤمنون** جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة

قوله خبر ان الخ وهو جار على الوجهين اما اذا كان مبتدا وخبرا فظاهر واما اذا كان ما بعده فاعله فكذلك لكن اجرى الاعراب على جزئه الاول كما في ان زيدا قائم ابوه لصلاحيته له بخلاف زيد يقوم وقائم فان الخبر الجملة لا الفعل وحده قوله اسم بمعنى الاستواء الخ اراد بالاسم اسم المصدر وهو المراد منه اذا قرن بالمصدر كما هنا وفي غيره يراد به الجامد او العلم واسم المصدر ما دل على ما معناه ولم يجر على ابنية المصادر كالكلام وللنحويين خلاف في اعماله عمل المصدر والاصح الجواز وقوله نعت به كما نعت بالمصادر اي المصادر القياسية والا فهو مصدر بحسب الاصل كما قاله الراغب ونعت به بمعنى وصف به والنعت والوصف بمعنى وقد فرق بينهما بعضهم فقال النعت لا يقال الا في غير الله تعالى كنعت الثوب والفرس والرجل ولا يقال لنعوت الله بخلاف الوصف والصفة وهما يكونان بمعنى التابع النحوي وبمعنى اثبات صفة لشيء مطلقا سواء كان تابعا او لا وهو المراد هنا لان ما نحن فيه كذلك قوله على تمام ما وضع له اي تمام ما وضع له هو الحدث والزمان والنسبة الى شيء ما وهو الفاعل واما نفس الفاعل فلا يدل عليه وضعا فما قيل تمام ما وضع لمجموع ثلاثة امور معنى المصدر وذات الفاعل وزمان مخصوص من الازمنة الثلاثة غفلة عما حقق في الرسالة الوضعية واطلاقه بمعنى استعماله وهو اعم من الوضع والمراد بمطلق الحدث الحدث المجرد عن الزمان لا الحدث الغير المنسوب الى فاعل فلا يرد عليه ما قيل من ان المراد في قوله تسمع بالمعيدي ومن قوله يوم ينفع ليس مطلق السمع والنفع بل سماعك ونفع الصدق وهو وهم ظاهر والاتساع كالتوسع المراد به التجوز وهو اعم منه لانه قد يتوسع في بعض الالفاظ بجواز تقديمه وتاخيره من غير تجوز وكون الفعل في الاضافة بمعنى المصدر صرح به النحاة وهو مراد المص قوله

قال قدس سره هذه القراءة والتي بعدها من الشواذ والباقية متواترة وانما جعل المحذوف همزة الاستفهام لكثرة حذفها دون حذف همزة الافعال في الماضي والظاهر ان الضمير في قوله حركته راجع الى حرف الاستفهام المحذوف فالقراءة بفتح الميم والهمزة معا وهي مع كونها غير مروية عن احد مخالفة للقياس موجبة للنقل فلذا قيل الضمير راجع الى الحرف الذي بعد الاستفهام فالقراءة عليهم تنذرتهم بلا همزة اصلا ويشهد له قوله قد فلح انتهى وفي شرح الشاطبية ان الهمزة في الكهمزة بعد ميم الجمع وجوه منها النقل وقد قرئ انذرتهم ونحوه بنقل الاولى وتسهيل الثانية فلك ان تحمل هذه العبارة على ظاهرها من غير ارتكاب تعسف او شذوذ غايته انهم تركوا الفصيح بالتسهيل وهو سهل فتدبر من حاشية مولانا الشهاب ملخصا لبعض التلخيص

او بدا عنه او حيران والحكمة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به
من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون
وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم
لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز
عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع
للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره
تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع
الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم
يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص
باعيانهم فهو من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل
في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء
كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان
يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح
الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر
الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه
فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة
في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كأنها غطي
عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية
او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع
بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين

طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال فى قوله ولا تطع من
اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء فى قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من
حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تع واقعة بقدرته اسندت اليه
ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تع بل طبع الله عليها بكفرهم
وقوله تع فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم
ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل
الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صار
كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقى المجبول عليه الثانى ان المراد به تمثيل
حال قلوبهم بقلوب البهائم التى خلقها الله تع خالية عن الفطن او قلوب
مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء
اذا طالت غيبته والثالث ان ذلك فى الحقيقة فعل الشيطان او الكافر
لكن لما كان صدوره عنه باقداره تع اياهم اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب
الرابع ان اعراقهم لما رسخت فى الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى
تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على ترامى امرهم فى الغى
وتناهى انهماكهم فى الضلال والبغى والخامس ان يكون حكاية لما كانت
الكفرة يقولون مثل قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن
بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تع لم يكن الذين كفروا من
اهل الكتاب الاية السادس ان ذلك فى الاخرة وانما اخبر عنه بالماضى
لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تع ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة
فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف
الى الله تع من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تع

وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف عليه

ولانهما لما اشتركا فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص

فعليهما الختم الذى يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص

المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار

ليكون ادل على شدة الختم فى الموضعين واستقلال كل واحد منهما بالحكم

ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر فى اصله و

لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو

ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا

ولعل المراد بهما فى الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما

هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تع ان فى ذلك لذكرى

لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية

لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور

عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير

وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليها

والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما

لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة

بالعين غير معجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال

بناء ومعنى تقول اعذب عن الشئ ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه

يقمع العطش ويردعه ولذلك سمى نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل ألم فادح

وان لم يكن نكالا اى عقابا يردع الجانى عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل

اشتقاقه من التعذيب الذى هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم

نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق

الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه وحقر بالاضا

قوله ... وانما قال ذلك
ومعنى التنكير للنوعية ... تنبيها على انكارهم
ان التنكير للنوعية ... دون العرض ... التعظيم ... تنكيره
نعم انها في ... ابلغ ... اي التنكير للتعظيم
قوله ... التنكير ... التعظيم ... للتقسيم

الذي اسبوقة ... على جملة ...
بالعطف جملة على جملة ...
بل من عطف جملة مسوقة لغرض على جملة ... الى ان ... بينهما
اخر الثناء ... الغرض ... تعظيم في
انه قد كان العطف احسن ...
العطف ... قوله الناس اصله اناس ...
الكشاف ... اشتقاقه ...
بدليل ... في اصله ...
وقال الكسائي في اصله ...
يجيء ... مصغره ... انيس
اصله اناس ...
والجواب ان ما حذف منه ... في التصغير ...
... الاضعف ... الغالب
... بين ذلك

قوله لانه ... عبد الله بن عباس ...
قال ابن عباس ...
انسانا ...
... الانسان ...

قوله اتخاذا اي لا يعلمهم ...
فانا امنا بالله وباليوم الاخر ...
والعادة ...
وكيفما طرفيه ...

قوله والباري ... الكفر ... النفاق ...
الاخلاص ... الكفر والعناد ...
الكفر ... في الجملة ...
... الصلاة والسلام ...

قوله لا الايمان ...
... الاخلاص ... اصل الايمان ...

اليه ومعنى التنكير فى الاية ان على ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس
وهو التعامى عن الايات ولهم من الالام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله تعـ
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر لما افتتح سبحانه وتعـ بشرح حال
الكتاب وساق لبيانه ذكر المومنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطات فيه
قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا
لفته رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم
الى الله تعـ لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول فى
بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم
وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار
وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم
انسان وانس واناسى فحذفت الهمزة حذفها فى لوقة وعوض عنها حرف التعريف
ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ
وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال فى ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون
بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم
واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد وكانه قال ومن الناس ناس يقولون
وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابى واصحابه
ونظراؤهم فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا فى عداد الكفار المختوم
على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا
الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادة تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا يكون
الاية تقسيما للقسم الثانى واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص
لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه
واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه

فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله
واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة
لا يدخلها غيرهم وان النار لم تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين
انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم فى كفرهم لان
ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم
لم يكن ايمانا كيف وقد قالوا تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفى تكرير الباء ادعاء الايمان
بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى
المقول وللمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ وللراى والمذهب مجازا والمراد
باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار لانه اخر الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوا ونفى ما انتحلوا
اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشان الفعل دون
الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة فى التكذيب لان اخراج ذواتهم عن عداد
المؤمنين ابلغ فى نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك اكد النفى بالباء
واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان فى شىء ويحتمل ان يقيد بما
قيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد
لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه
لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية فى الثانى فلا ينهض حجة عليهم يخادعون
الله والذين امنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما
هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى فى جحره وضب خادع وخدع اذا
اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب اخر واصله الاخفا ومنه المخدع للخزانة
والاخدعان لعرقين خفيين فى العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم
مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته
بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله

من حيث انه خليفته كما قال تع من يطع الرسول فقد اطاع الله تع ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وأما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان
الكفر وصنع الله تع معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين
امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان
ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة
فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ اذا جاء مقابلة معارض
ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرا يخدعون وكان غرضهم في
ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم
ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا
على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد
وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو والمعنى ان دائرة
الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها
بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة
من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور
الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون
ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات
الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه
وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللراي في قولهم فلان يوامر
نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا
ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم وما يشعرون لا يحسون بذلك
لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور

كالمحسوس الذي لا يخفى الا على ما وف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر
الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب
الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل
وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة من نيل الفضائل
او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت
متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول
واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في امره واشادة ذكره ونفوسهم
ما وفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة الرسول ونحوها فزاد الله ذلك
بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة
الى الله من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله تع فزادتهم رجسا
لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين
شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملئكة وقذف الرعب في قلوبهم
وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسول الله صلعم نصرة على الاعداء وتبسطا في
البلاد ولهم عذاب اليم اي مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف
العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده
بما كانوا يكذبون قراءة عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله
جزاء له وهو قوله آمنا وقرا الباقون يكذبون من كذب لانهم كانوا يكذبون الرسول
بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير
مثل بين الشئ وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ليننظر ما وراه
فان المنافق متردد متحير والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ما هو به وهو
حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان
ابرهيم عليه السلم كذب بثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذ

فى صورتر سمى به واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض عطف على يكذبون او يقول
وما روى عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين
كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها
بالضمير الذى فيها والفساد خروج الشئ عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما
يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم فى الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة
المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدى الى فساد
ما فى الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين
فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم
والقايل هو الله تع او الرسول او بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا
ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا تصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا
ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر ما
دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم
تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال الله تع افمن
زين له سوء عمله فرآه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه
ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفى التوكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها
فانه يقصد به زيادة تمكن الحكم فى ذهن السامع لوروده عليه بعد السؤال والطلب
فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا دخلت على النفى افادت تحقيقا ونظيره اليس
اى لكونها لتحقيق ما بعدها
ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم
معطوف على الا — معطوف على استيناف
واختها اما التى هى من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط
فى افادة التنبيه على تحقق ما بعدها وكونهما مركبة من الهمزة وحرف النفى — عطف على استيناف
الفصل لرد ما فى قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك
بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع
امرين الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغى
وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس فى حيز النصب على المصدر وما مصدرية
او كافة مثلها فى ربما واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية

قوله من تمام النصح والارشاد فيه اشارة الى ان قائل هذا القول هو قائل ما قبله وكونه نصحا يظهر منه ان القائل المؤمنون
لا الله تعالى والرسول عليه السلام كما لا يخفى قوله لا تفسدوا اشارة الى التخلية بالخاء المعجمة ولذا قدم وامنوا اشارة الى التحلية وليس هذا
مبنيا على ان الاعمال داخلة فى كمال الايمان او فى حقيقته كما قيل لان اعتبار ترك الفساد لدلالته على التكذيب المنافى للايمان
واتحاد القائلين رد لما فى بعض التفاسير من ان القائل بعض المنافقين لبعض لانه المناسب لقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا فان قلت اذا كان القائل المؤمنين والمجيب المنافقين يلزم ان يكونوا متظاهرين للكفر اذا لقوا المؤمنين لان الامر بالايمان
لا يتصور بدون الملاقات وقوله بعده واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا مقتض لخلافه فما وجه التوفيق ح وهذا هو الداعى لجعل القائل
بعض المنافقين لبعض قلت هذا قد استشكله واجاب عنه كثير من الفضلاء بانه وان كان الامر بالايمان بعض المؤمنين كان لكن
قولهم انؤمن لم يقولوا فيما بينهم لا فى وجوه المؤمنين والا كان مجاهرة وبه وفق بين الآيتين وانما يتعذر هذا لو قيل واذا قال لهم
المؤمنون آمنوا كما آمن الناس قال المنافقون انؤمن كما اشار اليه الفاضل التفتازانى فى شرحه وقيل عليه ان التعذر
ممنوع وانما يلزم لو قيد قول المنافقين بكونه فى مواجهة المؤمنين وليس كذلك واذا الشرطية ظرفية تفيد تخصيص القول
الا فى هذا الوقت والاشكال متوجه والذى عندى انه لا يرد راسا فان المؤمنين امروهم بالايمان المطابق للايمان الخالص
الناس والامر كالنهى ينصب على القيد فكانهم قالوا اخلصوا الايمان وفيه اعتراف باصل ايمانهم وهو مطابق لقوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا فاجابوهم وجاهدوا وشافهوا بقولهم انؤمن اى نحن مؤمنون متصفون بصفات وسمات للايمان لا يخالفها الا

العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال
(كانه نفي عنهم الحواس والمقصود نفي للحواس المستجمعة لخواصها)
زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله ؎ اذ الناس ناس والزمان زمان ٭ او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد **قالوا انؤمن كما آمن السفهاء** الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون
(اي الناس مندرجون في السفهاء على زعم المنافقين لانهم اعرق الناس في السفه عندهم وهذا ابلغ في نفيهم)
فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد قلوبهم ورايهم او لتحقير شانهم
(اي لانه يكون ذلك اصلا)
فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله **الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم **واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا** بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة
(بفتح الميم والضمير او بضم الميم والتاء)
(رواه الواحدي بغير تسند)
مساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه
(النفر بالتحريك لجماعة رجال من ثلثة الى عشرة)
استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار والباذل نفسه وماله لرسول الله صلعم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي

الفارق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلعم ثم اخذ بيد
علي فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا النبي فنزلت
واللقا المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته
اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت
بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك
ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين
معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم
المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون
صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن
الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زايدة على انه من شاط اذا بطل ومن
اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة
الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية الموكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى
احداث الايمان وقصدوا بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه
لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع
رواج ادعا الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف
ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء
المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر
او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما
بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية
والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة
من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ
به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر

او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان
الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا
فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى
فى الطغيان واما فى الاخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون
نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تع فاليوم الذين امنوا
من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تع تولى مجازاتهم
ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به فى مقابلة ما
يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء
يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال
اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين **ويمدهم فى طغيانهم يعمهون**
من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا اصلحتهما
بالزيت والسماد لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة
ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله
الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق
التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين
انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله
اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل
اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغى
وقال واخوانهم يمدونهم فى الغى او اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم
كى يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل
بنفسه كما فى قوله تع واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم
مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز
الحد فى العصيان والغلو فى الكفر واصله تجاوز الشئ عن مكانه قال الله تعالى

قوله فيقال لهم ... والسخرية كما يكون بالكلام يكون بالفعل وهذا مأخوذ
من حديث اخرجه ابن ابى الدنيا فى كتاب الصمت عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب
من الجنة فيقال هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه
فما زال كذلك ان الرجل يفتح له باب فيقال هلم هلم فما ياتيه وقوله وذلك قوله تع اى هو معنى هذه الاية
والتعبير بالفينة مضاف مقدر ... حاشية الشهاب

انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال
رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال ؎ اعمى الهدى بالجاهلين العمه
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به
واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين
ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي
العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بايع ولذلك عدت
الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان
من المعاني او الاعيان ومنه ؎ اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه
فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي قد
جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا
اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح
للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه بما يشاكله تمثيلا لخسارهم
ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة
طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده
الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من
حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود
منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم
كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل
استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق
ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل مثلهم كمثل
الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح
والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا

والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء
والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مِثل ومَثل ومثيل كشِبه وشَبه وشبيه
ثم للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا بما فيه غرابة ولذلك
حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها
غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى
والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في
قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز
ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل
الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل
هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع
وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء
ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق
التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء
الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقدوا
والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع
لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
فلما اضاءت ما حوله اي النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن
ان تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير
النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله
ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم
جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم
ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل
يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من

جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف
كما في قوله تع فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس كواسناد الاذهاب الى الله
اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي وامر سماوي كريح او
مطر او للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى
الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وامسكه
وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى
اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء
من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا الا ترى كيف
قرر ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم
النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا
يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى
صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله تع وتركهم في ظلمات وقول الشاعر هو عنترة
فتركته جزر السباع ينشنه • والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل
كذا اى ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة
النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او
ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطرح المتروك
وكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه و
لم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنه الاية الاولى
ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم
من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة
على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له احوال
الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة

او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدما وسلامة الاموال والاولاد

ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب

اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب

نورها **صم بكم عمي** لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا

به السنتهم ويتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم

وانتفت قواهم ~ صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ~ وان ذكرت بسوء عندهم

اذنوا ~ اصم عن الشيء الذي لا اريده ~ واسمع خلق الله حين اريد ~ واطلاقها

عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له

بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير بن ابي سلمى

لدى اسد شاكي السلاح مقذف ~ له لبد اظفاره لم تقلم ~ ومن ثم ترى المفلقين

السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ~ ويصعد حتى يظن

الجهول ~ بان له حاجة في السما ~ وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه

في حكم المنطوق به ونظيره ~ اسد علي وفي الحروب نعامة ~ فتخاء تنفر من صفير

الصافر ~ هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته

وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقته والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب

الله بنورهم وتركهم في ظلمة هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم

وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم

اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة

سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا

تجويف فيه فيشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم

البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فهم لا يرجعون**

لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها

او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا

قوله أو مثل لإيمانهم الخ هذا هو الوجه الثاني وهو محصل الوجوه المذكورة في الكشاف وهو معطوف على قوله
مثل ضربه الله أو وهو على هذا مخصوص بالمنافقين وهذا الوجه أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه وهو التفسير
المأثور فلذا اقتصر عليه في الكشاف والاختصاص المذكور هو الفارق بين هذا الوجه وما قبله لأن التشبيه فيما قبله
مركب وفي هذا مفرد كما قيل لأنه مركب عنده كما مر وإن كان هذا محتملاً وإعادة اللام في قوله ولذهاب لتوهمه
وكأنه الداعي لهم على ما قالوه فعلى هذا مثل إيمان المنافقين الذين أظهروه لاحتناء ثمراته المذكورة بنار ساطعة الأنوار
وذهاب أثره بإهلاكهم وتفضيحهم بإطفاء النار وفقد تلك الأنوار وحقن الدماء صيانتها ويقابله إهدارها وإذهابها
فإن قيل المنافقون من أهل المدينة ودماؤهم كانت محقونة وأموالهم وأولادهم سالمين لكونهم من أهل الذمة قيل
المراد المحقون ولسلامته مآلاً أيضاً كما إذا ذهبوا إلى دار الحرب فاستولى عليه المسلمون فظاهره أنه لم يحقن دمهم حالاً ولا
في المدينة وليس كذلك لأنهم في حال إظهارهم للإسلام في أوطانهم كفرة باطناً فلولا ما ظهر من إسلامهم استحقوا
القتل بالمدينة لأنه ردة كما لا يخفى فلا حاجة لما ذكر من التكلف ولا إلى غيره كأنه يقال إن مجموع ما ذكر حصل لهم بذلك
فلا ينافي كون بعضه قبله لأن ما ذكرناه هو المراد وقوله بالنار متعلق بقوله مثل ولذهاب معطوف على قوله
لإيمانهم وبإهلاكهم أي بسببه متعلق بذهاب عطف على قوله بالنار بالواو العاطفة لشيئين وهو متعلق بمثل مقدر
هذا هو تحقيق المقام مما يضمحل معه كثير من الأوهام قوله وانطفت قواهم القوى بالضم جمع قوة كغرفة وغرف وهي
في الأصل ضد الضعف وهي معنى تقتدر بها الأفعال الشاقة من الحيوان وهذا المعنى له مبدأ ولازم فمبدأه القدرة
وهي كونه بحيث إن شاء فعل وإن شاء ترك واللازم الإمكان ثم نقلت في اصطلاح الحكماء إلى كيفية راسخة هي مبدأ
التغير من آخر في آخر وقسموها إلى أنواع منها القوى النفسانية وهي محركة ومدركة والمدركة مدركة في الظاهر وهي الحواس
الخمس الظاهرة ومدركة في الباطن كالحس المشترك وهي أيضاً خمس ويدخل في المحركة القوة الناطقة التي هي مبدأ
التكلم ولهذا زاد المصنف ما ذكر على ما في الكشاف لأنه قال كأنما إيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها
الإحساس والإدراك لأن ما ذكره المصنف رحمه الله شامل للقوة الناطقة بخلاف ما في الكشاف لخروجه عن الحواس والمشاعر
فإن قلت كيف يقال إنهم أبوا أن ينطقوا بالحق وقد كانوا ينطقون به وإن لم يواطئ قلوبهم كالنطق في قوله تعالى
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ولذا عدوا منافقين قلت قد قيل النطق لا ينافي الإباء لأنه يجامع الإكراه
اضطراراً فيصح سلب الانطاق مع النطق والأحسن أن يجعل قوله بكم بياناً لأن تكلمهم بالحق في حكم العدم فهم محقون
بمن لا يقدر على النطق رأساً والحق أن الحق ثم كل حق فهم ساكتون عن أكثره فلا حاجة لتسميتهم أنما نطقوا وه
الشهاب قوله إذ من شرطها الخ لما ذكر أن الصمم ونحوه لم يرد بهما الحقيقة لسلامة مشاعرهم وقواهم وأنه على طريقة
التمثيل أي التشبيه لا الاستعارة بين ما نعها وهو فقد شرطها من ذكر طي المستعار له أي المشبه بحيث يمكن حمله على المستعار منه
والمشبه به لولا قيام القرينة وفي الكشاف أنه مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة لأن المستعار له
مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه
والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام انتهى ولتحصل أنه إذا ذكر الطرفان حقيقة أو حكماً ففيه ثلاثة مذاهب لأهل البيان
والمحققون على أنه تشبيه بليغ وذهب بعضهم إلى أنه استعارة وآخرون إلى جواز الأمرين ووصفه بالبلاغة لما فيه من حمل المشبه به
على المشبه حتى كأنه هو في الأكثر وعدل المصنف رحمه الله عما في الكشاف من قوله لولا القرينة الحالية أو المقالية صلح لإرادة المنقول
عنه والمنقول إليه إلى أنه لولا القرينة أمكن الحمل على المستعار منه فقط إشارة إلى ما أورده الشراح عليه من أنه إذا عدمت القرينة
لا يصلح اللفظ للمعنى المجازي وأجيب بأنه صالح له في نفسه مع قطع النظر عنه فلا معنى لاشتراط عدم ما في هذه الصلاحية ثم إنه
قدس سره قال بعد ما ذكر الظاهر أن خلو الكلام المشتمل على ذكر اللفظ المستعار عن ذكر المستعار له مصحح لصلوح المستعار
لأن يراد به معناه المجازي إذ لو اشتمل على ذكره أيضاً تعين المعنى الحقيقي فلا يكون صالحاً للمعنى المجازي وإن عدم قرينة المجاز
مصحح لأن يراد به معناه الأصلي إذ مع وجودها يتعين المعنى المجازي فلا يكون صالحاً للمعنى الحقيقي فالخلو المذكور شرط لصلوح
إرادة المعنى المنقول إليه وعدم تلك القرينة شرط لصلوح إرادة المعنى المنقول عنه فالمجموع متعلق بالصلاحية للمعنيين على التوزيع

[illegible]

[illegible]

[illegible]

منه كيف يرجعون والفا للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم **او كصيب من السماء** عطف على الذى استوقد اى كمثل ذوى صيب لقوله يجعلون اصابعهم فى اذانهم واو فى الاصل للتساوى فى الشك ثم اتسع بها فاطلقت للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوى فى حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تع او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين وانهما سواء فى صحة التشبيه بهما وانت مخير فى التمثيل بهما او بايتهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ وا دان صادق الوعد صيب وفى الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من شديد وتعريف السما للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ بافاق السما كلها فان كل افق منها يسمى سما كما ان كل طبقة منها سما قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما فى الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبنا والتنكير وقيل المراد بالسما السحاب فاللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق** ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما فى اعلاه ومنحدره متلبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهوران سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشى بريقا وكلاهما مصدر فى الاصل ولذلك لم يجمعا **يجعلون اصابعهم فى اذانهم** الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان فى قوله رضى الله عنه ٭ يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل ٭ حيث ذكر الضمير لان المعنى ما بردى والجملة

استيناف وكانه لما ذكر ما يوذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك

فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة **من الصواعق** متعلق

يجعلون اى من اجلها كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد

هايل معها نار لا تمر بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت

وقد يطلق على كل هايل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة

اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب

من الصواعق لاستواء كلا البنائين فى التصرف فيقال صقع الديك وخطيب

مصقع وصقعته الصاقعة وهى فى الاصل اما صفة لقصفة الرعد

والتاء للمبالغة كما فى الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة **حذر الموت**

نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحياة وقيل عرض

يضادها كقوله خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام

مقدرة **والله محيط بالكافرين** لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط

لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها **يكاد البرق يخطف**

ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق

وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه

لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجاء الشرط فهو خبر

محض ولذلك جاءت منصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون

فعلا مضارعا تنبيها على ان المقصود بالقرب من غير ان لتوكد القرب بالدلالة

على الحال وقد يدخل عليه حملا على عسى كما يحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما

فى معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف

على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت فى الطاء ويخطف بكسر الخاء

لالتقاء الساكنين واتباع الياء ويتخطف **كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا**

اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون فى تارتى خفوق البرق

قوله وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول الخ تبع فيه ابن الحاجب ومن حذا حذوه وتحقيقه ان الجملة الاولى ههنا لا تخلو من احتمال ان تكون سببا وعلة فالثانية مسبب ومعلول او لازما وملزوما وبالعكس الا ان الذي ذكره اهل العربية انها لامتناع الثاني لامتناع الاول فهي لنفيهما مع تعليل الثاني بالاول وقيل انها دال معناها كانها وضعت لتعليق وجود مقدر بوجود مقدر للاول في الماضي فيفيد انتفاءهما مع سببية انتفاء الاول لانتفاء الثاني الواقع من غير استدلال وقال ابن هشام انها تدل على عقد السببية والمسببية في الماضي وامتناع السبب ثم لامتناع الجواب لامتناع الشرط على الاصح لا للعكس ولا انها لا تدل على امتناع اصلا كما ذهب اليه الشلوبين وليست لامتناع الشرط خاصة من غير دلالة على ثبوت الجواب وانتفائه ثم انه تارة يعقل بين الجزئين ارتباط مناسب كالسببية وتارة لا يعقل ذلك والاول اما مع انحصار سببية الثاني في سببية الاول عقلا او شرعا نحو ولو شئنا لرفعناه بها ولو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا فيلزم من امتناع الاول فيه امتناع الثاني او لم ينحصر فيه نحو لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجودا ولو نام انتقض وضوءه لم يلزم من امتناعه امتناعه وتارة يجوز العقل فيه الانحصار وعدمه نحو لو زرتني اكرمتك فلا يدل عقلا على انتفاء الثاني وان دل عليه في استعمال العرف وذهب ابن الحاجب ومن تبعه الى انها تدل على امتناع الشرط لامتناع الجواب وخطاء الجمهور وقال ان انتفاء السبب لا يدل على انتفاء المسبب لجواز ان يكون له اسباب اخر كما يشهد له قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فانها لنفي تعدد الالهة لامتناع الفساد لا لامتناع الالهة لانه خلاف ما يفهم منه ومن نظائره اذ لا يلزم من انتفاء تعدد الالهة انتفاء الفساد بمعنى اختلال نظام العالم لجواز وقوعه من اله واحد لمقتض له وقال بعض المحققين دليله باطل ومدعاه حق لان الشرط النحوي اعم من ان يكون سببا نحو لو كانت الشمس طالعة كان العالم مضيئا او شرطا نحو لو كان لي مال لحججت او غيرهما واما الثاني فلان الشرط ملزوم والجزاء لازم وانتفاء اللازم يوجب انتفاء الملزوم دون العكس فوضعها ليكون جزاؤها معدوم المضمون فيمتنع مضمون الشرط الملزوم لامتناع لازمه وهو الجزاء فهي لامتناع الاول لامتناع الثاني فيدل انتفاء الجزاء على انتفاء الشرط ولهذا قالوا في القياس البرهاني ان رفع التالي يوجب رفع المقدم دون العكس كما ارتضاه الفحول وقال المحقق التفتازاني في شرح التلخيص نحن نقول ليس معنى قولهم لولا لامتناع الثاني لامتناع الاول انه يستدل بامتناعه على امتناعه حتى يرد ان انتفاء السبب والملزوم لا يدل على انتفاء المسبب واللازم بل ان انتفاء الثاني في الخارج انما هو بسبب انتفاء الاول فهي تستعمل للدلالة على ان علة انتفاء مضمون الجزاء في الخارج هي انتفاء مضمون الشرط من غير التفات الى ان علة العلم بانتفاء الجزاء ما هي وارباب المعقول جعلوا ادوات الشرط كلها دالة على لزوم الجزاء للشرط من غير قصد الى القطع بانتفائهما فصح عندهم استثناء عين المقدم نحو لو كانت الشمس طالعة فالنهار موجود لكن الشمس طالعة فيستعملونها للدلالة على ان العلم بانتفاء الثاني علة للعلم بانتفاء الاول ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم من غير التفات الى ان علة انتفاء الجزاء في الخارج ما هي لاستعماله لبيان اكتساب العلوم والتصديقات ولا شك ان العلم بانتفاء الملزوم لا يوجب العلم بانتفاء اللازم بل العكس ولما تصفحنا وجدنا استعمالها على قاعدة اللغة اكثر لكنها قد تستعمل على قاعدتهم كما في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فاعتراض ابن الحاجب غلط صريح وقال قدس سره انه يفهم منه ان المعنى الثاني انما يحسب الاوضاع الاصطلاحية لارباب المعقول والا انه وارده على اوضاعهم وهو بعيد جدا فالحق انه من المعاني المعتبرة لغة الواردة في استعمالاتهم عرفا فانهم قد يقصدون الاستدلال ويسمى المذهب الكلامي عندهم الا انه اقل استعمالا من المعنى الاول كالمعنى الثاني المذكور في نحو نعم العبد صهيب وقد قيل في توجيهه انه اراد بقوله قد تستعمل على قاعدتهم ان العرب قد تستعملها منطبقا على قاعدتهم لا جريا عليها بل تجوزا لعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي وهذا محصل ما قالوه باسرهم ردا وقبولا

قوله ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول فان وقوع الجملتين جوابا للسؤال عن صنيعهم حال الخفوق كما في والخفت يستدعي اسناد اظلم اي ضمير البرق كما ان اضاء مسند اليه رعاية للمناسبة فاندفع احتمال ان يكون اظلم مسندا الى عليهم على ان الاظلام لا يتعدى بعلى وعلى صيغة النقادير معنى اظلام البرق عليهم خفيته فهو مجاز باعتبار السببية عبد

للمستدل وانا تكون الالف لغوا هنا فلعلها لا احتمال له وتعلقه باعتبار الغير والنفع نظرا الى الام وعلى ليس بشيء لانه مخصوص بفعل الدعاء كدعا له ودعا عليه الا ترى قولهم صلى عليه واوقد له نار الحرب واشعل له لا يحصى والضر والنفع ههنا مفهوم من المفعول من غير احتياج التضمين اصلا والذا قيل انه تمويه مستانس به لا دليل فتامل لعصام الشهاب

اعلم ان الشيئية على نوعين شيئية ثبوتية وهي ثبوت المعلومات في علم الله تعالى متميزا بعضها عن بعض وهو على اقسام احدها ما يجب وجوده في العين كذات الواجب سبحانه وثانيها ما يمكن بروزه من العلم الى العين وهو الممكنات وثالثها ما لا يمكن وهو الممتنعات وتتعلق الارادة والقدرة بالقسم الثاني دون الاول والثالث ومن ههنا يقال مقدورات الله تعالى اقل من معلوماته لشمول العلم للممتنعات مع تناهي المقدورات وانقطاعها ولا يخفى ان ما وجد من معلومات الله ومقدوراته فهي متناهية وما لم يوجد منها فلا نهاية لها فلا يقال ان احدهما اكثر من الاخر اذ لا ينتهي الى حد لا يوجد فوقه آخر ولا يلزم من القول بتعلق القدرة على كل الممكنات وجوب وجود جميعها لان تعلقها غير كاف في الوجود بل يجب تعلق الارادة حتى يوجد الممكن بالقدرة فيكون تعلق الارادة هو المخصص لبعض الممكنات بالحدوث في بعض الاوقات وهذا مبني على ان تعلق القدرة بالجميع على معنى ان تعلق القدرة بالشيء تاثيرها فيه وفق الارادة فلا ينتهي قدرته عند المراد وان كان تعلقها بالممكنات متناهية بالفعل على معنى ان القادر من يصح منه ايجاد الفعل وتركه اذ على هذا يكون المقدور ما يصح من القادر ايجاده وتركه وانما لم تتعلق القدرة والارادة بالقسم الاول والثالث لانهما لما كانتا صفتين مؤثرتين ومن لازم الاثر ان يكون موجودا بعد عدم لزم ان ما لا يقبل العدم اصلا كالواجب لا يقبل ايضا ان يكون اثرا لهما والا لزم تحصيل الحاصل وما لا يقبل الوجود اصلا كالمستحيل لا يقبل ايضا ان يكون اثرا لهما والا لزم قلب الحقائق برجوع المستحيل عين الجائز فلا قصور فيهما كما لا نقص بعدم تعلق الرؤية بالمعدوم والسمع بالالوان بل لو تعلقتا بذلك لزم القصور في ترك اعدام نفسهما بل في اعدام الذات العلية واثبات الالوهية لمن لا يقبلها من الحوادث ثم الممتنع اما ممتنع الكون لنفسه في علم الله كاجتماع الضدين وكون الشيء الواحد في ان واحد في مكانين ونحو ذلك واما ممتنع الكون لا باعتبار ذاته بل باعتبار تعلق العلم بانه لا يوجد او غير ذلك كوجود عالم آخر وراء هذا العالم او خلفه فما كان من القسم الاول فهو لا محالة غير مقدور من غير خلاف وما كان من القسم الثاني فنقول فيه ان الممكن من حيث هو ممكن لا ينبو عن تعلق القدرة به والقدرة من حيث هي قدرة لا تستحيل تعلقها بما هو في ذاته ممكن اذا قطع النظر عن غيره ولا معنى لكونه مقدورا غير هذا واطلاق اسم المقدور عليه بالنظر الى الوقف والى الوضع باعتبار هذا المعنى غير مستبعد وان كان وجوده ممتنعا باعتبار غيره والنوع الثاني شيئية وجودية وهي وجودها خارج العلم والموجودات الخارجية من حيث تعلق القدرة باخراجها من العلم الى العين لا يتعلق بها قدرة اخرى لاستحالة تحصيل الحاصل فان تعلق قدرة وارادة بها فباعتبار اعدامها وايجادها بعد الاعدام في كل آن على القول بالخلق الجديد مع الانفاس كما هو مذهب المحققين من الصوفية ثم الشيء والثابت والموجود الفاظ مترادفة فلا يطلق على المعدوم ولو ممكنا خلافا للمعتزلة فان الثبوت اعم من الموجود والمعدوم الممكن كان ما سيوجد بخلاف المستحيل كاجتماع الضدين والمتخيل كجبل من ياقوت فالمعدوم الممكن شيء عندهم دون المستحيل من تعليقات في البقاء

وخفيته فاجيب بذلك واضآء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور
لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره وكذلك اظلم فانه
جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراة اظلم على البنا للمفعول وقول
ابى تمام ۞ هما اظلما حالى ثمت اجليا ۔ ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ۞ فانه
وان كان من المحدثين لكنه من علما العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله
بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على
المشى وكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا
وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض
البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه فى شاء
واراد حتى لا يكاد يذكر الا فى الشئ المستغرب كقوله ۞ فلو شئت ان ابكى دما
لبكيته ۔ ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء
الثانى ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرى لاذهب باسماعهم
بزيادة البا كقوله تع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفايدة هذه الشرطية ابداء
المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان
تاثير الاسباب فى مسبباتها مشروط بمشية الله تع وان وجودها مرتبطا
باسبابها واقع بقدرته تع وقوله ان الله على كل شئ قدير كالتصريح به والتقرير
له والشئ يختص بالموجود لانه فى الاصل مصدر شا اطلق بمعنى شاء تارة و
حينئذ يتناول البارى تع كما قال قل اى شئ اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشئ اخرى
اى مشئ وجوده فهو موجود فى الجملة وعليه قوله تع ان الله على كل شئ قدير
الله خالق كل شئ فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشئ ما يصح
ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا
لزمهم التخصيص بالممكن فى الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد

[illegible]

الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل و
الله تع عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان شاء
لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارئ
واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او
على مقدار ما تقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث
حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله تع
لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة
وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى
صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تع مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها
الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار
في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من
الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من
اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق
ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها
كقوله تع وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وقول امرئ القيس ❊ كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب
والحشف البالي ❊ بان يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهار
الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال
والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك
عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب
السرمدي باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب
الصيب وايمانهم المخالط للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق
من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد

[illegible]

قوله والقدرة هو التمكن الخ وفي المواقف القدرة صفة تؤثر وفق الارادة وقيل هي مبدا اقرب للافعال المختلفة وهذا
قيل يقتضي انها ليست نفس التمكن بل مبدؤه ومقتضيه وبينهما مخالفة والذي قاله المتكلمون انها صفة ثابتة له تعالى
والتمكن امر اعتباري لا وجود له في الخارج فهو معنا بالغير وذلك اصطلاحي وقيل ان كلام المص اشارة الى ان فيها خلافا
هل هي صفة ذاتية او اضافية وقيل ان قوله هي التمكن يقرب من مذهب المعتزلة ويشعر بان القدرة ليست صفة حقيقية
والتفسير الثاني مذهب الاشاعرة وان كان يشعر بانها من الصفات السلبية والتحقيق ما قرره ابن الامام من ان الصفات
ثلاثة اقسام صفات حقيقية عارية عن الاضافات كالسواد والبياض وصفات حقيقية يلزمها اضافات مخصوصة
كالعلم والقدرة لان العلم صفة حقيقية يلزمها اضافة مخصوصة الى المعلوم وكذا القدرة صفة حقيقية لها تعلق بالمقدور
وذلك التعلق اضافة مخصوصة بين القدرة والمقدور واضافات ونسب محضة لكون الشيء قبل غيره وبعده ومعه فتدبر
بالمبدأ ونحوه نظرا الى حقيقتها ومن فسرها بغيره رسمها بلوازمها خلا ان العقل في التحقيق ثم انه قيل عليه انه لا اختلال التمكن
من اعدامه بعد وجوده ولا التمكن من ابقاء الممكن هو معتبر الا ان يقال التمكن من الايجاد يستلزم التمكن منهما استلزاما
ظاهرا فلذا اقتصر عليه مع شرفه فعلم ضعف ما قيل من ان المقدور ان اريد به ما تعلقت به القدرة لا يكون الا موجودا وان اريد
ما يصلح لان تتعلق به يكون معدوما وهو المعنى بقولهم انه تعالى قادر على جميع المقدورات وان مقدوراته غير متناهية بمعنى
انها صفة قديمة قائمة بالقادر قبل الايجاد لمقدوراته وبعد الايجاد والبقاء فتدبر قوله وقيل صفة تقتضي التمكن الخ

[illegible]

قوله دليل على ان الحادث الخ اي في قوله ان الله على كل شيء قدير لان الحادث والممكن شيء بالاتفاق وكل شيء مقدور
وصورة الدليل كما قيل الحادث حال حدوثه شيء وكل شيء مقدور له تعالى فالممكن حال وجوده مقدور بوجود الاول
وبقاء الثاني بقدرته تعالى وهذا رد على من زعم ان الحادث يحتاج الى الفاعل القادر حال حدوثه دون بقائه والالزم
تحصيل الحاصل او ايجاد الموجود وهو محال وتاثير القدرة هو الايجاد واجابوا عنه بان المحال ايجاد الموجود بوجود سابق وهو
غير لازم بل ايجاده بوجود هو اثر ذلك الايجاد مع ان هذا مبني على ان تاثير القدرة الايجاد فقط وليس كذلك لجواز
ان يكون الاعدام بعد الوجود فالاحسن ان معنى انه مقدور ان الفاعل ان شاء اعدمه وان لم يشأ لم يعدمه كما مر
قوله وان مقدور العبد مقدور الله المراد بمقدوره الفعل الصادر عنه باختياره وقدرته الكاسبة له مقدور
لله تعالى اي يتعلق به قدرة الله المؤثرة في ايجاده وهو مذهب الاشعري ولا يلزمه تعلق قدرتين بمقدور واحد
لان المؤثر قدرة الله فقط والمحذور توارد مؤثرين متباينين ولا يلزمه الجبر ايضا لا يقال التاثير معتبر في القدرة لما
مر من تعريفها بانها صفة تؤثر وفق الارادة لانا نقول الاشعري قسم القدرة الى المؤثرة والكاسبة وما ذكرتم تعريف القسم
الاول لا لمطلق القدرة ومن هنا يتبين ان معنى الكسب الذي يثبته الاشعري هو تعلق القدرة والارادة الذي هو سبب
عادي لتقدير الله تعالى وخلقه في العبد وافعال العباد دائرة بحسب الاحتمال العقلي بين امور الاول ان يكون حصولها
بقدرة الله تعالى وارادته من غير مدخل لقدرة العبد والثاني ان يكون حصولها بقدرة العبد وارادته من غير مدخل لقدرة
الله وارادته فيه اي بلا واسطة او لا بكر عاقل ان الاقدار والتمكين مستندان الى الله تعالى اما ابتداء او بواسطة والثالث

[illegible]

نفعه ضررا ونفعا فهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم

من الكفرة يجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد

من قدر الله شيأ ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم

بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع

خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطا يسيرة ثم اذا اخفا وفتر لمعانه بقوا

متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وساير ما اوتي الانسان

من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض وما

ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة

بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة

بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه

فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم عنها وهو معنى قول الله تع والله محيط

محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم

بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم مشوا فيه وتحيرهم وتوقفهم في الامر

حين يعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تع

ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تع جعل لهم السمع والابصار

ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها

عن الفوايد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير

يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف

امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما

بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف

وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته

كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه

او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه

نايب مناب الفعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه
متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجرى
عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت
بينهما ها التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اى من المضاف اليه وانما كثر
النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله
به عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم
عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها
المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد
بما يفيد العموم لقوله تعالى فسجد الملئكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها
شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما
تواتر من دينه عليه الصلوة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين
ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روى عن علقمة والحسن ان
كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه
فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك
بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو
الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع
فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب
الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه
ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب
للعبادة هي التربية الذى خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل
التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب
الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
واصل التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم

قوله وإلا أمرهم بالعبادة أي عطف على قوله تخصيصه أي لا يوجب أمر الكفار حال كفرهم باداء العبادة فانه باطل والذا لم يجب عليهم القضاء بعد الاسلام بل هم مأمورون بما يتوقف عليه من الايمان وباداءها بعده والمنفي هنا امرهم بذلك ابتداء والمثبت في قوله فالمطلوب الى غيره فلا تنافي بينهما كما توهم وحاصله ان طلب الفعل من المكلف لا ينافي صحته منه بلا تقديم شرط كالمحدث المطلوب منه الصلاة وبهذا اشارة الى ما فصل في الاصول في تكليف الكفار بالفروع وعدمه وفي التحرير ليس محل النزاع مبنيا على ان حصول الشرط الشرعي ليس شرطا للتكليف المستلزم عدم جواز التكليف بالصلاة حال الحدث بل ابتداء في جواز التكليف بما شرط في صحته الايمان حال عدمه ثم شايخ سمرقند على انه شرط لصحة تخصيصه فيه لا العموم كونه شرطا بل لانه اعظم العبادات ورأس الطاعات فلا يجعل شرطا تابعا في التكليف لما هو دونه ومن سواهم متفقون على تكليفهم وانما اختلفوا في انه في حق الاداء والاعتقاد او في الاعتقاد فقط فالعراقيون والشافعية ذهبوا الى الاول فكلهم عندهم يعاقبون على تركهما والبخاريون الى الثاني ولم ينص ابو حنيفة واصحابه على شيء فيها لكن في كلام محمد ما يدل عليه وهو ظاهر قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ونحوه وأما خطابهم بالعقوبات والمعاملات فمتفق عليه **قوله** فالمطلوب من الكفار اي اشارة الى ان غيرهم امر موضوع للامر بالعبادة مطلقا فهو عامل فيهما شامل لا لاتحاد اصلها والزيادة والثبات شمول رجل لافراده وليس موضوعا لاصلها حتى يلزم من تناوله لغيره الجمع بين الحقيقة والمجاز ولا موضوعا لكل منهما استقلالا حتى يلزم استعمال المشترك في معانيه ويتكلف دفعه بما لا وجه له وقول المصرح مشترك لم يرد به الاشتراك المقابل للتشكيك والتواطي بل معناه اللغوي وهو صدقه عليها منفردا او غير منفرد فاعبدوا يدل على طلب في المجال لعبادة مستقلة وتلك العبادة من الكفار ابتداء عبادة ومن بعض المؤمنين زيادة ومن اخرين مواظبة وليس الابتداء والزيادة والمواظبة داخلا في مفهومه وضعا فلا يحذ ورفيه والى هذا اشار المص فالامر بالعبادة امر بقدر مشترك بين ما ذكر ولذا قال الفقهاء الشيء الممتد لبقائه حكم ابتدائه حتى لو حلف لا يلبس هذا الثوب وهو لابسه ثم استمر حنث **قوله** بعد الاتيان بما يجب تقديمه اي هذا مبني على ان المراد بالعبادة على الجوارح فلا يدخل فيها الاعتقاد والمعرفة وقد قيل عليه ان الظاهر ادخال اعمال القلب في العبادة لا اقصى الخضوع وهو لا يتحقق بدون معرفة المعبود وقوله الاقرار بالصانع اي لان العبادة لا يعتد بها الا بعد الاقرار **قوله** هو مشترك بين بدء العبادة اي اشارة الى اخر الكشاف من السؤال والجواب من انه لا يصح توجيه الخطاب الى الفرق الثلاث ولا الى الكفار فقط لما روي عن علقمة لان المتادر من العبادة اعمال الجوارح الظاهرة ولا يؤمر بها المؤمنون العابدون لما فيه من تحصيل الحاصل ولا من الكفار لامتناع العبادة منهم بسبب فقد شرطها وهو الايمان فيلزم التكليف بالمحال والجواب ان المطلوب من المؤمنين ليس ايقاع اصل العبادة في المستقبل بل ازديادها وثباتها وليس ذلك حاصلا فلا اشكال وان المطلوب من الكفار اصل العبادة على انهم امروا ان يأتوا بها بعد تحصيل شرطها فان الامر بالشيء امر بما لا يتم الا به كانه قيل لهم حصلوا شرطها ثم افعلوها ولا استحالة في هذا بل في الامر بايقاعها مع انتفاء شرطها

[illegible]

وجعله حالا من فاعل اعبدوا اشار اليه براجح لانه انشاء ومثله لا يقع حالا الا بتأويل قيد تعالى ... امر فان قلنا انه اعم من الوجوب فلا اشكال وان قلنا الاصل فيه الوجوب فيقتضي وجوب الرجاء المقيد به العبادة المأمور بها وليس بواجب فقد يمنع ويقال انه يقتضي وجوب المقيد دون قيده وفيه كلام في الاصول ولهذا جعل باختياره المص مرجوحا **قوله** في صورة من يرجى منه اي اشارة الى ان في الاستعارة فلا وجه لمن جعله والدواعي جمع داعية او داع لانه لما لا يعقل والانسان اذا اعتقد ان له في الفعل او الترك مصلحة راجحة حصل في قلبه ميل جازم اليه فهذا الاعتقاد سواء كان عن علم او ظن هو المسمى بالداعية مجازا من قولهم دعاه اي طلبه فكان علمه بمصلحة طلب منه الفعل وقد يسمى الداعي بالغرض ومجموع القدرة والداعية يسمى علة تامة كما ذكره الاصوليون **قوله** وفسرت هنا بالزواجر والمرغبات وعلى هذا الوجه الترجي مستعار للارادة ... على الغائبين كما ذكر جواب عن سؤال بعوانه كما خاطب المخاطبين لعلهم تتقون خلق من قبلهم ولكن لم ... وللغلبة على المراد ذكرهم جميعا ولو لم يغلب قبلهم فاجيب بانه لم يقتصر عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى قيل لعلكم واياهم كلها من الذهاب على وجه التخصيص والانتخاب

٢٦

قوله على معنى انه خلقكم ومن قبلكم اورد كلمة من المختصة بالعقلاء اشارة الى انه على تقدير جعله حالا من مجموع المعطوفين يجب ان يراد بقوله والذين من قبلكم العقلاء لا ما يتناول المتقدم بالذات والزمان كيلا يتخلل الاعم له في خطاب تتقون عبد فالاشكال الذي اورده الفاضل الجلبي من انه قد حمل الذين من قبلكم على المعنى الاعم ثم قال بتغليب المخاطبين على الغائبين فيلزم ان يدخل الاعم له في خطاب تتقون ليس بشيء عبد الحكيم

قوله يعني صار مبني على ما نقل عن سيبويه ان الافعال الناقصة لا تنحصر في عدد وانما جعلهما وجها واحدا لاشتراكهما في انه لا يتم معناهما الا بجزئين وعدم التعدد في البيت بحملها اي صادفت النوق الشائلة قريب المرتع من اكوارها اي رحالها جمع كور بالضم وهو الرحل بادواته او شرعت فان يكون مرتعها قريبا من اكوارها عبد الحكيم

قوله والتصيير قد يكون بالفعل وهو التصيير الحقيقي واما القولي والاعتقادي نحو قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فمجازي كالوجود اللفظي ولذا جمعهما وجعلهما عديلا للفعلي فالتصيير باعتبار انها لما كانت قابلة لما عداه فكانت نقلت منه واما ما قيل انه باعتبار تنزيل ما يقتضيه طبع الماء منزلة الموجود فلا يصح في قوله وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة عبد الحكيم

[illegible]

متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال تع ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كما اقحم جرير في قوله ❊ يا تيم تيم عدي لا ابا لكم ❊ تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال عن الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تع نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري عن كل شيء سوى الله تع الى الله تع وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال الله تع يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تع والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجرة قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله ❊ وقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب ❊ وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تع وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله تع جعل لكم الارض فراشا و

لعلكم تتقون المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشايع في الاستعمال لان معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الاية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا بين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب من الوقوع واما الى التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها ويتنزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية وقد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل واما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة اي خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان يكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد حالهم بما ذكر من الحال والعلة لتكميل علية المأمور به وتأكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب فايثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام المذكور بين انه والثبات عليه او تحقيقه كما هو شأن ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما براهم مستعدين للتقوى جامعين لمباديها الافاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الاية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الايات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقال ❊ من تفسير ابي السعود رحمه الله

يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل
بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة
بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيئة لان يقعدوا وينا موا عليها
كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم
حجمها واتساع جرمها لا يأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة
عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل
جمع سماءة والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على
امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى
ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها ومادة لها كالنطفة
للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة
منهما او ابدع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما
انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما
ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشائها مدرجا من حال الى حال
صنايع وحكم يجدد فيها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته وليس
ذلك فى ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان
ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدى من السماء الى السحاب ومنه الى الارض
على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق
الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله
تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعنى ماء ورزقا كانه قال
وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل
كل الرزق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت

قوله جعل من الافعال العامة اى قال الراغب جعل لفظ عام فى الافعال كلها لانه اعم من فعل وصنع وسائر
اخواتها وله خمسة اوجه فيكون بمعنى طفق فلا يتعدى وبمعنى اوجد فيتعدى لواحد والايجاد شىء عن شىء وتكوينه عنه و
تصيير شىء على حالة دون حالة والحكم بالشىء على شىء حقا او باطلا كما قال السيرافى انها تكون بمعنيين صنع وعمل فيتعدى
لواحد وصير فيتعدى لاثنين لا يجوز الاقتصار على احدهما وهذه كصيرت على ثلثة اوجه الاول بمعنى سميت نحو جعلوا
الملائكة اناثا كما تقول صيرت زيدا فاسقا اى بالقول الثانى على معنى الظن والتخييل نحو اجعل الامير غاصبا وكله
اى صيره فى نفسك كذا الثالث ان تكون بمعنى النقل نحو جعلت الطين خزفا اى نقلته من حالة الى اخرى وقد
لا تكون مدخول مصاحبة نحو صار زيد الى عمرو وانتهى ونحو طفق يطفق كجلس وضرب ويقال طبق بالباء ايضا
افعال المقاربة النواسخ تدخل على المبتدأ والخبر فترفع وتنصب ومعناها الشروع فى الفعل والتلبس به والتكلم
ومنصوبها لفظا او محلا خبرها محلا اقال المص تبعا للراغب لا يتعدى وهى فى الاية بمعنى صير قوله وقد جعلت
قلوص بنى سهيل اه استشهد به المص تبعا للنحاة فى ان جعل بمعنى طفق من افعال المقاربة فترفع الاسم وتنصب
الخبر واسمها هنا قلوص المرفوع الان خبرها وقعت جملة اسمية منصوبة محلا وهو معنى قوله لا يتعدى كالكلمة انفا
بكذا فى المغنى وفى التسهيل والاصل فى خبرها ان يكون مضارعا لكنه جاء شذوذا على خلافه كما هنا وذهب التبريزى
فى شرح الحماسة الى ان جعل بمعنى طفق لا يتعدى بها حقيقة وقوله من تقربها قرب فى موضع الحال اى اقبلت قلوص
هذا الرجل قريبة المرتع من رحالهم لما بهام الاعياد فجعلها لازمة فيقول المص لا يتعدى يجوز العادة على
ظاهره والقلوص الفتية من الابل اول ما يركب الاكوار جمع كور بالضم وهو الرحل باداته ومن تقربها من عادتها
وقربها لاعيائها لا لكثرة الخصب كما توهم قوله وخروج الثمار اى خروج الاشياء بكونها وبروزها وقوله
بقدرة الله ومشيته اشارة الى المختار عند الاشاعرة من ان القدرة والارادة مجموعهما اللذان يقتضيان وجود
الموجودات من غير احتياج الى صفة التكوين التى اثبتها الماتريدية وقوله جعل الماء اه جواب عن سؤال مقدر
وهو ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته وارادته بانه سبب عادى بخلقه الله تعالى ويعنى به ان
عروق الاشجار والنبات التى هى بمنزلة الارحام والافواه لها تجتذب من رطوبة الارضية ماء مخلوطا باجزاء
دقيقة لطيفة ترابية هى بمنزلة نطفة تتولد منها الثمار والازهار او هى لها بمنزلة الماكل والمشرب فاذا صعد بها
الى الاغصان وطبخت بالشمس والهواء صارت كالكيموس والغذاء الذى يحصل به النماء فيتولد منه ذلك بقدرة
خفية وعادة الهية من غير تاثير لشىء بالذات والوسطة فى تكونها قوله او ابدع فى الماء قوة فاعلة اى يعنى ان الماء
على ما هو من مذهب اهل السنة للسببية العادية وعلى هذا اى على ما ذهب اليه الحكماء للسببية الحقيقية والابداع
الايجاد وقد يطلق عندهم على ايجاد شىء غير مسبوق بمادة ولا زمان كالاثار ويقابله التكوين والقوة
رسمت بانها مبدأ الفعل مطلقا سواء كان مختلفا او غير مختلف بشعور وارادة او لا وقيل هى مبدأ التغير
فى اخر من حيث هو اخر وهذا هو المراد هنا وهى تنقسم الى الطبيعية والنفسانية وما هنا من الطبيعية التى بلا شعور
والمراد بنفوس الاسباب اعيانها وذواتها وقوله من اجتماعهما الضمير للقوتين او للماء والتراب والصنائع
جمع صناعة او صنيعة بمعنى لغة والسكون بمعنى الاستيناس والاطمينان وقوله وهو قادر اى نطبق لما قاله
على قانون الشرع فان الحكماء لا ينكرون انه قادر على خلقها ابتداء من غير اسباب ومواد كما ابتدأ خلق الاسباب
والمواد وابرزها من بطون العدم الى ظهور الوجود لكن جرت حكمته بعقد الامور باسبابها الاقرب الى العقول
لانه ادل على قدرته ولو حكمته لما فيه من خلق الاسباب مستعدة لما افاضه عليها من التاثير وادل على عظمته
من خلقها دفعة بغير اسباب وفى رسائل اخوان الصفا فى النبات حكم وصنائع ظاهرة جليلة لا تخفى
ولكن صنايعها خفية محتجبة وهى التى تسميها الفلاسفة القوى الطبيعية وتسميها اهل الشرع ملائكة وجنود الله
الموكلين بتربية النبات فالمعنى واحد وانما نسبت هذه المصنوعات الى القوى والملائكة دون الله
لانه جلت عظمته عن مباشرة الاجسام والحركات الجزئية كما تجل الملوك والرؤساء عن مباشرة الافعال

قوله وثمانها ع الثمرات اه هذا جواب سؤال تقديره ان جمع السلامة المذكر والمؤنث للقلة وللمعنى هنا ليس عليها فلم لم يقل الثمار او الثمر اما كون الثمار جمع كثرة فظاهر واما الثمر فاسم جنس جمعي وهو مختلف فيه هل هو [illegible] او للقلة او مشترك وما ذكر على تقدير انه يكون للكثرة واما جمع التصحيح فاختلف فيه ايضا على قول الثلاثة والمشهور المنصور انه موضوع للقلة والحاصل مما ذكره في جوابه اما اولا فالثمرات جمع ثمرة اريد بها الكثرة كالثمار لا الوحدة الحقيقية اذ التاء فيها للوحدة الاعتبارية فان كل شيء وان كثر فله وحدة باعتبار ما وليس واحد الثمرات ثمرة بمعنى واحد تختص من جنس الثمر بل ثمار كثيرة عرضت لها وحدة باعتبار ما كوحدة الملك فانها اذا ثلاحقت وجمعت يطلق عليها ثمرة فالكثرة المستفادة من الثمرات اكثر من المستفادة من الثمار ولا اقل من المساواة وواحده على هذا الثمرة التي في قولهم ادركت ثمرة بستانه وهي في ذلك القول جنس شامل للانواع الموجودة في ذلك البستان وحاصل ما قالوه انه مع كونه جمع قلة يفيد كثرة اكثر من جمع الكثرة او مثلها وههنا بحث وهو انهم قالوا انه جمع ثمرة مرادا بها ما يشمل الثمرات الكثيرة ووحدته اعتبارية فيقال لهم الوحدة نحو ثمرة بستانك جاءت من الاضافة بجعل وحدة المحل او المالك كالوحدة الحقيقية فلا اضافة هنا فلا بد من اعتبار امر يصير به واحدا وهو اما بجعله صنفا او نوعا او جنسا من الثمار وليس فيه ما يجعله واحدا غير هذا فاما ان يكون فعليهم البيان وعلى هذا يقال ان القلة باعتبار ان احاده اجناس لا تزيد على العشرة وان كان مفردة فانها مقام الجمع وجنسا تحته ما لا يحصى وكون اجناس الثمار المخرجة مما انزله الله كذلك غير مناسب للمقام ايضا ليعود السؤال وان اراد ان احاده اجناسه لكونها كثيرة اخرجت لجمع غير القلة لزمهم كون لفظ اجناس والانواع واشباههما جمع كثرة ولا قائل به فلا بد من الانتهاء الى ان لغويه انظر جمعيته فيرجع هذا الجواب الى بعده وهو غير صحيح ايضا وهذا وارد غير مندفع فتدبر قوله يتغاور بعضها اه التعاور والتداول والتناوب والمراد انه يقع كل منهما موقع الاخر فيكون جمع القلة للكثرة وجمع الكثرة للقلة وهذا فيما اذا لم يكن للفظ الا جمعا واحدا ظاهر كلامهم فيه انه حقيقة واما اذا كان له جمعان او جموع فلا يقع احدهما موقع الاخر منكرا الا مجازا قوله ولانها لما كانت محلاة اي اشارة لما تقرر في كتب الاصول والعربية من ان الالف واللام اذا لم يكن للعهد ودخلت على المجموع بطلت جمعيتها حتى تناولت القلة والكثرة والواحد من غير فرق سواء كانت جنسية او استغراقية ومن خصه بالثاني وقال المحلى باللام الاستغراقية تتناوله الاحاد لا تخرج عن حوزة شمول كل واحد من الاحاد بخلاف المفرد عنها فانه قد يخرج عنه الاستغراقه واحد والتثام فيصدق ان يقال لا رجال في الدار وفيها رجل او رجلان بخلاف لا رجل فقد تحقق الواسع وقصر المقصر قوله متعلق باعبدوا على انه نهي اه المراد بالتعلق التعلق

يجوز اذا كان بمناسبة والعبادة ليست سببا لعدم الشرك الا ان يجعل من القلب كقوله لم وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا لانه ليس في كلامه ما يدل على الترتيب لان التعلق اعم منه قوله او نفي منصوب باضمار ان اه يعني انه منصوب باضمار ان في جواب الامر كقولك زرني فاكرمك وقد قيل عليه انه ليس بشيء لان شرطه كون الاول سببا للثاني والعبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو مبناها واصلها والمنصوب في جواب منصوب بام مقدرة فهو مصدر تاديلا معطوف على مصدر متصيد مما قبله هو سبب له فيقدره فيما ذكر ليكن منك زيارة فاكرام ستى لسببها وقس عليه لانه في التاويل واجب اه المراد بكونه جواب الامر مشابهته له وحمل الشيء على الشبيه واعطاؤه حكمه كثير قوله الحاقا لها بالاشياء الستة وهي الامر والنهي والاستفهام والعرض والتمني والنفي وقد اجاز بعض النحاة ان يلحق بها كل ما تضمن نفيا او قلة كما قاله الرضي وقد قيل ان المصنف جعلها بمنزلة التمني ولعدم مناسبته للمقام لما فيه من تنزيل الموجود لبعده عن الحصول بالاشياء الستة وعدل عما قالوه من الحاقها بليت لعدم مناسبته للمقام لما فيه من تنزيل الموجود لبعده عن الحصول منزلة التمني وبعد المخاطبين الذين منهم المؤمنون عن التقوى بعيد وبناؤه على تخصيص الخطاب بالكفار لضعفه لضعف مبناه وقوله لاشتراكها في انها غير موجبة بكسر الجيم وفتحها اي مضمون ما بعدها لم يقع وتحققه في المستقبل غير معلوم فموجبه من الايجاب بمعنى الاثبات ويقابله السلب وكل ما يدل عليه في الجملة او جعله واجبا محققا وما به في احد الازمنة الثلاثة ويقابله ما لا يتغير ولا يتحقق وهو غير الموجب وعلى كل حال بدخل فيه الترجي فسقط ما اورده العصام من انه المقام من الشهاب على ويترة الانتخاب

من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات
جماعة الثمرة التى فى قولك ادركت ثمرة بستانه ويويده قراة من الثمرة على
التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موضع بعض كقوله كم تركوا من جنات
وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم
صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال
رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهى معطوف
عليه او نفى منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا
فاطلع فى قوله تع لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء
الستة لاشتراكها فى انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله
بيان للسببية المستفادة من جعله جوابا للعلة
اندادا او بالذى جعل ان استانفت به على انه نهى وقع خبرا على تاويل مقول
فيه لا تجعلوا والفا للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط
من جعلكم اشير بذلك الى نكتة تخصيص ترتب عدم الاشتراك على قوله الذى جعل
والمعنى ان من حفكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغى ان لا يشرك
به والند المثل المناوى قال جرير ايتما تجعلون الى ندا وما تيم لذى
حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف
المماثل فى الذات كما خص المساوى للمماثل فى القدر وتسمية ما يعبده المشركون
من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه فى ذاته وصفاته ولا انها
تخالفه فى افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة تشابهت
حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم
باس الله تع وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم
بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن
عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا انقسمت الامور تركت
اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من
ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطرح اى وحالكم انكم من اهل العلم

والنظر واصابة الراى فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد
للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوى وهو
انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من
ذلكم من شىء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره
عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء فى التكليف واعلم ان مضمون
الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهى عن الاشراك به والاشارة
الى ما هو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية
اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم
وما يحتاجون اليه فى معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة
اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا
يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهى عن الاشراك به ولعله
سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة
الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل
فمثل البدن بالارض والنفس بالسما والعقل بالما وما افاض عليه من الفضائل
العملية والنظرية المحصلة بوساطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى
النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة
والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد
مطلعا وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته
وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد
صلعم وهو القران المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق وافحام
من طولب بمعارضته من مصاقع الخطبا من العرب العربا مع كثرتهم وافراطهم
فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف بما يتعرف
به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله

قوله ولكل حد مطلع او هو اشارة الى حديث ابن مسعود رضى الله عنه
وهو قوله عليه الصلاة والسلام انزل القران على سبعة احرف لكل اية منها
ظهر وبطن ولكل حد مطلع اراد بظهر الاية ما ظهر منها من معناها
والباطن ما يكون سترا بين الله ورسوله ولكل حد مطلع اى موضع
اطلاع فمطلع الاول بعلم العربية والتمرن فيها ومعرفة اسباب
النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك ومطلع الثانى بتصفية
النفس والرياضة باداب الجوارح وعن النبى صلى الله عليه وسلم
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقد ذكر الله خمسة ادلة
لمنه فى الافاق وانفس فى الانفس فبدا بنفسه وهو قوله تعالى الذى
خلقكم ثم بالاباء والامهات وهو قوله تعالى والذين من قبلكم ثم
بكون الارض فراشا ثم بالامور الحاصلة بينهما وسبب الترتيب
هو ان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه وعلم كل احد بنفسه
اظهر من علمه باحوال غيره ثم ثناه بالاباء والامهات ثم ثلثه بالارض لانها
اقرب الى الانسان والقرب يستدعى زيادة المعرفة وتقديم
السماء على النزول لانه كالمتولد منها والا فهو متاخر عن المتاثر

قوله صفة سورة الخ في الكشاف من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا
او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد وقد اشتهر هنا سؤال في وجه التفرقة بين الوجهين وتجويز
رجوع الضمير لما نزلنا وللعبد اذا كان الجار والمجرور صفة لسورة ومنعه ضمنا على تقدير تعلقه بقوله فأتوا واول
من قاله العلامة العضد حيث قال مستفتيا علماء عصره قد استبهم قول صاحب الكشاف من مثله
متعلق بسورة الخ حيث جوز في الوجه الاول كون الضمير راجعا لما نزلنا تصريحا وحظره في الوجه الثاني
تلويحا فليت شعري ما الفرق بين سورة كائنة من مثل ما نزلنا وفأتوا من مثل ما نزلنا بسورة وهل ثمة حكمة
خفية او نكتة معنوية او هو تحكم بحت وهذا مستبعد من مثله فان رأيتم كشف الريبة واماطة الشبهة والانعام
بالجواب اثبتم اجزل الاجر والثواب فكتب العلامة فخر الدين الجاربردي جوابه الا انه اتى بكلام معقد لا يظهر
معناه فرده العضد وشنع عليه ثم انتصر لكل منهما ناس من فضلاء ذلك العصر حتى طال الكلام في ذلك
والفت فيه رسائل منقولة من منهاج الاشباه والنظائر النحوية قوله والضمير لما نزلنا الخ شروع في بيان
الوجوه المذكورة مع الزيادة على ما في الكشاف فذكر انه اذا كان ظرفا مستقرا صفة لسورة فالضمير يجوز رجوعه
لما التي هي عبارة عن المنزل او للعبد فعلى الاول ذكر في من ثلثة اوجه احدها التبعيض ولما كان الامر هنا للتعجيز
اعترض على هذا بانه يوهم ان للمنزل مثلا والعجز عن اتيان بعضه فالمماثلة المصرح بها لا يكون منشأ للعجز كما سيأتي

[illegible]

بشرا الا بيان الحالة وهذا وان لم يرتضه المص اورده استيفاء للوجوه المحتملة فلا يرد عليه ما قيل من انه لا وجه
لتخصيص البشر مع انه معجز للثقلين كما سيأتي في تفسير قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القران الخ والتحدي كان اولا بمثل القران كما في قوله فأتوا بحديث مثله ثم بعشر سور في قوله تعالى فأتوا
بعشر سور مثله ثم بسورة ما ومعنى الاتيان المجي بسهولة قوله وان رد الى المنزل الخ اي رجوع ضمير مثله الى قوله
مما نزلنا اوجه من رجوعه للعبد مطلقا او اذا كان ظرفا لغوا متعلقا بقوله فأتوا فلا يكون فيه ترجيح لكون
الظرف صفة سورة مستقرا كما قيل لانه اذا تعلق بقوله فأتوا فضمير مثله للعبد لا للمنزل فكلامه موافق لما في
الكشاف ويرد عليه ما يرد عليه كما ستراه واعلم ان الزمخشري لما جوز في الوصفية عود الضمير لما او للعبد
واقتصر على الثاني في تعلقه بقوله فأتوا ورد عليه انه لم لا يجوز ان يكون الضمير حينئذ لما نزلنا ايضا كما جاز | سعد وسيد
ذلك على تقدير كون الظرف صفة واجاب الفاضل المحقق ومن تبعه بان الامر هنا تعجيزي باعتبار المأتي به
والذوق شاهد بان تعلق من مثله بالاتيان يقتضي وجود المثل ورجوع العجز الى ان يؤتى منه بشيء ومثل النبي
في البشرية والعربية موجود بخلاف مثل القران في البلاغة واما في الوصفية فالمعجوز عنه الاتيان بالسورة الموصوفة
وهو لا يقتضي وجود المثل بل ربما يقتضي انتفائه لتعلق امر التعجيز به والحاصل ان قولك ائت من مثل الحماسة

[illegible]

ان يقال واذا ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثله عبد

نجما فنجما بحسب الوقايع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطايفة من القران المترجمة التي اقلها ثلث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطايفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارى او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية او القطعة من الشئ والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارى وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطايفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ها من الفوايد من مثله صفة سورة اى بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او التبيين وزايدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتدا اى بسورة كاينة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير آيات التحدى ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم

لبات بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز فى نفسه لا بالنسبة اليه كقوله تعالى

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله

ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائم قوله

وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم

والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام

وكانه سمى به لانه يحضر النوادى وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور

اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول فى سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان

يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشئ ومنه تدوين

الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى مكان

منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اى فى الشرف ومنه الشئ الدون

ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى امر الى امر آخر قال تعالى

لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين

الى ولاية الكافرين وقال امية ۞ يا نفس ما لك دون الله من واق ۞ اى اذا

تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا

لمعارضته من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه

لا يقدر ان يأتى بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان

ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن

اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم

انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدى الله على زعمكم

من قول الاعشى ۞ تريك القذى من دونها وهى دونه ۞ ليعينوكم وفى امرهم ان

يستظهروا بالجماد فى معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من

دون الله اى من دون اولياءه يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا

لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده

وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه
ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة
او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار
عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به
وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة وهو انكم اذا اجتهدتم
في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه
معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن
الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم
الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا
بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي
للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم
معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم وخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز
قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة
بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه
وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ
اجتماعهما ولن كلا في المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه
والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند
الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد
جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا
والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ بها
به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقود

احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير مقيس والمراد بها الاصنام التي
نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع
المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا
يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونهما ويغترون
بهما وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل
حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل
شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت
تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار
كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لساير النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما
نزل بمكة قوله تع في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف
النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان يكون قصة معلومة اعدت للكافرين
هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة
استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته
مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول
ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد
وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن
ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا
لمعارضته والتجؤا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن
الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون
فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما
دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله
اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين امنوا

وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال
من امن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت
به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي
وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما
يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه
بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن امن به
استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر رسول الله صلعم او
عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة ~~بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشا~~
بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم
احقاء بان يبشروا ويهنأوا وانما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا
على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور
في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من
بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا
جميعا واما قوله تع فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي
تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من ال لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها
على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا
للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع
بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل
الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه
دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه
وعلى ما هو داخل فيه وان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور

باضمار مثل ابى الله الا ضلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار
التركيب على الستر سمى بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما
ماتحته سترة واحدة قال كان عينى فى غربى مقتلة . من النواضح تسقى جنة سحقا
اى نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب
لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر فى الدنيا ما اعد فيها للبشر
من افنان النعم كما قال تع فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين الاية وجمعها
وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن
وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل منها
مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على
استحقاقهم اياها لاجل ما يترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته
فانه لا يكافى النعم السابقة فضلا من ان يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل
الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت
وهو مؤمن لقوله تع ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم وقوله تع لنبيه لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه
لم يقيدها هنا استغناء بها تجرى من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها كما تراها جارية
تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجرى فى غير اخدود
واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى او للعهد
والمعهود هى الانهار المذكورة فى قوله تع فيها انهار من ماء غير آسن الاية والنهر
بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب
للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجارى انفسها واسناد الجرى
اليها مجاز كما فى قوله تع واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذى رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة
كانه لما قيل ان لهم جنات وقع فى خلد انثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فاز

بذلك وكما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين او مرة رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهد منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او لما روي انه عليه الصلوة والسلم قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة **واتوا به متشابها** اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء

قوله حكي عن الحسن الخ اثر اخرجه ابن جرير عن يحيى بن كثير بهذا اللفظ قوله او لما روي الخ اخرجه ايضا ابن جرير موقوفا وفي المستدرك من حديث ثوبان مرفوعا لا ينزع الرجل من اهل الجنة من ثمرها شيئا الا اخلف الله مكانها مثلها وقال انه صحيح على شرط الشيخين قوله فلعلهم الخ لا يابى هذا قوله من قبل لان معناه قبل هذا الزمان او الوقت وعلى تفسير المصنف من قبل الرزق او المرزوق الذي اشار اليه بقوله من قبل هذا لان قبل مبنية على الضم لحذف المضاف اليه الذي هو هذا او نيته معناه وان لم يتخلل بينهما زمان وليس معنى رزقنا اكلنا لتقدم الرزق على الاكل وعلى الاثر الاول هو متشابه الصورة مختلف الطعم وعلى الثاني متشابه الصورة والطعم سهاب

قوله والضمير على الاول اي الضمير المفرد على تقدير ارادة من قبل هذا في الدنيا راجع الى المفهوم الواحد الذي تضمنه اللفظان اعني هذا والذي رزقنا من قبل وهو المرزوق في الدارين اي اوتوا بمرزوق الدارين متشابها بعضه بالبعض عبر عما بعضه ماض وبعضه مستقبل بالماضي تحقيقا ... وهذا الطريق يسمى في لسان الكناية الايمائية ولو رجع الى الملفوظ لقيل واتوا بهما عبد

قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو
كاف في اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة
في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتهما
فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في
الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون
في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض
والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق
والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن
وهن فاعلة وفواعل قال ؎ واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب
القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء
وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا
طهرهن وليس هو الا الله والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين
من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع
وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهو مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم
الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض
الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها
في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها
خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك
قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد
ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله تعالى خالدين فيها ابدا
لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل
ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم
على الانسان لكن المراد به الدوام هيهنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات

[illegible]

ها

وفي الاية قول ثالث على لسان اهل المعرفة وهو ان كمال السعادة ليس الا في معرفة الله ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات وبالجملة يصير روح الانسان كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل في الدنيا ولا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لما ان العلائق البدنية تعوق عن ظهور تلك السعادات واللذات فاذا زال هذا العائق حصلت السعادات العظيمة والغبطة الكبرى فالحاصل ان كل سعادة روحانية يجدها الانسان بعد الموت يقول فانه يقول هذه هي التي كانت حاصلة لي حين كنت في الدنيا وذلك اشارة الى ان الكمالات النفسانية الحاصلة في الآخرة هي التي كانت حاصلة في الدنيا الا انها في الدنيا ما افادت هذه اللذات والبهجة والسرور وفي الآخرة افادت هذه الاشياء لزوال العائق من التفسير الكبير لفخر الدين الرازي

[illegible]

حق معرفته بل يقال ان ذلك لاطلاق حقيقة نظرا للصورة وظاهر الحال ام لا نظرا للواقع فالظاهر انه حقيقة عند من لم يعرفه وعند من عرفه مجاز استعارة او مشاكلة والقول بانه لا يعرفه اهل العربية لا وجه له وليس هذا مما قاله بعض الصوفية فانه ستم في وسم وبهذا عرفت كلام المصنف رح واق اول كلامه لا يعارض اخره من الشهاب عليه الرحمة

والثاني فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات
المودية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها
بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية
في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض
كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده
من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا
على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات
والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية
من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها
وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع
من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون
على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف
دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه
وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه
فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى
الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات
البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل
اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة
ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد وابطش
من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال
المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن
والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله جل

قوله ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه اي اشارة الى ما ذكره اهل المعقول من ان الوهم قوة جسمانية للانسان بها يدرك الجزئيات المنتزعة من المحسوسات فهي تابعة فاذا حكمت على المحسوسات كان حكمها صحيحا واذا حكمت على غير المحسوسات باحكامها كان كاذبا والنفس منجذبة الى الوهم والحس لسبقها اليها فهي مسخرة لهما حتى ان احكام الوهميات ربما لم تتميز عند بعض من الاوليات لولا دافع من العقل او الشرع والمراد بمساعدة الوهم للعقل ان العقل وهو قوة للنفس بها تدرك المعاني والكليات سواء كانت محسوسة الجزئيات او لا اذا ذكر معنى ادركه وضرب له الوهم مثلا بجزئي يحكيه ويشبهه به فقد ادعى انه من افراده الموجودة في الخارج وبذلك يتخيل انه محسوس مشاهد واذا لابس لحلية من حلله اخذها من خزانة الوهم فيتبين بذلك ويثبت تحققه في نفس الامر وهذا معنى مساعدة الوهم له ومعنى مصالحته له ان ما يدرك كل منهما مغاير لما يدركه الآخر لادراك الوهم لما ينتزع من الجزئيات المحسوسة والعقل للمعاني والكليات فبادعاء ان احدهما عين الآخر تصالحا على الاشتراك فيه عند النفس التي قضت بذلك والمراد من حب المحاكاة انها تحب محاكاة المعقول بالمحسوس اي بكثير منه فكانها تحبه وتألفه وهذا مما لا غبار عليه من حاشية المولى الشهاب

واعلى من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم
الى ما يدل على ان المتحدى به وحى منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من
آمن بعد ظهور امره شرع فى جواب ما طعنوا فيه ف ان الله لا يستحيى اى لا يترك
ضرب المثل بالبعوض ترك من يستحيى ان يتمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس
عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراءة على القبائح وعدم
المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة
فانه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيى الرجل كما قيل
نسى وخشى اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به البارى كما جاء فى الحديث
ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيى كريم يستحيى اذا رفع العبد
يديه اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض
كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما
ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت
فى اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل
خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع فى كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله
من ضرب الخاتم واصله وقع شئ على اخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار
من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد
النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطانى كتابا ما اى
اى كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتى فى قوله تعالى فبما رحمة ولا نعنى بالمزيد
اللغو الضايع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه
وانما وضعت لان يذكر مع غيره فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة فى الهدى
غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت
عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ
وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف

واعلى من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم
الى ما يدل على ان المتحدى به وحى منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد
من آمن بعد ظهور امره شرع فى جواب ما طعنوا فيه فقال ان الله لا يستحيى اى لا يترك
ضرب المثل بالبعوض ترك من يستحيى ان يمثل بها لحقارتها والحيا انقباض النفس
عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراءة على القبايح وعدم
المبالات بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة
فانه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيى الرجل كما قيل
نسى وحشى اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به البارى كما جاء فى الحديث
ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيى كريم يستحيى اذا رفع العبد
يديه اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض
كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما
ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت
فى اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل
خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع فى كلام الكفرة وضرب المثل اعماله
من ضرب الخاتم واصله وقع شئ على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل بإضمار
من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد
النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطنى كتابا ما اى
اى كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتى فى قوله تعالى فبما رحمة ولا نعنى بالمزيد
اللغو الضايع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه
وانما وضعت لان يذكر مع غيره فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة فى الهدى
غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت
عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا
وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف

فى قوله نعما على الذى احسن موصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدل
على الوجهين واستفهامية هى المبتدأ كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال
قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من
ذلك ونظيره فلان لا يبالى بما يهب ما دينارا ودينارا ان والبعوض فعول من
البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش **فما فوقها**
عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها فى الجثة كالذباب
والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيى ضرب المثل بالبعوض
فضلا عما هو اكبر منه او فى المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة
كجناحها فانه عليه الصلوة والسلم ضربه مثلا للدنيا ونظيره فى الاحتمالين
ما روى ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلعم
يقول ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه
بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة فى الالم كالخرور وما زاد عليها فى
القلة كنخبة النملة لقوله عم ما اصاب المسلم من مكروه فهو كفارة لخطاياه
حتى نخبة النملة **فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم** اما حرف يفصل
ما اجمل ويؤكد ما به ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما
زيد فذاهب معناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا محالة وانه منه
عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف
الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفى تصدير الجملتين به
احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير
فى انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذى لا يسوغ انكاره يعم الاعيان
الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت
ومنه ثوب محقق محكم النسج **واما الذين كفروا فيقولون** كان من حقه واما
الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا

واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين آن يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي
وما بعده صلته والمجموع خبره وآن يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اى شيء
منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابها الرفع على الاول
والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل
بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني
قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف البارى تع به ولذلك اختلف في معنى
ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها
فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه
الاصلح فانه يدعوا القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر
وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار
فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال
كقوله تع هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اى اضلال
كثير وهداية كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان
للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه
ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر
الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال
كما قال الله تع وقليل من عبادى الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث
العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال ﻪ قليل اذا عدوا كثير
اذا شدوا. وقال ﻪ ان الكرام كثير في البلاد وان. قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
وما يضل به الا الفاسقين اى الخارجين عن حد الايمان كقوله تع ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج
عن القصد قال روبة ﻪ فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج

عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها
احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها
والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى
خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك
فلا يسلب عنه اسم الايمان لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تع
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا
بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص
الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى
بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل
صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم
وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول
والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير
الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال
العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر
فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما
هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك
شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في
شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى
ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ
لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده
الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تع واشهدهم
على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق

بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله عز وجل
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل عهود الله ثلاثة عهد
اخذه الله على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان
يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلما بان يبينوا الحق ولا يكتموه
من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقه وهي الاحكام والمراد
ما وثق الله به عهده من الايات والكتب وما وثقوه به من الالتزام والقبول و
ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتدا فان ابتدا النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل يحتمل ان يكون كل قطيعة لا يرضاها الله تع كقطع الرحم والاعراض عن
موالاة المؤمنين والتفرق بين الانبيا عليهم السلام والكتب في التصديق وترك
الجماعات المقصودة بالذات المفروضة وساير فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع
الوصلة بين العبد وبين الله المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول
الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلا وبه سمي الامر الذي هو واحد
الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يومر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد
يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على
انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع
عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه
اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم
الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها
والاقتباس من انوارها واشترا النقض بالوفا والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب
كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها
على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون
لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار
الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم

بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على
كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اى حال تكفرون
وكنتم امواتا اى اجساما لا حياة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا
مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطف بالفاء لانه
متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى ثم يميتكم عند تقضى آجالكم
ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ فى الصور او للسؤال فى القبور ثم اليه ترجعون
بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم
مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم
يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل
منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو
انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه
من اعادته او مع القبليين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم
على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة
واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم
يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف يعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر
قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التى هى الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار
الآخرة لهى الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى
المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحد من الجمل
فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين
لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا
اى جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف
ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة فى القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها

سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما
يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها
والموت بازائهما يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم
وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة
اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ
يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه
خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وبتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في
دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط او امر دينكم بالاستدلال
والاعتبار والتعرف لما يلايمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض مستكمل
به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء
النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل
للكل لا ان لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل
كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء
قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا
مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال
لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه تعالى لانه من خواص الاجسام وقيل استوى
اي استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد
بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين
وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في
الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر

دَحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السما وتسويتها الا ان يستانف بدحاها مقدراً لنصب الارض فعلاً آخر دل عليه أانتم اشد خلقا مثل تعرفها الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسوّاهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السما ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك فان صح فليس في الاية نفي الزايد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشيا كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عالما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشا كلها كيف تجتمع اجزا كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تع وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واشار الى البرهان عليها بقوله تع وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه تع عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تع قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن ابو عمرو والكسائي ونافع الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك

للملكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم
واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف للزمان
نسبة ماضية وضع فيه اخرى كما وضع اذا الزمان نسبة مستقبلة يقع فيها اخرى
ولذلك وجبا اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات
واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف
الغير المتصرفة لما ذكرنا واما قوله تع واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى
تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله
في الاية قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا
او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة
معطوفة على خلقكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملاك
على الاصل كالشمائل والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي
الرسالة لانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف
العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر
المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان
الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة
البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكما انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة
في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن
الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السما الى الارض على ما سبق به
القضا وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب
الطوالع والمقول لهم الملئكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض
وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تع اسكنهم في الارض اولا فافسدوا

٣٧

قوله وقيل ابليس ومن كان معه الخ قال المفسرون
خلق الله السموات والارض والملائكة والجن
اسكن الملائكة السما والارض الجن فعمروا في الارض
دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتتلوا
وفسدوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال
لهم الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة
وكان رئيسهم ابليس فطردوهم الى شعوب الجبال والجزاير
عبد الحكيم

الفصل الثاني في المفارقات وفيه مباحث الاول في اقسامها الجواهر الغايبة اما ان تكون
مؤثرة في الاجسام او مدبرة اياها او لا مؤثرة ولا مدبرة والاول هم العقول والملا الاعلى
والثاني تنقسم الى علوية تدبر الاجرام العلوية وهي النفوس الفلكية والملائكة السماوية
وسفلية تدبر عالم العناصر وهي اما ان تكون مدبرة للبسايط وانواع الكاينات وهم
يسمون ملائكة الارض واليهم اشار صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم وقال جاني ملك
البحار وملك الجبال وملك الامطار وملك الارزاق واما ان تكون مدبرة للاشخاص
وتسمى نفوسا ارضية كالنفوس الناطقة البشرية والثالث ينقسم الى خيرة بالذات وهم الملائكة
الكروبيون وشريرة بالذات وهم الشياطين ومجتمعة للخير والشر وهم الجن وظاهر
كلام الحكما ان الجن والشياطين هم النفوس البشرية واكثر المتكلمين لما انكروا الجواهر المجردة
قالوا الملائكة والجن والشياطين اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة
هذا ما استنبطته من فوائد الانبياء والتقطته من فرايد الحكماء واحاطة العقل بها من طريق
الاستدلال لعلها من قبيل المحال كما قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو
من الطوالع للبيضاوي

فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملئكة فدمّرهم وفرّقهم في الجزاير والجبال وجاعل
من جعل الذى له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال
ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب
منابه والتاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلم لانه كان خليفة الله في ارضه
وكذلك كل نبى استخلفهم الله تع في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم
وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تع الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه
وتلقى امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تع ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا الا ترى ان الانبيا لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضئ
ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملايكة ومن كان منهم على رتبة كلمه بلا واسطة
كما كلم موسى في الميقات ومحمدا صلعم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان
العظم لما عجز عن قبول الغذا من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارى بحكمته
بينهما الغضروف المناسب لهما ليا خذ من هذا ويعطى ذلك او خليفة من سكن الارض
قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ
اما للاستغنا بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابى القبيلة في قولهم مضر
وهاشم او على تاويل من يخلف او خلقا يخلفكم وفايدة قوله هذا للملايكة تعليم
المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة
قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان
الحكمة تقتضى ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير
الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف
لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل
المعصية واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد والغتها
واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره
وليس باعتراض على الله ولا طعن في بنى آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن

بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما
عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان
من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسبك والسفك والسفح والشن
انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة
والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن
وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا
محذوفا اى يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة
الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى انستخلف
عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم
مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر
وكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية
تؤديان الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة
ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين
لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن
نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحد
من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة
ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد
كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات
من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا
بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس
من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا
طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اى متلبسين
بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد

التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا
الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو اعظم الافعال
الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء
كلها اما بخلق علم ضرورى بها فيه او القاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة
اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته
فلم يتعلم وآدم اسم اعجمى كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح
بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روى عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة
من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه اخيافا او من
الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من
العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشئ ودليلا
يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ
الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا
فى المفرد الدال على معنى فى نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد فى الاية
اما الاول او الثانى وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف
على العلم بالمعانى والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات
وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ
التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام
كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض
نفس الاسماء سيما ان اريد بها الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ
وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن
او مسمياتها فقال انبئونى باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر

الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف
على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف
بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين
في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم وان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم
لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى
الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا
الاعتبار يعتري الانشاآت قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز
والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان
لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم
وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعات الادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان
مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله
وقد اجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله ❊ سبحان من علقمة الفاخر
وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل
مفتاح التوبة فقال موسى سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت
من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي
لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت
بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك
جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان
قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما
فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما
تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه
ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض
وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم

قال المولى الشهاب بعد ما ذكر التوجيه المشهور في هذا التركيب اقول هذا التركيب غير وجوه كما قال الشارح المحقق في سورة النساء في قول الزمخشري لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الآتية فان كل مبتدا عقب بان الوصلية يؤتى في خبره بالا ولكن الاستدراكية مثل هذا الكتاب وان صغر حجمه لكنه كثر علمه لما في المبتدا باعتبار تقييده بان الوصلية من المعنى الذي يصلح الخبر استدراكا له واشتماله على مفروض وجعل بعض الفضلاء الخبر مقدرا

على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل
فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تع لا يخلق
خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة
للانكار دخلت على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات
تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة
بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تع وان لم يصح اطلاق المعلم عليه
لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص
او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي
سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل ادم فيكون
من الله وان مفهوم الحكمة زايد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت
العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك
في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تع وما منا الا له مقام معلوم وان ادم افضل
من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تع قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وانه تع يعلم الاشيا قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم لما انبأهم بالاسما وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله
واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوى خلقه لقوله
تع فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا
لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا
عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي
نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر
ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا
طأطأ راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى
الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه

قوله اوسببا لوجوبه كما جعل الوقت سببا لوجوب الصلاة والبيت سببا لوجوب الحج ثم بيّن وجه كونه قبلة وسببا على وجه يقتضي تعظيمه بقوله فكانه تع الخ اي انه خلقه في احسن تقويم وجعل فيه مثالا من كل موجود من العالم الروحاني وهم الملائكة العقل والعبادة ومن الجسماني التركيب من العناصر فكان ذريعة اي وسيلة الى تكميل علمهم بانبائهم وشاهدتهم الحكمة في مخلوقاته وتمييز بعضهم عن بعض بمعرفة المطيع من غيره فاللام على كونه بمعنى القبلة بمعنى الى كما في قول حسان رضي الله عنه اليس اول من وهو حضرة علي رضي الله عنه وقبله ما كنت احسب هذا الامر منصرفا عن هاشم ثم منها عن ابي حسن والسنن جمع سنة وعلى الثاني للسببية كما في قوله تع اقم الصلوة لدلوك الشمس شهاب

اوسببا لوجوبه فكانه تع لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل
الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة
للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه
من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته
وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان
اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تع اقم
الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحية وتعظيما له
كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم
ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم
ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره
وصلاحه والاباء امتناع باختياره والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره
والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله تع او صار
منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل
لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا
لقوله تع ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
لا بترك الواجب وحده والاية تدل على ان ادم افضل من الملائكة المامورين
بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم
يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تع الا ابليس كان من الجن لجواز ان
ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان
من الملائكة نوعا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من
الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف
منهم فغلبوا عليه والجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر

الملايكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر ماموروون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا ماموروون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد الماموروون بالسجود الا ابليس وان من الملايكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملايكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملايكة خلقت من نور وخلق الجان من نار لما روت عايشة انه عليه السلم قال خلقت الملايكة من نور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله ومن فوايد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا

قوله وهذا اشبه بالصواب لصحة كون ابليس ملكا وجنا وشيطانا ح بلا تكلف ووقوع المعصية منه مع كونه رئيس الملايكة ومعلمهم وترتب الفسق على كونه جنا وكونه مخلوقا من النار كما نطقت به الآيات مع كونه من الملايكة عبد الحكيم

قوله واوفق للجمع بين النصوص لعدم الاحتياج الى القول بالتغليب او الاستثناء المنقطع او الاكتفاء او الى القول بكونه جنا فعلا او اطلاق الجن على معنى غير متعارف اعني خازن الجنة ونحوه عبد الحكيم

قوله وان الامر للوجوب لانه تعالى ذم ابليس على ترك السجود بقوله ما منعك ان تسجد اذ امرتك والذم دليل الوجوب عبد الحكيم

قوله وان الذي الخ حيث جعله الله في عداد الكافرين في علمه القديم باعتبار توفيه على الكفر ولم يعتد بايمانه السابق اصلا عبد الحكيم

قوله لان اللام للعهد الخارجي لانه الاصل والعمدة ولعدم صحة الجنس باعتبار اقسامه الثلثة ولا معهود في كتاب الله بل في الشرع سوى دار الثواب فتعين ارادته فهو كقولك جاء الامير اذا لم يكن في البلد امير سواه قال المحقق التفتازاني انعقد عليه الاجماع قبل ظهور المخالفين وحمله على بستان من بساتين الدنيا يجري مجرى الملاعبة في الدين والمراغمة لاجماع المسلمين عبد الحكيم

قوله وانما لم يخاطبهما اولا الخ ان كان مقتضى الظاهر ان يخاطبهما اسكنا الا انه ترك ذلك ونبه على انه المقصود بالحكم في جميع الاوامر والنواهي ... في الخلقة ... فلما استغفر ... البيت وسكن الى عبد الحكيم

وكلا منهما رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اى مكان من الجنة
شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر فى التناول من الشجرة المنهى عنها من بين
اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق
النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب
عنه وتنبيها على ان القرب من الشئ يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه
عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك الشئ يعمى ويصم فينبغى ان لا يحوما حول
ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم
فان الفا تفيد السببية سواء جعلت للعطف على النهى او الجواب له والشجرة هى
الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين
من غير قاطع كما لم تعين فى الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين
وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة
وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه فى قوله تع وما فعلته عن امرى او ازلهما
عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان فى المعنى
غير ان ازل يقتضى عثرة مع الزوال وازلالهما قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك
لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الاية ومقاسمته اياهما
بقوله انى لكما لمن الناصحين واختلف فى انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما
على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم
فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل
للوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة
دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية حتى دخلت وقيل ارسل بعض اتباعه
فازلهما والعلم عند الله تع فاخرجهما مما كانا فيه اى من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا
خطاب لآدم وحوا لقوله تع قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما

الجنة كلهم او لهما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب ادم ورفع كلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة حكم الله فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة

الى سما الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال فى اللفظ تاكيد فى المعنى
كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان
واحد كقولك جاؤا جميعا فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به
ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان
ياتينكم منى هدى بانزال وارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جىء بحرف الشك
واتيان الهدى كاين لانه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم
يضمر لانه اراد بالثانى اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اى فمن
تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم
مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على
الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدىّ على
لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون عطف على من تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا
باياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين
الى الجار والمجرور والآية فى الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث
انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة
عن غيرها بفصل واشتقاقها من اى لانها تبين ايا من اى او من اوى اليه واصلها اية
او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او ايية
كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها والمعقول
تنبيه وقد تمسك الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء من وجوه الاول
ان ادم كان نبيا وارتكب المنهى عنه والمرتكب له عاص والثانى انه جعل بارتكابه
من الظالمين والظالم ملعون لقوله تع الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه
اسند اليه العصيان والغى فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تع لقنه

وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله تع
اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين من يكون ذا كبيرة والسادس
انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا
حينئذ والمدعى مطالب بالبيان الثانى ان النهى للتنزيه وانما سمى ظالما وخاسرا
لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى واما اسناد الغى والعصيان اليه
فسياتى الجواب عنه فى موضعه انشاء الله تع وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات
عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل
خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تع فنسى ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك
التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم
لقوله عليه الصلوة والسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
اوادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المواخذة كتناول
السم على الجهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تع ما نهاكما ربكما وقاسمهما الاية
لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث
فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تع الى ان نسى ذلك
وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع انه عليه الصلوة والسلم اقدم عليه بسبب
اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهى للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة
فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انه
عليه الصلوة والسلم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتى
حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تفظيعا لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده
وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها فى جهة عالية وان التوبة مقبولة
وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دائم وان الكافر فيه
مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تع هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه
وتع لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة

تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الملك وحده والامر لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلم ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله تع به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد الله تع بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد وقرئ اذكروا افتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تع عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفا بهما عرض عريض فاول مراتب الوفا منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تع حقن المال والدم وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعا الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف

بعهدكم

بعهدكم فى دفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تع ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة وإياى فارهبون فيما تاتون وتذرون خصوصا فى نقض العهد وهو اكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفا الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفا بالعهد وان المومن ينبغى ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفا بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها فى القصص والمواعيد والدعا الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم فى ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى تنبيه على ان اتباعها لا ينافى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من امن به ولانهم كانوا اهل النظر فى معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا

حلة. فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به
التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا
اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما
يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة. واول افعل له وقيل اصله اوأل من
وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ
الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ
الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم
فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون
الرشا فيحرفون الحق ويكتمونه وإياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في
الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم
العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما
خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف
على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا
الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا
الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تأويله
وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كأنهم امروا بالايمان وترك الضلال
ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب
باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده
انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار
بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم
لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة

يعني صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة ولا زكوة امرهم بفروع الا
بعد ما امرهم باصول وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من
من زكا الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر في النفس فضيلة
الكرم او من الزكوة بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل
واركعوا مع الراكعين اى في جماعاتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة
الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع
احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم
الشارع قال الاضبط السعدي ✽ لا تذل الضعيف علك ان ✽ تركع يوما والدهر
قد رفعه اتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير
من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة
الله وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم
وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها نزلت في احبار المدينة
كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون
بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون
اى تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل
افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة
عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمى به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح
ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية
على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل
الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته
والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا
منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال
بالاخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق

عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال او بالجواب بذلك والمعنى
استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو
صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة
والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة
واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة
الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا
الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى انه عليه الصلوة والسلام كان اذا حزبه
امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعا وانها اي الاستعانة بهما او الصلاة
وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة
ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تع كبر على المشركين ما
تدعوهم اليه الا على الخاشعين اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة
للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح
والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون
لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تع فيجازيهم ويؤيده
ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق
عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط
ما بين التراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم
مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها وتستلذ
بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذي
هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل
بحقوقها واني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل

قوله اي يتوقعون لقاء الله الخ اللقاء مقابلة الشيء ومصادفته معا ويقال للادراك بالحس
وملاقاته تع اما رؤيته عند المجوزين لها واليه اشار المص ردا على الزمخشري بقوله لقاء الله او عبارة
عن القيامة وعن المصير اليه او نيل ثوابه وعقابه وهو معنى قول المص ونيل ما عنده وليس عطفا
تفسيريا فان كان بمعنى الرؤية او نيل ما عنده فالظن بمعناه المعروف ان حمل الرجوع على نيل الثواب
ايضا فيكون تاكيدا ولا يصح حمله على النشور والمصير الى الجزاء فانه متيقن فان فسرت الملاقاة
بالحشر والرجوع بمطلق الجزاء احتاج الا حمل الظن على اليقين وايده بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه
يعلمون وبين وجهه بان الظن الاحتمال الراجح والتيقن كذلك لما فيه من الرجحان فاطلق الظن على
المتيقن المستقبل بجامع الرجحان فان كلا منهما متوقع اي منتظر قبل الوقوع ومعنى التضمين كونه في ضمنه
لا الاصطلاحي اه وقال قدس سره لا نزاع في امتناع لقاء الله على الحقيقة لكن القائلين بجواز الرؤية
يجعلونها مجازا عنها حيث لا مانع واما من لم يجوزها يفسرها بما يناسب المقام كلقاء الثواب خاصة
او الجزاء مطلقا او العلم المحقق الشبيه بالمشاهدة والمعاينة فان حمل الظن على التوقع والطمع فمعنى ملاقاة
لقاء الثواب ونيل ما عند الله من الكرامة لظهور ان لا قطع بذلك وان حمل على اليقين اذ قرئ يعلمون
بدل يظنون فمعناها ملاقاة الجزاء فانه مقطوع به عند المؤمن لان التردد في يوم الجزاء كفر لا يصلح ان يذكر
في معرض المدح كما هنا لكن لا يخفى ان الرجوع الى الله المفسر بالنشور والمصير الى الجزاء مما لا يكفي فيه الظن بل
يجب القطع فعطف قوله وانهم اليه راجعون على انهم ملاقوا ربهم يوجب تفسير الظن بالتيقن البتة
اللهم الا ان يقدر له عامل اي ويعلمون مع انه خلاف الظاهر اه وقيل فيه بحث لان العلاقة في هذا
المجاز ان كانت المشابهة كان استعارة ولا وجه له ههنا لانها اما تصريحية او مكنية فلو كانت
تصريحية لاستعمل التيقن مكان الظن وقد عكس ههنا ولو كانت مكنية لزمها التخييلية وهي منتفية وهذا
عجيب منه فان الظن مستعمل في التيقن لما مر وقد ذكر المشبه فهي تصريحية بلا شبهة وكان النكتة في استعارة
الظن المبالغة في ايهام ان مظنون ذلك لا يشق عليه فكيف متيقنه وقوله لتضمين اللام في نسخة
اشارة لوجه التجوز كما ان وقد وقع في بعض الحواشي بالكاف وقال في معناه كما ان اطلاق الظن على
التوقع بطريق التضمين لا الحقيقة وفيه نظر من حاشية مولانا الشهاب عليه الرحمة

اباءهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف **واتقوا يوما** اي ما فيه من الحساب والعذاب **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايرادا منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا **ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول ان ينفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء **ولا هم ينصرون** يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم **واذ نجيناكم من آل فرعون** تفصيل لما اجمله في قوله تع اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن

قوله بيان ليسومونكم ٤ قد جوز فيه الجملة الحالية والبدلية والاستيناف وما ذكره المصنف هو الوجه الاخير كانه قيل ما الذي سامونهم اياه فقال يذبحون الخ واما قوله في المغني ان عطف البيان لا يكون جملة فليس فيه لانه ليس عطف بيان اصطلاحي مع ان اهل المعاني لا يسلمونه سهاب

٤٠٦

ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتى وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل اسمه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالنعمة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريباء وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل

فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه
ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها
فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا
حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم
عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني
اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى
ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم
بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلعم مع ان
ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القرآن والتحدي به والفضائل المجتمعة فيه
الشاهدة على نبوة محمد صلعم دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه الصلوة والسلام
عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا
الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن
كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده
موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد
موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو
محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون اي لكي
تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه
كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين
المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين
الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان
يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات
واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم

فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريا من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض

بصور وهيآت مختلفة واصل التركيب لخلوص الشئ عن غيره اما على سبيل

التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمدين من دينه واما الانشاء كقولهم برا الله

آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم اتماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات

كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان

يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل

كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة

سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى

وهرون فكشف السحابة ونزلت التوبة فكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى

للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك

ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف

ان جعلته من كلام موسى عليه السلم لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم

بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة

حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من

لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه

هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام

عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك اي لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله

جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها

على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح

على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم

السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به

ان الله اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد

والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا ان الله تع يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته

قوله ذلكم خير لكم جملة معترضة للتحريض على التوبة او معللة فقوله من حيث انه طهرة الى بيان الجهة الخيرية مع الاشارة الى رد طعن بعض الملاحدة حيث قالوا ان قتل النفس مستقبح في العقل يعني استقباحهم ذلك لجهلهم بالحكمة السرمدية عبد

قوله وترتيب الامر عليه في قوله فتوبوا فان تعليق الحكم بالمشتق يفيد ترتيبه عليه والاشعار الاول حاصل من ذكر البارئ بطريق التعريض والثاني من ترتيب الامر عليه فان المعنى توبوا بالقتل الى من خلقكم وانعمكم بالوجود بريا من التفاوت متميزا بالهيئات والصفات من وضع العبادة التي مناطها الخلق في غير موضعها وهو استرداد النعمة الوجودية بسبب عدم معرفة حقها وهو اختصاص العبادة بمعطيها ففيه اشعار الى الكلمة المذكورة عبد

قوله الذي يكثر توفيق التوبة ... فان النعمة ... عليكم ... عائدة على النعمة والفضل ... عبد

رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهو محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث وما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحاء امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند

فانهم لم يدخلوا بيت المقدس تعليل لارادة باب القبة والمراد ببيت المقدس تمام ارضه فيدخل فيه اريحا لانها في ارضه في التفسير الكبير انها مدينة من بيت المقدس يعني انهم لم يدخلوا ارض بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام على ما ذهب اليه الجمهور من ان موسى وهرون ماتا في التيه وفتح يوشع مع بني اسرائيل ارض الشام بعد موسى عليه السلام بثلثة اشهر على ما ذكره المص في سورة المائدة وقد دخلوا الباب في حيوته فان نزول الرجز كان في حيوته عليه السلام وقد انكشف عنهم بدعائه عليه السلام ولعدم الاختلاف فيه وظهوره لم يتعرض له وقد نص عليه في المدارك ويؤيده ان فاء التعقيب في قوله فبدل الذين ظلموا الآية يقتضي وقوع الدخول منهم لا على الوجه المأمور به بعد الامر بلا مهلة والظاهر ان الامر بالدخول على لسان موسى عليه السلام كالاوامر السابقة وبما ذكرنا اندفع ما قيل ان عدم الدخول لا ينافي الامر بالدخول لانه لا يقتضي الفور ولو سلم فيجوز ان لا يكون الامر على لسان موسى على انه قد لا ينافي كون الباب باب اريحا حتى يتعين كون الباب باب القبة فان قلت اذا كان موت موسى عليه السلام في التيه كيف يصح قوله امروا به بعد التيه وقد فرض ان الامر على لسان موسى قلت التيه في قوله بعد التيه بالكسر والفتح مصدر تاه يتيه تيها وتيها اذا ذهب متحيرا لا اسم بمعنى المفازة كيلا يحتاج الى الحذف وح كون الامر على لسان موسى بعد التيهان لا ينافي موته عليه السلام في ارض التيه عبد قوله متطامنين فالسجود بالمعنى اللغوي واليه ذهب مجاهد فانه قال طوطئ لهم الباب لينخفضوا رؤسهم فابوا ان يدخلوها سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم وقيل لعبادة ثم روى الامام محيي السنة عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم عبد

الجليل قدمت الهمزة على اليآء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل
الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب
الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه
تفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة
والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا
كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير
المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم
والرجز في الاصل ما يعاف منه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون
روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا
في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا
طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلث اعين تسيل كل عين في
جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه
آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما
وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل
بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما
قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه
بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه
متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون
وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع في طول
موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت
كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه

قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير
القول من رزق الله يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى
وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويوكل مما ينبت منه ولا تعثوا في الارض
مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون
منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا
كقتل الخضر عم الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب
فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره
في عجايب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل
ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض
او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم
يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا
يتغير الوانه ولذلك سئموا واجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ
وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سل
لنا ربك بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان
دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام
الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير
وبيان وقع موقع الحال والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه
التي توكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ
قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي
هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير
للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ
ادنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة

والفخ وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط
الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم
واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او
على تأويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرايم
فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة
القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة
لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او
على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءو بغضب من الله اي رجعوا به او
صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصله
البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب
كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال
المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية
الرجم والتي فيها نعت محمد صلعم من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا
شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز
قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب اسباب تؤدي
الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها
وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب
ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل
والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما
ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد

واختلف في الصابئين فقال السدي هم فرقة من اهل الكتاب وقاله اسحق بن راهويه قال ابن المنذر وقال اسحق لا بأس
بذبائح الصابئين لانهم طائفة من اهل الكتاب وقال ابو حنيفة رح لا بأس بذبائحهم ومناكحة نسائهم وقال الخليل
هم قوم يشبه دينهم دين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون انهم على دين نوح عليه السلام وقال
مجاهد والحسن وابن ابي نجيح هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية لا تؤكل ذبائحهم ابن عباس ولا تنكح نسائهم
وقال الحسن ايضا وقتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى القبلة ويقرؤون الزبور ويصلون الخمس رآهم
زياد بن ابي سفيان واراد وضع الجزية عنهم حتى عرف انهم يعبدون الملائكة والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره
بعض علمائنا انهم موحدون يعتقدون تأثير النجوم وانها فعالة ولهذا افتى ابو سعيد الاصطخري بكفرهم القادر
بالله حين سأله عنهم   من تفسير القرطبي

هو قوله
مجازاة لهم الخ متعلق بأحيطت وفائدته الاشارة الى بيان ارتباط هذه الآية بما قبل
وهو انه مجازاة لهم على كفران تلك النعمة كانه قيل فهبطوا وضربت عليهم الذلة والمسكنة
مجازاة لهم على كفران تلك النعمة فهو في الاسلوب كقوله تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون وفي قوله واليهود بوضع المظهر موضع المضمر اشارة الى نكتة ايراد الضمير الغائب
في عليهم وهو انه راجع الى جميع اليهود وشامل للمخاطبين بقوله فان لكم ما سألتم
ولمن بعدهم الى يوم القيمة وليس من قبيل الالتفات وانه اخبار بالغيب على ما هو كان
اليهود يوجد في غالب الامر اذلاء فقراء اما حقيقة او تكلفا ثم لما انجر الكلام الى ذكر
وعيد اهل الكتاب قرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب بعد الترهيب
فاتضح وجه توسيط هذه الآية والتي ما بعدها اعني قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا
بعد تعداد النعم وهذا اولى مما ذكره الطيبي لما حكى الله انكار موسى على اليهود باستبدالهم
الذي هو ادنى بالذي هو خير بعد تعداد النعم جاء بقوله ضربت عليهم الذلة والمسكنة استطرادا
حاكيا عن سوء صنيعهم بالانبياء وكفرهم واعتدائهم ثم اراد ان يبين للعباد عظم رحمته وشمول
كرمه فعم الكفرة اذ لا يتضمن ذلك نكتة ايراد قوله ضربت عليهم الذلة في هذا الموضع بخصوصه
بخلاف ما يستفاد من كلام المص رح فتدبر والله الموفق عبد الحكيم

[illegible]

وبلق كأنه في الجلد توليع البهق. والذي حسّن ذلك أن تثنية المضمرات والمبهمات وجمعهما وتأنيثهما ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع إن الذين آمنوا بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ويهود إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل وإما معرب يهوذا فكأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها أو من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو إن كان عربياً فمن صبأ إذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء إما لأنه خفف الهمزة أو لأنه من صبا إذا مال لأنهم مالوا عن سائر الأديان إلى دينهم أو من الحق إلى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل الإسلام دخولاً صادقاً فلهم أجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند إليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم وإذ أخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى أعطيتم الميثاق. روي أن موسى لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على إرادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب واعملوا به لعلكم تتقون لكي

قوله عبدة الملائكة قاله قتادة وقيل إنهم يقرون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة أخذوا من كل دين شيئا عبد

قوله عبدة الكواكب هم فرقتان فرقة تزعم أنها قبلة للعبادة أمرنا بتعظيمها وفرقة تزعم أنها آلهة مدبرة لما في عالمنا عبد

قوله عن سائر الأديان الوضع الإلهي إذا انتسب إلى من يؤديه عن الله يسمى ملة وإذا انتسب إلى من يقيمه لوجه الله يسمى ديناً فهذا الوجه مبني على أن يكون للصابئين دين والثاني على أن لا يكون لهم دين عبد

قوله ويرد من آمن إن يبدل البعض ظاهر وعلى الوجه الثاني أنه كيف يكون المؤمن الخالص بعضاً من المنافقين والكافرين المجاهرين أجيب بأن المراد أن هذه الذوات بعض من تلك ولا يلزم بعد إحداث الإيمان أن يصدق عليهم ذلك الوصف ويرد على الوجه الأول بالنسبة إلى الصابئين إن قلنا أن لا دين لهم وللجواب الجواب عبد

قوله بجد وعزيمة من غير تكاسل وتغافل يقال عزمت على كذا عزماً وعزماً وعزيمة وعزيماً إذا أردت فعله وقطعت عليه وفيه رد على الجبائي حيث قال هذا يدل على أن الاستطاعة قبل الفعل لأنه لا يجوز أن يقال خذ هذا بقوة إلا والقوة حاصلة فيه يعني أن المراد بالقوة العزيمة وهي قد تكون متقدمة على الفعل

قوله لكي تتقوا المعاصي يعني أن كلمة لعل متعلقة بقوله خذوا أو اذكروا إما مجاز بأول معناه بعد الاستعارة عن تمام حقيقة إلى تعليل ذي الغاية بغايته أو حقيقة لرجاء المخاطب والمعنى خذوا أو اذكروا راجين أن تكونوا متقين وإنما رجح المعنى المجازي على الحقيقي إذ لا معنى لرجائهم فيما يشق عليهم أعني التقوى إلا باعتبار تكلف أنهم سمعوا منافع المتقين ودرجاتهم فلذا كانوا راجين للانخراط في سلكهم عبد

قوله والفاء لتضمن المسند إليه سواء جعل من آمن بدلاً أو خبراً وذلك لأن اسم إن والمعطوف عليه لا يتضمن معنى الشرط لفقد السببية للأجر فاعتبر التضمن في البدل الذي هو المقصود وما ذكر من كون من مبتدأ خبره فلهم يشعر بأنه جعلها موصولة إذ الشرطية خبرها الشرط مع الجزاء لا الجزاء وحده وإذا جعل مبتدأ فإفراد الضمير وجمعه نظراً إلى اللفظ والمعنى عبد

تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف
اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق
بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلعم يدعوكم الى الحق
ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال
في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد
اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ
واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يتجردوا للعبادة فاعتدى فيه
اناس منهم في زمن داود واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية
على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك
واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت
الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت
صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا
وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا
كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد
لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر
الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها
من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها
من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال
موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تع واذ قتلتم نفسا

فاذا اذا نزفيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزآء بالامر والاستقصا في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزو او اهله او مهزوا بنا والهزو نفسه لفرط الاستهزآء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزو في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمى به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي وكيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد فيها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه الصلوة والسلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع

قوله يدل على ان يراد بها الخ فان عود الكنايات يدل على ان الكلام في البقرة المأمور بذبحها واجراء تلك الصفات على بقرة يفيد ان المقصود تعينها وازالة ابهامها بتلك الصفات كما هو شان الصفة لانها كالتكاليف متغايرة بخلاف ما اذا ذكر تلك الصفات بدون الاجراء على بقرة وقيل انها لا فارض ولا بكر فانه يحتمل ان يكون المقصود منه تبديل الحكم السابق واجيب بانهم لما تحيروا من بقرة ميتة تضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس فسألوا عن حالها وصفتها فوقعت الضمائر معينة باعتقادهم فعينها الله تشديدا عليهم وان لم يكن المراد منه اول الامر معينة ولا يخفى ما فيه لانه حينئذ لم تكن الضمائر عائدة الى ما امروا بذبحها بل لما اعتقدوها والظاهر من النص خلافه قوله ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب لا عن وقت الحاجة على ما وهم لان الامر لا يوجب الفور قوله فان التخصيص الخ هذا مذهب من يقول الزيادة على الكتاب نسخ كجماهير الحنفية قالوا الامر المطلق يتضمن التخيير وهو حكم شرعي والتقييد يرفعه ولقائل ان يمنع من التخيير فيه حكم شرعي اذ الامر المطلق انما يدل على ايجاب ماهيته من حيث هي بلا شرط لكن لما لم يتحقق الماهية من حيث هي الا في ضمن فرد معين جاء التخيير عقلا من غير دلالة النص عليه وايجاب الشيء لا يقتضي ايجاب مقدمته العقلية اذ المراد بالوجوب الوجوب الشرعي من الجائز ان يعاقب المكلف على ترك ما يشمله مقدمة عقلية ولا يعاقب على ترك المقدمة كذا نقل عن المصنف في منهياته قوله تؤمرونه تشير الى انه حذف الجار شاع في هذا الفعل حتى لحق بالمتعدي الى مفعولين فصار ما تؤمرون ينعقد به ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به لا ينعقد به فالمحذوف هو العائد المنصوب واستشهد على شيوع الحذف والايصال بالبيت لخزم فقد تركتك ذا مال وذا نشب ذا مال اي ذا ابل وماشية والنشب المال الاصيل وهو اسم يجمع الصامت والناطق قوله او امركم فما مصدر به والمصدر بمعنى المفعول كما في قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون على احد الوجهين قوله يؤكد به اي يوصف به للتأكيد عبد الحكيم

لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع

نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده

الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة

صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد

لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى

لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول

نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف

زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين

والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر

ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت

مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة و

ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو

لم يستثنوا لما تبينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله وان

الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية

على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة

لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول

صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول

كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت

برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها

من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف

لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر

قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن جئت

بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام **فذبحوها** فيه اختصار
والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها **وما كادوا يفعلون** لتطويلهم وكثرة
مراجعاتهم أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل أو لغلاء ثمنها إذ روي أن شيخا صالحا
منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر فشبت
وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء جلدها
ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر
حصولا فإذا دخل عليه النفي قيل معناه الإثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح أنه
كسائر الأفعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما
إذ المعنى أنهم ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا
كالمضطر الملجأ إلى الفعل **وإذ قتلتم نفسا** خطاب الجمع لوجود القتل فيهم **فادارأتم فيها**
اختصمتم في شأنها إذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا أو تدافعتم بأن طرح كل قتلها
عن نفسه إلى صاحبه وأصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة وأعمل مخرج لأنه حكاية مستقبل كما أعمل
باسط ذراعيه لأنه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على ادارأتم وما بينهما
اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص والقتيل **ببعضها** أي بعض كان
وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالأذن وقيل بالعجب **كذلك
يحيي الله الموتى** يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل
أو نزول الآية **ويريكم آياته** دلائله على كمال قدرته **لعلكم تعقلون** لكي يكمل عقلكم وتعلموا
أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها أو تعملون على قضيته ولعله تعالى إنما
لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه
على بركة التوكل والشفقة على الأولاد وأن من حق الطالب أن يقدم قربة والمتقرب
أن يتحرى الأحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن المؤثر
في الحقيقة هو الله والأسباب أمارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف أعدى عدوه

فاماته الموت الحقيقي فطر بعد ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها
شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا
مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيا حياة طيبة وتعرب
عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارئ والنزاع ثم قست قلوبكم
القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار
وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها
مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة
مثل الحجارة او زائد عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما
لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل
على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما
هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر
وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتنفجر منه الانهار ومنها ما يتردى
من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره
والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة
من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله
بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر
ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله صلعم والمؤمنين
ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم
طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد صلعم وآية
الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله
حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا

الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اى فهموه بعقولهم ولم
لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الاية ان احبار هؤلاء
ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا
وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعنى منافقيهم قالوا آمنا بانكم
على الحق وسولكم هو المبشر به فى التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اى الذين لم ينا
منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم فى التورية من نعت
محمد او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب فى اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجد
فى كتابهم فينافقون الفريقان فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثانى انكار
ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله
وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه فى كتابه وحكمه وقيل عند ذكر
ربكم او بما عند ربكم او بين يدى رسول ربكم وقيل عند ربكم فى القيامة وفيه نظر
اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم
يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى
افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم فى ايمانهم اولا يعلمون يعنى هؤلاء المنا
او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار
غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا
امانى استثناء منقطع والامانى جمع امنية وهى فى الاصل ما يقدره الا
فى نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقراء
والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد
فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار
لم تمسهم الا اياما معدودات وقيل الا ما يقرأون قراءة عارية عن معرفة

قوله اما من تمام كلام اللائمين فيكون عطفا اما على تحدثونهم
والفاء لافادة ترتب عدم عقلهم على تحدثهم واما على مقدر اى لا
تتاملون فلا تعقلون والجملة مؤكدة لانكار التحدث وكذا الحال
لو كان خطابا للمؤمنين ولذا قال متصل بقوله افتطمعون قوله
يعنى هؤلاء المنافقين الخ فيه اشارة الى انه ليس من تتمة كلامهم بل
هو جملة معترضة والاستفهام فيه للانكار مع التقريع لان اهل
الكتاب كانوا عالمين باحاطة علمه تعالى والمقصود بيان شناعتهم
فى حالهم بانهم يفعلون ما ذكر مع علمهم باحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء
وفيه اشارة الى ان الاتيان بالمعصية مع العلم بكونها معصية اعظم
وزرا قوله ومنهم اميون اتفق كلمة شراح الكشاف على انه
عطف على قد كان فريق منهم فسبيله وقوله واذا لقوا اما عطف
عليه او على قوله يسمعون فعلى الاول يكون مضمون الايتين
ازالة الطمع عن ايمان اليهود ببيان انهم اربع فرق محرفون و
منافقون ومانعون عن اظهار الحق وجاهلون مقلدون فى كل
واحد منهم صفة يمتنعون بسببها وعلى الثانى ببيان
انهم فرقتان علماء معاندون وجهلة مقلدون وحينئذ
لا يصح ما ذكره المص سابقا ومعنى الاية ان احبارهم ومقدميهم
فان مؤداه ازالة الطمع ببيان حال اسلافهم ولو جعل قوله
واذا لقوا الذين آمنوا عطفا على واذ قتلتم نفسا عطف
قصة اليهود على قصتهم وقوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
عطفا عليه بان يجعل الملاقات والمقاولة المذكورة بين علمائهم
المنتسبين الى المنافقين وغيرهم بقرينة قوله اتحدثونهم بما فتح
الله عليكم فان التحدث والفتح بالذات انما هو منهم صح ما
ذكره المص فى معنى الاية لكن يشكل ربط قوله فويل للذين يكتبون
الكتاب فانه وعيد للمحرفين متعلق بقوله وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله الاية فالوجه ان يقال ان قوله واذا لقوا الذين مع ما عطف
عليه من قوله ومنهم اميون اعتراض وقع فى البين لبيان اصناف
اليهود استطرادا لذكر المحرفين وهو الاظهر اذ جعل واذا لقوا
الذين الاية حالا لا يخلو عن بعد واقتصر على ذكر وعيد المحرفين
عبد الحكيم

للعمى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله . تمنى داود الزبور على رسل

وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم

لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه

كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اى تحسر وهلك ومن قال انه

واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك

مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعا للذين

يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة

بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا

قليلا كى يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه

من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به

الرشا

وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس

كالطلب له ولذلك يقال المس فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة

روى ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة ايام

الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم

عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال

والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم

عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال

ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين

التقرير

كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على الله

والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا

على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب

سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال بما يقصد بالذات

والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء والكسب استجلاب النفع

قوله يعني المحرف ان جعل ما موصولة فبيانا لها وان جعل مصدرية فتقدير المفعول كتبت وكذا الحال في قوله الرشى والفاء في قوله فويل لتفصيل ما اجمل في قوله فويل للذين يكتبون الكتاب الاية حيث يدل على ثبوت الويل للموصوفين بما ذكر لا جل اتصافهم به بناء على التعليق بالوصف من غير دلالة على ان ثبوته لاجل مجموع ما ذكر او لا بل لكل واحد فبين ذلك بقوله فويل لهم مما كتبت ايديهم مع ما فيه من التنصيص بالعلة ولا يخفى ما في هذا الاجمال والتفصيل من المبالغة في الوعيد والزجر عن تهويل شان التحريف وقيل الفائدة في تكرار الويل ثلاث مرات فانه قد صح ان اليهود جنوا ثلاث جنايات تغيير صفة النبي عليه الصلاة والسلام والافتراء على الله واخذ الرشوة فهددوا بكل جناية بالويل انتهى ولهذا جعل محط الفائدة في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون الى المعطوف كما في قوله عليه السلام لا يؤمن الرجل قوما فيخص نفسه بالدعاء هذا لكن يظهر على هذا وجه ايراد الفاء في الثاني قوله وقالوا لن تمسنا النار قيل انه جملة حالية معطوفة على قد كان فريق منهم والا وجه انه اعتراض لرد ما قالوا حين اوعدوا بالتحريف والكسب الخبيث بالويل اى وقال هؤلاء نحن ان اوعدوا بالويل بجميع الجمل المذكورة من قوله تعالى افتطمعون الى قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل ذكرا استطراديا بين القصتين المعطوفتين وقيل انه عطف على قوله واذ قتلتم عطف قصة على قصة لكن تباعد ههنا وايراده في السابق واللاحق يابى عنه قوله واللمس كالطلب له اى ينبئ عن اعتبار الطلب معه سواء كان داخلا في مفهومه او لازما له فانه في الاصل المس باليد على ما في الصحاح والتاج والقاموس ولعدم الجزم بالدخول اورد الكاف لان معناه مجرد الطلب لعلى ما وهم فاورد عليه قوله تعالى وانا لمسنا السماء قوله محصورة قليلة اشارة الى ما ذكره الراغب من ان المعدودة كناية عن قلتها فانها على ان الاعراب لعدم علمهم بالحساب وقواعده يتصورون القليل متيسر العد والكثير متعسره فقالوا شيء معدود اى قليل وغير معدود اى كثير وقيل كانوا قلة يستفاد من ان الزمان انما يعد بالايام بل بالشهور والسنة والقرن ويشكل هذا بقوله كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات وبقوله تعالى وواعدنا موسى اربعين ليلة قوله روى انه اشارة الى ان ماخذ تعيين العدد الرواية دون الاية على ما قيل ان لفظ الايام جمع قلة يكون مميزا للعشرة فما دونها فالمراد اما الاقل او الاكثر لانه ذلك حين ذكر العدد والمعدود قوله خبرا او وعدا يعني ان العهد مجاز عن خبره تعالى ووعده بعدم مساس النار لهم سوى الايام المعدودة وانما سمى خبره تعالى عهدا لانه اوكد من العهود المؤكدة بالقسم والنذر قوله اى ان اتخذتم اى ان كنتم اتخذتم اذ ليس المعنى على الاستقبال فان قلت فلا يصح جعل فلن يخلف الله جزاء لامتناع السببية والترتب لكون لن لمحض الاستقبال قلت ذلك ليس بلازم في الفاء كما في قوله تعالى فما بكم من نعمة فمن الله كذا افاده المحقق التفتازاني والجواب الاول مبني على ان الفاء الفصيحة على امر اخر بدليل ان قوله فقد جئنا خراسانا علم عندهم في الفصيحة مع كونه بتقدير الشرط وعدم الترتب كما نص عليه في شرح المفتاح الشريفي ومبنى الثاني على ان المراد حكمهم بان لا يخلف الله عهده اى ان كنتم اتخذتم عهدا فحكمتم بانه لن يخلف الله عهده فلا يرد ما قيل انه انما يتم لو لم يجعل جزاء الشرط وان اتخاذ العهد في الماضي والحكم حين النزول فكيف يتم الترتب والتعجب فقد تجوز مع ان اتخاذه في الاستقبال قوله للعلم اى لعلم المستفهم وهو النبي عليه السلام بوقوع احدهما على التعيين وهو الاخر فلا يكون الاستفهام على حقيقته نقل عن المصنف في منهياته ويعلم من هذا ان الواقع بعد ام المتصلة قد يكون جملة لان التسوية قد يكون بين الحكمين وبهذا صرح ابن الحاجب في الايضاح وقال صاحب المفتاح علامة ام المنقطعة كون ما بعدها جملة قوله على وجه اعم حيث اثبت في حق كل من كسب سيئة واحاطت به خطيئته ومن جملتهم هؤلاء ليكون ثبوت الكلية كالبرهان على بطلان قولهم بجعله كبرى لصغرى سهلة الحصول ولعل هذا يكون بلى داخلة على قوله من كسب سيئة واعمال اختيارهم على كون المثبت محذوفا ويكون قوله من كسب سيئة مذكورا لاثباته وتقريره لا يتحاشى ابلغ من لحجان الحذف مع ان مؤداهما واحد عبد الحكيم

وتعليقه بالتبة على طريقة قولهم فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته
اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلوا عنها شئ من
جوانبه وهذا انما يصح فى شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق
قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك
ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب
ما هو اكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مايلا
الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا
لمن ينصحه فيها كما قال الله تع ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآى ان كذبوا
بايات الله وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام
فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها فى الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا
هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود
الكافر لما عرفت من معنى الاحاطة
صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه على ان يشفع وعده بوعيده لترجى
رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ
اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار فى معنى النهى كقوله تع
ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان
المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا
عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان
رفع كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون
بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه
قال حلفناهم لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالتا حكاية لما خوطبوا به والباقون باليا لانهم غيب وبالوالدين احسانا
متعلق بمضمر يقال احسن به واحسن اليه قال الله تعالى وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن وقال واحسن كما احسن
متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وذى القربى واليتامى والمساكين

هط

قوله نزل تغير الصفة الخ يعني كان مقتضى الظم ثم انتم بعد ذلك التوكيد في الميثاق نقضتم العهد فتقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم اي صفتكم الان غير الصفة التي كنتم عليها فادخل هؤلاء واوقع خبرا لانتم ليفيد ان الذي تغير هو الذات نفسها نعيا عليهم لشدة وكادة الميثاق ثم تساهلهم فيه وقلة المبالاة وتغير الذات فهم من وضع اسم الاشارة الموضوع للذات موضع الصفة لان جعل ذات واحد في خطاب واحد مخاطبا وغائبا والا لفهم ذلك من نحو قوله بل انتم قوم تجهلون بل ولا يحسن في وهمك انه اذا اعتبر تغير الذات لا يصح الحمل لانه ادعائي وفي الحقيقة الذات واحد ولذا تعرض لدفع انه كيف يصح جعله في حال واحد غائبا وحاضرا بقوله وعدهم باعتبار ما اسند اليهم من الافعال المذكورة سابقا لتعلق العلم بهذا الاعتبار حضورا مشاهدين باعتبار ما سيحكي عنهم من قوله تقتلون الى اخر القصة لعدم تعلق العلم بهم بهذا الاعتبار غيبا لا لان المعاصي يوجب الغيبة عن عز الحضور اذ المناسب الغيبة في تقتلون وتخرجون عبد الحكيم

عطف على الوالدين. ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل. ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة. وقرا حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض الله عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريق الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلعم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفا والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض

واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضكم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر

وقرئ تتعاونون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او من كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم. وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه. وقرئ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيدا او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب و يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة آثروا الحياة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا

عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص
والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو
بالعبرية من النسا كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه
مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح
المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق واراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها
به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافه الى نفسه او لانه
لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان
يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح
هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفا وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم
ذلك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفا للعطف
على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء
للسببية او التفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل
او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه
وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا
تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف
والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون
بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة
والتمكن من قبول الحق ولكن خذلهم الله بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب
قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم
او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون
فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب

قوله ويحتمل ان يكونا استينافا اي ابتدا كلام استيناف بلفظ الاحتمال الى ضعفه لما ذكر
الرضي انه لو كان كذلك لجاز وقوعها في الكلام قبل ان يتقدمه ما كان معطوفا عليه ولم
يجي الا مبنيا على كلام متقدم قوله والفا للعطف على مقدر في الكشاف ويجوز
ان يراد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك يعني ما
عقبوا الايتا محذوف وهو المقدر بعد الهمزة للتوبيخ كانه قيل افعلتم ما فعلتم
وكلما جاءكم ثم المقدر يجوز ان يكون عبارة عما وقع بعد الفا فيكون العطف للتفسير
وان يكون غيره مثل اكفرتم النعمة واتبعتم الهوى فيكون بحقيقة للتعقيب قوله والفا
للسببية او التفصيل ان كان التكذيب والقتل مترتبين على الاستكبار فالفا
للسببية وان كانا نوعين منه فللتفصيل قوله
او للدلالة الخ فالمضارع للحال ...
قد تقدم قتل البعض والمراد من القتل
مباشرة الاسباب الموجبة له والجواب
ولولا محذوف اي لولا اني اعصمه لقتلتموه وما قيل انه لا حاجة
الى تعميم القتل لان محمدا عليه السلام مقتولهم لانه شهيد السم الذي
ولو علي وقع في البخاري بلفظ وهذا اوان
وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم ففيه انه
لم يتحقق منهم الفعل في زمن نزول الآية بل مباشرة
فلا بد من التعميم المذكور عبد الحكيم
قوله عطف وقالوا قلوبنا غلف عطف على قوله استكبرتم وكلما ظرف لاستكبرتم
او على كذبتم فيكون تفسيرا للاستكبار وعلى التقديرين ففيه التفات
من الخطاب الى الغيبة اعراضا من مخاطبتهم وابعادا لهم عن عز الحضور قوله باغطية
خلقية اعتبر الخلقية ليكون وجه التشبيه لما له نوع اختصاص بالمشبه به وليفيد
المبالغة في عدم نفوذ ما جاء به في قلوبهم وهذا كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقصدوا
بذلك اقناط الرسول عليه السلام من الاجابة وقطع طمعه عنه بالكلية لان قلوبنا لم
تخلق على فطرة قبول الحق قوله انها خلقت على الفطرة الخ لان كل مولود على فطرة
التمكن من النظر الصحيح الموصل الى الحق قوله لكن الله خذلهم بكفرهم فانهم بسبب
اعتقاداتهم الفاسدة وجهالاتهم الباطلة الراسخة في قلوبهم ابطلوا الاستعداد
الخلقي للنظر الصحيح كما هو شان الجاهل بالجهل المركب عبد

وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم
من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف
دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون
على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة او يفتحون
عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار
بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا او
على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم
لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا
اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس
المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم
خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم
بغيا طلبا لما ليس لهم وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل
اي حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو وسهيل ويعقوب بالتخفيف
من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب
على غضب بالكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى
او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب
العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها
قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتوراة ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير في قالوا
ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو
خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو
الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم
فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل
ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة

قوله دون اشتروا رد على الكشاف بانه يستلزم الفصل بالاجنبي لان المخصوص بالذم وان
لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله لكن لا خفاء في انه اجنبي بالنسبة الى الفعل
الذي وصف به تمييز الفاعل وقد يقال ليس الفصل بالاجنبي لان المخصوص بالمدح على المختار
خبر لمبتدا محذوف والجملة جواب السؤال عن فاعل بئس فيكون الفصل بين المعلول وعلته بما
هو بيان للمعلول ولا امتناع فيه لانه نظير قوله وكانوا فيه من الزاهدين قوله علا قا
اشارة الى ان الوصف للتقبيح فلا تمسك للخوارج بانه خص العذاب بالكافرين فيكون
الفاسق كافرا لانه معذب ولا للمرجئة قوله حال لتفيد بيان شناعة حالهم بانهم
متناقضون في ايمانهم لان كفرهم بما وراءه حال الايمان بالتوراة يستلزم عدم الايمان به
قوله في الاصل مصدر بدليل اشتقاق المواراة والتواري منه كان المزيد فرع المجرد الا انه لم
يستعمل فعله المجرد اصلا قوله فيراد به ما يتوارى به اي يراد بالوراء المكان الذي يستتر بالفاعل
وهو خلف ذلك الفاعل وكذا معنى قوله فيراد به ما يواريه يراد به المكان الذي يستر الفاعل وهو
قدام الفاعل عبد الحكيم

محذوف اي شيء اشتروا وذهب بعضهم الى ان ما موصولة بمعنى الذي فاعله وان يكفروا هو المخصوص
وقيل ما مصدرية والتقدير بئس اشتراؤهم وهو المخصوص بالذم وفاعلها مضمر والتمييز محذوف
ومنه علم جملة وجوه الاعراب شهاب فباؤا بغضب على غضب اي رجعوا متلبسين بغضب
كائن على غضب مستحقين له حسب اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل
كفروا بمحمد عليه السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم
تفسير ابي السعود

لا نوعه وانما اسند اليهم لانه فعل اباءهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ

نافع وحده انبياء الله بالهمز في كل القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات

التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع ايات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها

من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال يعني اتخذتم العجل ظالمين

بعبادته او بالاخلال بايات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية

ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة

اسلافهم مع موسى لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا

فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية

بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم

العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب

والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم

نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب

منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتورية

والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة

في الايات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان

بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين ما امركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم

بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا

يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت

لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة لكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا

ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد

فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها

من الدار ذات الشوائب كما قال علي لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال

عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب

٥٦

قوله لان من ايقن الا ان اثبات الملازمة مع الاشارة الى ان تمني الموت لاجل الاستباق الى النعيم ولقاء الكريم غير منهي انما المنهي لاجل ضر اصابه فانه اثر الجزع وعدم الرضا بالقضا ولذا استشهد عليه مما جاء في الاثار قوله كما قال علي رضي الله عنه روي ان عليا رضي الله عنه كان يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن رضي الله عنه ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وسقوطه على الموت ان كان عالما باسبابه وسقوط الموت عليه ان يفجأه الموت قوله عمار بصفين بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء المكسورة موضع كان فيه حرب علي ومعاوية رضي الله عنهما عبد

على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنى سيما اذا علم انها سالمة له لا ينازكره فيها غيره

ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف

التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها

اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان

كما اخبر لانهم لو تمنوا النقل واشتهر فان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول

ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى صلعم لو تمنوا الموت لغص كل انسان

بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى والله عليم بالظالمين تهديد لهم

وتنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص

الناس على حيوة من وجد بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة

لانه اريد بها فرد من افرادها وهى الحياة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا

محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة

فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحياة العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع

فانه لما زاد حرصهم وهم يقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم

صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول

عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا

اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة

حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان

اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه

من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمزحزحه

من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل

سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت

عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان

عدوا لجبريل نزل فى عبد الله بن صوريا سال رسول الله عن من ينزل عليه فقال جبريل

قوله وما احدهم من بمزحزحه ابقيد الكلام الحكم بتبانى الذاتين وهو ابلغ من ان يقال وما

هو اى التعمير بمزحزحه من العذاب فلذا لم يكتف عليه مع ما فيه من الاشارة الى ثبوت

من يزحزحه التعمير وهو من امن وعمل صالحا قوله وان يعمر بدل منه اى ما نعمره بمزحزحه

من العذاب لكن لما كان لفظ التعمير غير مذكور بل ضميره حسن الابدال ولو كان التعمير

مذكورا لفظا لكان ثانيا فى تاكيد لا بدلا منه وكونه فى الحقيقة تكرارا يفيد فائدته

من تقرير المحكوم عليه اعتناء بشان الحكم عليه بناء على شدة حرصه على التعمير وودادته

اياه ولذا جاز الفصل بينه وبين المبدل منه بالخبر كما جاز فى التاكيد فى قوله تع وهم

بالاخرة هم كافرون قوله او مبهم اى الضمير مبهم والتفسير بعد الابهام اوقع فى نفس السامع

ويستقر فى ذهنه كونه محكوما عليه فدلت الحكم والفصل بالظرف بينه وبين مثل هذا

الضمير وتمييزه لشدة احتياجه اليه الا بالظرف قال الله تعالى بئس للظالمين بدلا

قوله وقيل سنهة مرضه لان مجئ سانهة لا يقتضى ان يكون اصل سنة سنهة لجواز كون

كل كلمة براسها فى الصحاح والعرب تقول تسنيت عنده وتسنهت واستاجرت

مساناة ومسانهة وفى التصغير سنية وسنيهة والمسانهة جرى بسال افراد ادن

قوله والزحزحة التبعيد مضاعف من زح يزح زحا اى دفع نحو كبكب من كب

ففيه مبالغة والمراد مبالغة النفى كما فى قوله وما ربك بظلام للعبيد وكذا قال القاضى

المراد انه لا يوثر فى ازالة العذاب اقل تاثير فان قلت كيف يصح ذلك والتعمير يفيد

دفع العذاب مدة البقاء قلت وان حصل الامهال بحسب الزمان لكنهم لا قترافهم

المعاصى بالتعمير زاد عليهم من حيث الشدة فلم يوثر فى ازالته اوفى تاثير بل زاد فيه

حيث استوجبوا عقابا لايام معدودة شدة عذاب الابد عبد

فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره
بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدراس اليهود يوما فسألهم
عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب
وميكائيل صاحب الخصب والسلم فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر
من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو لله عز وجل ثم رجع عمر فوجد جبريل قد
سبقه بالوحي فقال عليه الصلوة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات
قرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء
وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل
كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرال وجبرين ومنع صرفه
للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن
واضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق
ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي
لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره وتيسيره حال
من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر
ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف
او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا
للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته
انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد
بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره
تفخيما لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما

كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة
من الله وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة
واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان الله تعالى
عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو
ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكاييل ولقد
انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق
اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا
حين قال لرسول الله ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا
عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا
وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا
وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال
فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون
او ان من لم ينبذها جهارا فهم يؤمنون بها خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم كعيسى ومحمد نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم
بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض
عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به
رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق
فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم
بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا
وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن
نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين
بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا

قوله كما يفعله اهل الحيل بمعونة الالات اي الاعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الالات المركبة على النسبة الهندسية تارة وعلى ضرورة الخلاء اخرى مثل فارسين يقتتلان فيقتل احدهما الاخر وكفارس في يده بوق كلما مضت ساعة ضرب البوق من غير ان يمسه احد قوله والادوية اي بمعونة الادوية نحو دماغ الحمار اذا تناوله الانسان يبلد عقله ويقلب فطنته وبخور الضفدع اذا وضع في السراج يرى البيت مملوا من الماء ويسمى هذا النوع بالنيرنجات قوله او يريك صاحب خفة اليد فان المشعبذ الحاذق تظهر على شيء يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئا اخر عملا بسرعة شديدة وح تظهر لهم شيء اخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدا قوله والعطف لتغاير الاعتبار كالعطف في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم تنزيلا لتغاير المفهوم منزلة تغاير الذات وعلى هذا فالمراد بما انزل الجنس وفائدة العطف التنصيص بانهم يتعلمون ما هو جامع بين كونه سحرا وبين كونه منزلا على الملكين للابتلا فيفيد ذمهم بارتكابهم النهي بوجهين قوله وتمييزا بينه وبين المعجزة وذلك ان السحر كثر في ذلك الزمان واستظهروا امورا غريبة وادعوا النبوة وتحدوا بها فبعث الله الملكين لتعليم ابواب السحر حتى تمكن الناس من معارضة اولئك المدعين قيل كان ذلك في زمن ادريس عليه السلام قوله وما روي انهما يعني ان ما روي من حكاية لما قاله اليهود فبطلانه في نفسه كاثباتها في صحة الرواية فلا يرد ما قيل رواه مرفوعا الامام احمد وابن حبان والبيهقي وغيرهم وموقوفا عن علي وابن مسعود وابن عباس باسانيد صحيحة نعم يرد ذلك على ما قال الامام من ان هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة قوله ولعله من رموز الاوائل اي ما عندي في حله ان الروح والعقل اللذين هما من عالم القدس قد انزلا من سماء التجرد الى ارض التعلق فعشقا للبدن الذي هو كالزهرة في غاية الحسن والجمال لتوقف كمالهما عليه فاكتسبا بتوسط المعاصي والشرك تحصيل اللذات الحسية الدنية ثم صعدت الى السماء بان وصل بحسن تدبيرهما الى الكمال اللائق به ثم مسخ بان انقطع التعلق وتفرقت العناصر وهما بقيا معذبين بعذاب الحرمان عن الاتصال بعالم القدس بالالام الروحانية منكوسي الحال حيث غلب عليهما التعلق على التجرد وانعكس القرب بالبعد وقيل حله ان من كان ملكا ان اتبع الشهوة هبط عن درجة الملائكة الى درج البهيمة ومن كان امراة ذات شهوة اذا كسرت شهوتها وغلبت عليها صعدت الى درج الملك واتصلت الى سماء المراتب والمنازل قوله ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين يعني قال انهما ليسا ملكين انما هما شيطانان من الجن والانس وجعلهما نصبا في اللفظ بدلا من الشياطين في قوله ولكن الشياطين كفروا على قراءة التشديد وجعل وما انزل على الملكين نفيا اعتراضا بين البدل والمبدل منه وفيه انه مخالف لصريح سابقا من انه حينئذ نفي معطوف على ما كفر سليمان وحمل قوله وقيل انه نفي معطوف على وجه ذكره الامام وهو انه نفي معطوف على ما كفر وما يعلمان انفي حتى يقولا تاكيد لراي لا يعلمان السحر لاحد بل ينهيانه حتى يقولا انما نحن فتنة والنه كقولك ما امرته بكذا حتى قلت له ان فعلت نالك كذا وكذا وقوله فيتعلمون عطف على يعلمون السحر منهما راجع الى الكفرة والسحر او الفتنة بالسحر مع كونه ركيكا في نفسه لانه اذا لم ينزل على الملكين شيء من السحر فما وجه كونهما ابتلاء لا يساعده عبارة المصرح اذ ليس في كلامه اشارة الى شيء مما ذكر وغاية التوجيه ان يقال ان المراد بقوله معطوف على ما كفر انه في الاصل معطوف عليه لا رتباطه به الا انه جعل اعتراضا بين اجزاء الجملة الاستدراكية على خلاف مقتضى الظاهر اهتماما بشانه وابقاء العناية بحال الاستدراك على حالها فانه لو قدم فات العناية بالاستدراك ولو اخر فات الاهتمام بشانه قوله فلا تكفر باعتقاده وفي الكشاف فلا تتعلم معتقدا انه حق حتى تكفر وهذا على راي الاعتزال من ان السحر تمويه وتخييل ومن اعتقد حقيقته يكفر وقال اهل السنة السحر حق عبد الحكيم

كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي يقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية او يريك صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله

فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه
والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من
اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون
منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون
سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة
بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه
والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا
ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد
علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل والاظهر ان اللام
لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم
يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين
او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي
او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون
بعلمهم فان من لم يعمل بما علم كان كمن لم يعلم ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب واتقوا
بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية
ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل
من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء قليل من الثواب خير وقيل لو للتمني
ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن
يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا
ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون
يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمعه اليهود
فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي

قوله يحتمل الامرين اي البيع والشراء باعتقادهم على ما مر في تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم هذا المعنيين
والجملة اعتراض لتقبيح امرهم وجواب لو كانوا يعلمون محذوف اي ارتدعوا او كان خيرا لهم قوله يتفكرون فيه ا
اشارة الى سؤال واجوبة اوردها الراغب في تفسيره حيث قال ان قيل كيف اثبت لهم العلم في اول الكلام
ونفى عنهم في اخره فالجواب من وجه الاول ان المثبت لهم هو العقل الغريزي وما حصل لهم بطبيعة والمنفي عنهم
هو المكتسب الذي هو من جملة التكليف والثاني ان المثبت لهم هو العلم بالتفصيل فقد يعلم الانسان
مثلا قبح الشيء ثم لا يعلم ان فعله قبيح فكانهم علموا ان شرى النفس بالسحر مذموم لكن لم يتفكروا ان ما يفعلونه
هو من جملة ذلك القبيح والثالث انهم علموا عقاب الله لكن لم يعلموا حقيقة عذابه وشدته والرابع ان معنى قوله
لو كانوا يعلمون يعملون به لان من لا يعمل في حكم لا يعلم انتهى والكلام على الوجوه الثلثة مخرج على مقتضى الظاهر
وعلى الرابع على خلافه لكونه من تنزيل وجود الشيء منزلة عدمه لعدم ثمرته فلذا اخر عنها ومرضه المص ولان
حاصلها منع اتحاد العلم في الموضعين وحاصل الرابع تسليم الاتحاد وجعله مجازا عن العمل والتسليم بعد المنع
ثم مبنى منع الاتحاد على ارادة الفردين المتغايرين للعلم اعني العلم الغريزي والمكتسب او الاجمالي بالقبح او ترتب
العقاب والتفصيلي باحدهما الا ان العلم مجاز عن التفكر والمفعول محذوف كما توهم من قوله يتفكرون فيه ا
يرشدك الى ذلك قوله والمثبت لهم العقل الغريزي او العلم الاجمالي او ما نقلناه من كلام الراغب قوله ولمثوبة كلام
مبتدأ لما توهم في ذلك قبل هذا القصر والتمني فاجيب بانه ... ماستى قليل منه
خير من الدنيا وما فيها وهم لا يعلمون ذلك وفائدة التمني والاستيناف التحريض والحث على الايمان قوله لاثيبوا
ا دفع ما اشكال لفظي وهو ان جواب لو انما يكون فعلية ماضوية ومعنوي وهو ان خيرية المثوبة ثابتة لا تعلق
لها بايمانهم وعدمه ولاجل هذين الاشكالين قال بعض النحاة ان اللام جواب قسم محذوف وفي التقدير ولو امنوا و
اتقوا لكان خيرا لهم ولمثوبة من عند الله خير والمص صاحب الكشاف اختار انه الجزاء لتضمنه البلاغة مطلقة
الحذف والماضوية وجواب لو اعم من ان يكون حقيقة او تاويلا قوله ليدل على ثبات المثوبة يعني ان النصب لما كان
والاصل الفعل والفعل على الحدوث عدل عنه الى الرفع وركبت الجملة الاسمية ليدل على ثبوت المثوبة ثم لا يخفى ان الفعل
لدلالته على الزمان يفيد حدوث مدلوله اعني الحدث وحدوث النسبة ايضا لتلازمهما فاذا عدل منه الى الاسم
نفضا لغبار الحدوث لتوصل به مع معونة المقام الى الثبات والدوام كان مدلول الجملة الاسمية ثبات
المثوبة وثبات نسبة الخيرية اليها الا انه لما كان المقصود هنا ثبات المثوبة ودوامها تحسيرا لهم على حرمانهم
المثوبة الدائمة وترغيبا لمن عداهم في الايمان اكتفى به ولم يتعرض لثبات نسبة الخيرية اليها فاندفع ما قيل
انه يدل على ثبات المثوبة بل على ثبات الخيرية ولا يحتاج في دفعه الى ما قال العلامة التفتازاني من انه عدل الى لهم
واستقرارها على تقدير الايمان والتقوى ثم الى المثوبة من عند الله خير تحسيرا لهم على حرمانهم الخير وترغيبا من سوى
في الايمان والتقوى فانه تكلف اما اولا فلانه لا دلالة على العدول الى المثوبة لهم فيفيد القصر والترغيب المذكورين
من غير احتياج الى العدول الى مثوبة خيرية الى الحاصل ان ثبات كون المثوبة خيرا يستلزم ثبات المثوبة لان
دوام الصفة يقتضي دوام الموصوف فانه لو صح ذلك يلزم اقتضاء كل قضية دائمة موضوعها والسر ان دوام نسبة
المحمول الى الموضوع معناه ثبوته اياه ما دام ذاته موجودا فلا يقتضي دوام ذاته قوله والجزم بخيريتها اي
اي المثوبة لانه اذا افادت ثبات المثوبة كان الحكم بمنزلة التعليق بالمشتق كانه قيل لمثوبة دائمة خير لثباتها ودوامها
وقيل لانه لما عدل عن الفعلية المعلقة عاملها من الشرط تعليقا يا في الجزم الى الاسمية الخالية عن علاقة
التعليق حصل الجزم وفيه ان خلوها عن علاقة محال كيف وقد قال المص انه جواب لو ولو سلم فالمفاد عن تقدير
قطع التعليق تحقق مضمون الجزاء في نفس الامر مطلقا غير مقيد بتحقق الشرط لا الجزم بثبوت المسند للمسند
اليه قوله لشيء العنوان المقام تقتضي الترغيب في الثواب والزجر عن المعاصي فالمعنى لشيء قليل من ثواب الله
خير مما شروا به انفسهم فجمع في الاية بين معنى الدوام والقلة ليؤذن بان قدرا يسيرا من الثواب في الاخرة خير من
ثواب كثير من ثواب الدنيا مع الزوال كيف وثواب الله كثير دائم قوله وقيل لو للتمني ضعفه لان اصل لو ان يكون
للشرط ثم صاحب الكشاف حمل التمني مجازا عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له بناء على مذهبه وحمل التمني على
التمني من جهته تعالى وعندنا محمول على التمني من جهة العباد يعني انه من عرف طغيانهم وتماديهم في الكفر يتمنى
ايمانهم كما يتمنى الشباب بعد الشيب او مجاز عن طلب المستبعد المحال قوله راعنا اي راقبنا يعني ان
مرادهم من رعاية النبي عليه السلام اياهم حفظ مصلحتهم ان يراقبهم ويتانى بهم في القاء ما يلقنهم لا ان معنى
راعنا راقبنا ولعل ذلك السؤال اما لقصور فهمهم لغموض ما القي اليهم او لتعجيل النبي بواسطة حرصه على تعجيل
افهامهم قوله مريدين نسبته الى الرعن بجعلوه مشتقا من الرعونة وكانوا اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا
راعنا يعني يا احمق كذا في العالم فالالف لمد الصوت وحرف النداء محذوف فالاصل يا زيد يا زيدا ليكون
المنادى بين الصوتين ثم اكتفى بيا ونوى الالف ويحتمل انهم ارادوا به المصدر اي رعنت رعونة او ارادوا به صرف
راعنا اي ذا رعونة كذا في التفسير الكبير فاسقاط التنوين عن اعتبار الوقف عبد

مستبدلين

كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وننسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باضمار المفعولين

قوله ثم استعمل لكل منهما لما كان النسخ تارة يستعمل في المجموع وتارة في الازالة فقط وتارة في الاثبات فقط والقول بوضعها للثلاثة مستلزم للاشتراك والمجاز اولى منه وكان جعله موضوعا للمجموع اظهر لعلاقته بكل واحد منهما اختار الراغب انه حقيقة في المجموع مجاز في كل منهما وتبعه المصنف في ذلك قوله بيان انتهاء اه وقيد بقيد التأبيد المستفاد من اطلاقهما ولذا عرفه بعضهم برفع الحكم الشرعي فهو بيان بالنسبة الى الشارع ورفع بالنسبة الينا وبقيد التعبد يخرج الغاية فانها بيان لانتهاء مدة نفس الحكم لا للتعبد به واختص التعريف بالاحكام اذ لا تعبد في الاخبار انفسها ومن لم يفهم احتاج لاخراج الغاية الى اعتبار قيد لا دليل عليه في [illegible] لا شيء من جملة الكلام

قوله وانساؤها اذهابها عن القلوب وليس بعيد بنفي مفهومه الا انه وان استلزمها بناء على عدم التكليف بما لا يطاق ويعم الاخبار وتفصيه هذا المعنى ما روي [illegible] كانوا يقرأون سورة نشبهها في الطول والشرح ببراءة فانسيتها غير اني حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا وما يملأ جوف ابن آدم الا التراب وقيل بعض النسخ بازالة الحكم سواء ثبت اللفظ اولا والانساء بازالة اللفظ سواء ثبت حكمه اولا وقال صاحب الكشاف النسخ الاذهاب الى بدل الحكم السابق والانساء الاذهاب لا الى بدل ويرد على كلا الوجهين ان تخصيص النسخ بهذا المعنى خلاف اللغة والاصطلاح وان الانساء حقيقة في الاذهاب عن القلوب والحمل على المجاز بدون تعذر الحقيقة تعسف قوله جازمة لننسخ لا لننسها بل جازمة مقدرة والا لزم توارد العاملين على معمول واحد لكونه مفعولا ايضا

قوله من انسخ اي من باب الافعال على المعنى الاول الهمزة للتعدية فيصير ذا مفعولين الاول محذوف وعلى الثاني للوجدان على صفة نحو احمدته اي وجدته محمودا وفي التاج انسخ منسوخ يافتن ومنه قراءة ما ننسخ اي نجده منسوخا وانما نجده كذلك لنسخنا اياه فالمعنى متفق وان اختلفا في اللفظ قوله اي نؤخرها اي انزالها وهذا في شأن الناسخة حيث لم [illegible] انزالها مدة بقاء المنسوخة فالمآتية ح عبارة عن المنسوخة كما انه حين النسخ عبارة عن الناسخة فمعنى الآية ان رفع المنسوخة بانزال الناسخة وتأخير الناسخة بانزال المنسوخة كل منهما يتضمن المصلحة في وقته وهذا معنى لطيف لهذه القراءة لا تكلف فيه بخلاف ما قيل اي نتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها او نؤخرها فنبعدها عن الذهن بحيث لا يتذكر معناها ولا لفظها والنساء والنسي تاخير كردن قوله ننسها على صيغة المعلوم للمتكلم مع الغير من التنسية فراموش كردانيدن والمفعول الاول محذوف تقول انسانيه الله ونسانيه بمعنى وللتنبيه على هذا قال اي ننس احدا اياها بانفصال الضمير والا فالظاهر ننسها احدا عبد الحكيم

قوله والمراد هو وامته اى امة الاجابة اعنى المسلمين ويدل عليه التذييل بقوله ومن يتبدل الكفر
الكفر بالايمان الخ والخطابات السابقة من قوله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا الخ واللاحقة من قوله
لو يردونكم من بعد ايمانكم ثم هذه الارادة على طريق الكناية كيلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز
فارادة الرسول بمجرد التصوير والانتقال الى المقصود اعنى خطاب الامة قوله وهو كالدليل فى افادة
البيان فيكون منزلا منزلة عطف البيان من متبوعه فى افادة الايضاح فلذا ترك العاطف
بما ذكرنا اندفع ما وهم من ان كونه كالدليل ليس من مظان الفصل فكيف يصح تفريع قوله ولذلك
ترك العاطف على كونه كالدليل لانه سيق لتوصية المؤمنين لا للاستدلال لكنه يشبهه فى انه
يفيد ثباتا وتحقيقا دون بيان تفسير وايضاح ولذا لم يقل وهو بيان لقوله ان الله
على كل شئ قدير قوله ام معادلة الخ نص الرضى وغيره ان الفعلين اذا اشتركا فى الفاعل
نحو اقمت ام قعدت فام متصلة ويجوز مع عدم التناسب نحو اقام زيد ام تكلم كونها منقطعة
فعلى هذا ان قدر تعلمون قبل تريدون بناء على دلالة السياق اعنى الم تعلم والسياق فان
الاقتراح لا يكون الا عند التعنت والتعليم خلافه كان ام متصلة كانه قيل اى الامرين من عدم
العلم بكونه قادرا على الاشياء كلها بامر ونهى كما اراد او العلم مع الاقتراح واقع والاستفهام
للانكار بمعنى لا ينبغى ان يكون شئ منهما وان لم يقدر كان منقطعة للاضراب من عدم علمهم
بكونه قادرا على الكمال بامر ونهى كما اراد الى الاستفهام عن اقتراحهم كاقتراح اليهود انكارا عليهم
بانه لا ينبغى ان يقع فمآل الوجهين واحد ولذا سوى بينهما وقدم المتصلة لرجحانه حين الاشتراك
فى الفاعل كما يشعر به ما نقلناه من الرضى قوله ام تعلمون وتقترحون الخ لا خفاء فى ان عدم
ارادة الرسول عليه السلام فى هذا الخطاب بكونه مقترحا عليه لا يخل بالمعادلة لحصولها بالنسبة
الى المقصود فان ارادة الرسول فى الاول بمجرد التصوير والانتقال بحيث انه لا يظهر فائدة قوله بالسؤال فان
الاقتراح على ما فى التاج چيزى بتحكم از كسى در خواستن ويتعدى بعلى قوله والمراد اى المراد على
التقديرين توصية المسلمين بالثقة بالرسول وترك الاقتراح عليه بعد ذم طعن المشركين او اليهود
فى النسخ بان لا يكونوا فيما انزل الله من القرآن مثل اليهود فى ترك الثقة بالايات البينة واقتراح
غيرها فيضلوا ويكفروا بعد الايمان فلا يقتضى سابقة وقوع الاقتراح منهم ولا توقف مضمون
الاية عليه اذ التوصية لا تقتضى سابقة الوقوع كيف وهو كفر كما يدل عليه قوله تعالى ومن يتبدل
الكفر بالايمان الاية لا يكاد يقع من المؤمن فلا حاجة الى شان النزول على ما فى بعض التفاسير انهم
اقترحوا على الرسول عليه السلام فى غزوة خيبر ان يجعل ذات انواط كما كان للمشركين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا ما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة والذى نفسى بيده
لتركبن سنن من قبلكم قوله ومن يترك الثقة الخ اعلم انه لا يصح ان يكون فقد ضل جزاء الشرط لان ضلال
الطريق المستقيم متقدم على الاستبدال والارتداد لا مترتب عليه ولان الجزاء اذا كان ماضيا مع قد
كان باقيا على مضيه لان قد للتحقيق وما تاكد ورسخ لا ينقلب ولا يترتب الماضى على المستقبل
ولان كون الشرط مضارعا والجزاء ماضيا لفظا ضعيف لم يات فى الكتاب العزيز صرح به
الرضى وغيره فلا بد من التقدير بان يقال ومن يتبدل الكفر بالايمان فالسبب فيه انه ترك
يرجع معنى الاية الى ان ضلال الطريق المستقيم اعنى الكفر الصحيح فى الايات سبب للتبديل
والارتداد وبه يندفع ما يتراءى من ان التفسير لا يوافق الاية لان قوله حتى وقع فى الكفر بعد الايمان صريح فى
ترتب التبدل على الضلال والاية تفيد العكس ثم ان قوله ومن يتبدل الكفر الخ جملة مستقلة مشتملة
على حكم كلى اخرجت مخرج المثل جئ بها لتاكيد النهى عن الاقتراح المفهوم من قوله ام تريدون الخ
معطوفة عليه فهو من القسم الثانى من التذييل لكن لما كان فى افادته التاكيد خفاء ازاله بقوله ومن
ترك الثقة بالايات البينة الخ يعنى ان المقترحين الشاكين من جملة الضالين الطريق المستقيم المتبدلين
فباعتبار اشتمال الجملة المؤكدة عليهم تكون مؤكدة لمفهوم قوله ام تريدون الخ ومعنى قوله حتى وقع فى
الكفر واقع فى الانكار ليصح جعله غاية للشك فى الايات ومعناه وقع فى الكفر بالنبى ولا شك
فى ترتبه على الشك فى الايات وليس مقصوده تفسير التبدل بترك الثقة باعتبار كونه لازما
له فيكون كناية عنه على ما قيل لانه لا يصح ابقاء قوله فقد ضل على مضيه اذ الضلال المودى الى التبدل

تأت بخير منها او مثلها اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب او مثلها وقرا ابو عمرو
بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ
وبما هو خير والاية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها
بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم
فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش
فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ
الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد
يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس
المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير
والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات
القديم الم تعلم الخطاب للنبى والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم
ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل
على قوله ان الله على كل شئ قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من
دون الله من ولى ولا نصير وانما هو الذى يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق
بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا
عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة
فى الم تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام
تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم
بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل عليهم
كتابا من السماء وقيل فى المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات
وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان
ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد عن المقصد

وبدلوا الكفر بالايمان وقرئ يُبدل من ابدل ودّ كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو

يردونكم ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا

مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدًا علة ودّ من عند انفسهم يجوز ان يتعلق

بودّ اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدًا

اي حسدًا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة

في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله

بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس

انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام

منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة

والالتجاء الى الله تع بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة

وقرئ بالياء فيكون وعيدًا وقالوا عطف على ودّ والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى

لن يدخل الجنة الا من كان هودًا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله تع وقالوا

كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم

المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة

وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم

او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض

والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول

الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه

من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو

محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص

والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها

معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم

فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة

قوله وقرئ بالياء والضمير راجع الى كثيرا والى اهل الكتاب وح يكون تذييلا لقوله فاعفوا واصفحوا او موكدا لمضمون الغاية فالمناسب ان يكون وعيدا ليكون تسلية وتطيبا للمؤمنين بالعفو والصفح وازالة لاستبطاء اتيان الامر قوله عطف على ودّ كثير وما بينهما اعني فاعفوا واصفحوا اعتراض بالفاء ولا وجه لعطف ... وعطف الانشاء على الاخبار فيما لا محل له من الاعراب بما سوى جائز قوله وهو ان لا ينزل انشاد ... الى ان نفي الود سابقا كناية عن وداده صدم التنزيل وعلى هذا يكون في امانيهم تغليبا لان الاولين من قبيل المتمنيات حقيقة والثالث دعوى باطلة قوله او امثال تلك الامنية ان جعل الاماني بمعنى الاكاذيب فاطلاق الامنية على سبيل الحقيقة وان جعل بمعنى المتمنيات فعلى الاستعارة تشبيها بالمتمنى في الاستحالة قوله والجملة اعتراض بين كلامين متصلين معنى فان قوله قل هاتوا جواب قوله قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فما قيل لا يخفى ان الظاهر ان طلب الدليل على امانيهم المشار اليها بقوله تلك امانيهم فبعد تفسيره بما يشمل اختصاصهم بالجنة وغيره لا ينبغي تقييدها بهاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهم محض عبد الحكيم

قوله على اختصاصكم ... بدخول اهل الجنة اي كل واحد من حكمي النفي والاثبات المشتمل عليهما الاختصاص وهذا تصريح بما علم التزاما من قوله والجملة اعتراض في الكشاف هات صوت بمنزلة هاء بمعنى احضر وفي المعالم اصلها اتوا قوله الذي وعد بيان لمعنى الاضافة فاجره رد على الكشاف حيث قال اجره الذي يستوجبه رعاية الاعتزال قوله فان كل قول تعليل لما يستفاد من التعليق اي لا بد من البرهان الصادق ليثبت دعواه لان كل قول لا دليل عليه غير ثابت عند الخصم فلا يعتد به وبهذا اندفع ما يرد عليه من ان اريد انه غير ثابت في نفس الامر ممنوع لان انتفاء الدليل الذي هو سبب العلم لا يقتضي انتفاء المدلول في نفس الامر وان اريد انه غير ثابت عند الخصم فهذا لا ينافي الصدق في الدعوى فلا يصح التعليل عبد

قوله اخلص اي لا يشرك به غيره فاسلم من سلم الشيء لفلان اي خلص منه ومنه رجلا سلما لرجل والوجه مستعار للذات نحو كل شيء هالك الا وجهه وتخصيصه بالذكر لانه اشرف الاعضاء ومعدن الحواس فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى قوله فيكون الرد اي اذا كان من شرطية او موصولة يكون الرد بقوله بلى وحده من غير انضمام قوله من اسلم الخ معه بل هو كلام مستانف كانه اذا قيل اذا ابطل ما زعموه فما الحق في ذلك قوله ويجوز ان يكون اي من موصولة محضة وبلى مع ما بعدها رد لقولهم وقوله فله اجره معطوف على يدخلها من اسلم عطف الاسمية على الفعلية لان المراد بالاولى التجدد وبالثانية الثبوت وقد نص السكاكي بان الجملتين اذا اختلفتا تجددا وثبوتا يراعى جانب المعنى فيعطف الاسمية على الفعلية وبالعكس لا جانب اللفظ عبد

قوله وان نزل فى الروم فى المعالم الاية نزلت فى طيطوس بن اسبيانوس الرومى واصحابه وذلك انهم غزوا
بنى اسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف
وذبحوا فيه الخنازير وكان خرابا الى ان بناه المسلمون فى ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله هذا
قوله تع ومن اظلم عطف على قوله تع وقالت النصارى ليست اليهود على شىء عطف قصة على قصة تقرير
لعيب الخصم قوله او المشركين فانه عطف وعلى هذا قوله ومن اظلم اعتراض باكثر من جملة بين المعطوف
اعنى قوله وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وبين المعطوف عليه اعنى قوله وقالت اليهود لبيان
حال المشركين الذين جرى ذكرهم بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون بيانا لكمال شناعة حال اهل الكتاب
فان المشركين الذين يضاهونهم اذا كانوا اظلم الكفرة واجهلهم قوله ما كان ينبغى دفع ما يرد اى من انه
كيف يصح الاخبار عنهم بانهم لم يدخلوها الا خائفين وقد كانوا يدخلونها غير خائفين بوجوه مبنى الوجه
الاول ان اللام فيهم للاختصاص على وجه اللياقة كما فى الجل للفرس والمراد بالخوف الخوف من الله والجملة
مستانفة جواب لسؤال نشا من قوله وسعى فى خرابها كانه قيل فما كان اللائق بهم والمراد بالظلم
وضع الشىء فى غير موضعه ومبنى الثانى ان اللام للاستحقاق كما فى الجنة للمومن والمراد بالخوف الخوف
من المومنين والجملة سؤال ناشى من قوله من اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها كانه قيل فما كان
حقهم والمراد من الظلم التصرف فى حق الغير وبما ذكرنا تبين ان الجار والمجرور ظرف مستقر ومعنى
الانبغاء والاستحقاق مستفاد من اللام وان التعريف فى قوله وما كان الحق نائب عن المضاف اليه
اى حقهم ولذا لم يذكر ههنا كلمة لهم وجعل الحق على معنى الثابت ليصير المعنى ما كان الحق الثابت
دخولهم الا بالخوف فلو كان ظلمهم انما لم يثبت بظلمهم فقضيته انه لا دليل على تقدير الخوف بعد اللغو وانه يلزم
استدراك لهم قوله وقيل معناه ان اللفظ وان كان فى صورة النفى فهو فى معنى النهى عن تمكين
الكفرة من الدخول والتخلية بينهم وبين المساجد وهو حاصل الوجه الاول لكن قال المحقق التفتازانى والتوجيه
عندى ان النهى المذكور معناه على طريق الكناية غلبة المومنين بين الكفرة والمساجد يستلزم انزالة
يدخلوها الا خائفين منهم فذكر اللازم واريد الملزوم مرضية لان النهى عن التخلية والتمكين الذى
فى وقت قوة الكفار ومنعهم المساجد عن الذكر لا فائدة فيه سوى الاشعار بوعد المومنين باستخلاص
المساجد منهم فالحمل على التاويل عبد

وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء
اى امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على النبى صلعم واتاهم احبار اليهود فتناظروا
وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم من
اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة و
وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا
الدينين بعد النسخ ليس بشىء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر
من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم
بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق
به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد
عام لكل من خرب مسجدا او سعى فى تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل فى الروم لما
غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد
الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع وسعى فى خرابها
بالهدم او التعطيل اولئك اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما
كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان
الحق ان يدخلوها الا خائفين من المومنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها
او ما كان لهم فى علم الله وقضائه فيكون وعدا للمومنين بالنصرة واستخلاص المساجد
منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمة
فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره لهم فى الدنيا
خزى قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية ولهم فى الاخرة عذاب عظيم بظلمهم وكفرهم
ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتى الارض اى له الارض كلها لا يختص به مكان دون
مكان فان منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فاينما تولوا ففى اى مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اى جهته
التى امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اى عالم مطلع بما

يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم

بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت فى صلوة المسافر على الراحلة وقيل

فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا

لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه

للمعبود ان يكون فى حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله

والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على وقالت اليهود او

منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى

التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت

باقية ما دام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا

بل له ما فى السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما

فى السموات والارض الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون

لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب الذات

فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير اولى العلم

وقال قانتون على تغليب اولى العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه

اى كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون

الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج بها

الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك

يقتضى تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع فى قوله امن

الداعى السميع يؤرقنى واصحابى هجوع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو

حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه

مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع

اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة

بالعنصر والتكوين الذى يكون بتغيير وفى زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل

من الضمير في له او منصوبا على المدح واذا قضى امرا اى اراد شيئا واصل القضا اتمام الشيء قولا كقوله تع وقضى ربك او فعلا كقوله تع فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التام اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايما الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تع يستغنى عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بنصب النون بفتح واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تع باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه تع هو الرب الاكبر حتى ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اى جهلة المشركين والمتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحى الينا بانك رسوله او تاتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود ان ما اتاهم من الآيات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرى بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهى للرسول عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم

قوله وقال الذين لا يعلمون عطف على قوله وقالوا اتخذ الله ووجه الارتباط ان الاول كان قدحا في التوحيد والثاني قدح في النبوة قوله اى جهلة المشركين اليه ذهب اكثر المفسرين بدليل قوله تعالى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وقالوا لولا يأتينا بآية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا عبد الحكيم

وهذا القول ليس بمرضى ولا مقبول قوله ملتبسا اشار الى ان الباء للملابسة وان وجه الملابسة التاكيد ولا حاجة الى ما وقع في المغني وغيره عبد

قوله فلا عليك يعني قوله انا ارسلناك الى انا ليخ بمعنى الامر او على عناد تسلية للرسول لانه كان يهتم ويضيق صدره لاصرارهم على الكفر ومنه اقامة غير المنكر مما لاح عليه امارة الانكار ولذلك اكد بان وفسر بانا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لان تحرض على الايمان فهو قصر افراد عبد الحكيم

مبالغة في افراط الرسول على اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون
ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله
هو الهدى اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن
اتبعت اهواءهم اراءهم الزائغة والملة ما شرع الله لعباده على لسان انبيائه
من املت الكتاب اذا امليته والهوى راى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك من العلم
اى من الوحى او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولى ولا نصير يدفع عنك عقابه
وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد به مؤمنى اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته
بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر
ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم
دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة
واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود
من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف
بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما
والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات
قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله تعالى التائبون
العابدون وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم
الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك
الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن
وبما تضمنه الايات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارنى كيف تحيى الموتى
اجعل هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام

قوله بالامر بذكر النعم بقوله اذكروا نعمتى والقيام بحقوقها بقوله اوفوا بعهدى اوف بعهدكم والخوف
من اضاعتها بقوله واياى فارهبون واياى فاتقون والخوف عن الساعة بقوله واتقوا يوما
لا تجزى واما قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ثانيا فتكرار الاول
للتأكيد وتذكير التفصيل كما مر قوله كرر ذلك الا انه تفنن فى التكرير فجاءت الشفاعة
فيها بلفظ القبول متقدمة على العدل وهنا بلفظ النفع متأخرة عنه اشارة الى انتفاء
اصل الشئ وانتفاء ما يترتب عليه اعطى المقدم وجودا تقدمه ذكرا واعطى المتأخر وجودا
تأخره ذكرا كذا فى النهر وقوله مبالغة فى النصح تعليل للتكرير وايذانا تعليل للختم اى كرر
ذلك بطريق ختم الكلام به لافادة المبالغة فى النصح على وجه يؤذن بكونه فذلكة القصة
منها وفائدة وضع المظهر موضع المضمر غير ظاهر قوله والابتلاء فى الاصل اهـ
مخالف لما مر فى تفسير قوله تعالى وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم من اصله الاختبار قال الراغب
البلاء اصله من بلى الثوب بليا وبلاء وقيل بلوت فلانا اى اختبرته كانى اخلقته من كثرة
اختبارى له وسمى النعم بلاء من حيث انه يبلى الجسم وسمى التكليف بلاء من الاول ان التكاليف
كلها شاقة على الابدان فصارت من هذا الوجه بلاء والثانى ان التكاليف اختبارات ووجه
التطبيق ان المراد فيما سبق ان اصل البلاء بالمعنى المراد فى ذلك المقام اعنى المحنة الاختبار
وذلك لا ينافى كونه فى الاصل مطلقا بمعنى التكليف بالامر الشاق والاختبار لازم له
متفرعا عليه قوله ظن ترادفهما رد على الكشاف حيث جعل الابتلاء بمعنى الاختبار
وحمله على الاستعارة واما اعتذار العلامة التفتازانى بانه لم يجعل من ابتلاه الله بكذا
اذا اصابه بما يكرهه ويشق عليه اما لان حمل الاوامر والنواهى على المكاره وعدها من البلاء
ليس بمناسب واما لانه ايضا اختبار وانه قد يكون بالشر فليس بمقبول اما الاول فلقوله
عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله تعالى ربنا ولا تحمل
علينا اصرا واما الثانى فلانه ان اراد العينية فغير مسلم وان اراد الاستلزام فمسلم لكنه
غير مفيد قوله وان تأخر رتبة اى تقديرا لان الاصل فى الفاعل ان يلى الفعل فى العبارات
يجوز ان يكون فى الفاعل المقدم على المفعول ضميرا عائدا اليه او الاضمار قبل الذكر لفظا
وتقديرا لا يجوز الا فى ضمير الشان والقصة او فى الضمير الذى جئ بعده بمفسر والاضمار على
اربع مراتب ان لا يكون اضمارا قبل الذكر لفظا او تقديرا او لفظا لا تقديرا وبالعكس انتهى
فلا حاجة الى تأويل قوله لان الشرط احد التقدمين قوله الثلاثين المذكورة اخرجه الحاكم فى مسنده
عن ابن عباس رضى عشر منها فى سورة براءة من قوله التائبون العابدون الى اخر الاية وعشر منها
فى سورة الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخرها وعشر منها قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك
هم الوارثون كذا فى التفسير الكبير فالعشرة المذكورة فى سورة براءة التوبة والعبادة
والسياحة والركوع والسجود والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والحفظ لحدود الله والايمان المستفاد
من قوله وبشر المؤمنين او من قوله ان الله اشترى من المؤمنين والعشرة فى سورة الاحزاب الاسلام
والايمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصيام والحفظ للفروج والذكر
والعشرة المذكورة فى سورة المؤمنين الايمان والخشوع والتصدق والقيام والحفظ على الصلاة
والاعراض عن اللغو والزكوة والحفظ للفروج الا على الازواج والاماء ثلثة والرعاية للعهد والامانة
اثنين والمحافظة على الصلاة ولزوم التكرار فى بعض الخصال بعد جمع العشرات المذكورة
كالايمان والحفظ للفروج لا ينافى كونها ثلثين تعددا وانما ينافى تغايرها فاذا تأملت الا انه يروى
ابن عباس انها دعوى نضم ما وقع فى سائل سائر كما فى التفسير الكبير وان التسمية عدت مائة
وثلثة عشر انه عند الشافعية باعتبار تكررها فى كل سورة واما ما وقع فى الكشاف فقيل
ابتلاه من شرائع الاسلام ثلثين منها عشرة فى براءة التائبون العابدون وعشر فى الاحزاب ان
المسلمين وعشر فى المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وهو رواية
عكرمة عن ابن عباس على ما فى المغنى فمبنى على اعتبار التغاير بالذات واسقاط المكررات

حق القيام لقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما
دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له
حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة
وتطهير البيت ودفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة
على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عام
مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتي
عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل
فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة
او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال
لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم
لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح
للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت
اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار
او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد
وامنا موضع امن لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن
حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه
حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول
او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا
على ان الخطاب لامة محمد صلعم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع
الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه
روي انه عليه الصلوة والسلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى
فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر

انه عليه الصلوة والسلم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا
من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف
الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله وقرأ نافع وابن عامر
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل** امرناهما **ان طهرا بيتي** بان طهرا
ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس
وما لا يليق به او اخلصاه **للطائفين** حوله **والعاكفين** المقيمين عنده او المعتكفين
فيه **والركع السجود** اى المصلين جمع راكع وساجد **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا**
يريد به البلد او المكان **بلدا آمنا** ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا اهله كقولك
ليل نائم **وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر** ابدل من آمن من اهله
بدل البعض للتخصيص **قال ومن كفر** عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم
الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف
الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط **فامتعه قليلا** خبره
والكفر وان لم يكن سببا للتمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا
غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه **ثم اضطره الى عذاب النار** اى الزه
اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف
وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه
من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة
بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس
وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب **واذ يرفع ابراهيم القواعد**
من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود
بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها
فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان

قوله قعدك الله في الرضي قعدك في قولهم قعدك الله بفتح القاف وقال المازني سمع من العرب
كسرها وعند سيبويه منصوب على المصدرية والاصل قعدتك الله تقعيدا فحذف الزوائد من
المصدر واقيم مقام الفعل مضافا الى المفعول به الاول ومعنى قعدتك الله وان لم يستعمل جعلتك
قاعدا متمكنا بالسؤال من الله فلما ضمنت قعد معنى السؤال تعدى الى المفعول الثاني اعني
الله ويجوز ان يكون التقدير اسأل الله قعدك فيكون مفعولا به فما وقع في الكشاف
اي اسأل الله ان يقعدك اما مبني على هذا التقدير او بيان لحاصل المعنى ويجوز ان يكون
المعنى اسألك بتقعيدك اي نسبتك اياه الى القعود اي الدوام والبقاء فيكون انتصابه
بحذف حرف القسم وهو مصدر بحذف الزوائد مضاف الى الفاعل والله مفعول به ويجوز
ان يكون المعنى اسألك بحق قعدك اي قعيدك اي ملازمك العالم باحوالك وهو الله
فالله عطف بيان لقعدك ثم على مذهب سيبويه وعلى تقدير كونه مفعولا به ليس معنى
القسم فيه ظاهر مع انه لا يستعمل الا في القسم الا انه يقال لما كان للدعاء للمخاطب اجري
مجرى السؤال لانه قد يبتدى السؤال بالدعاء للمسؤول قال الرضي كانه قيل اطال الله عمرك
افعل بي كذا **قوله** ورفعها البناء عليها تحقيق لرفع القواعد اذ الظاهر من رفع
الشيء جعله عاليا مرتفعا والقاعدة لا ترتفع بل هو جاعلها وحاصله ان القاعدة ما لم
يبن عليها كان لها هيئة الانخفاض فاذا بني عليها انتقلت الى هيئة الارتفاع بمعنى
انه حصلت هيئة الارتفاع لمجموع القاعدة وما يبنى عليها فهي استعارة تبعية
عبد الحكيم

كل ساف فاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اى يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين لك على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل بعض ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد فهو المجاب بدعوتهما كما قال عليه السلم انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا

قوله ما تكمل به نفوسهم اى فيشمل الحكمة النظرية والعملية وبينهما وبين ما في الكتاب عموم من وجه لاشتمال القرآن على القصص والمواعيد وكون بعض الامور الذي يفيد كمال النفس علما وعملا غير مذكور في الكتاب عبد

ولا يُغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لأن يكون احدٌ يرغب عن ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعدٍ وبالضم لازم ويشهد له ما جاء فى الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غُبن رأيه والم رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجبّ الظهر ليس له سنام او سفه فى نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى فى محل الرفع على المختار بدلاً من الضمير فى يرغب لانه فى معنى النفى ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد فى الدنيا مشهوداً له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقاً بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روى انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابنى اخيه سلمة ومهاجراً الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصى يصل فعله بفعل الوصى والضمير فى بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اى وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بنى على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة انا رأينا رجلاً عرياناً بالكسر وبنوا ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنى عشر روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودونى ونفتونى وكوداوأوشير وبنيامين ويوسف

قوله او نصب على الاختصاص في النهر نص النحاة على ان المنصوب على الاختصاص اذا كان بعد ضمير الغائب او المظهر يجئ نكرة نص عليه الرضي ولعل المتعرض لا يجعل هذا النوع من باب الاختصاص بل يسميه المنصوب بالمدح كما في اللباب قوله ويحتمل ان يكون اعتراضا
اي وحالنا انا له مسلمون وهذا على طريق البيانيين حيث جوزوا الاعتراض في اخر الكلام
قوله سمي به الجماعة والحين قال تع واذكر بعد امة لكونه متضمنا لامة ما والدين لكون الجماعة عليه واما قوله تع ان ابراهيم كان امة فيجاز باعتبار عد الواحد في الفضل كالجماعة ولا يصار اليه الا عند تعذر الحقيقة قوله والمعنى الخ فيه اشارة الى وجه مناسبة الاية لما قبلها وذلك ان اليهود لما ادعوا الدعوى الباطلة والعنوا الحجر بقوله ام كنتم شهداء عن ما نقرر قالوا هب ان الامر كذلك اليسوا اباءنا واليهم انتسابنا فاجيبوا بقوله تلك امة الخ عبد

ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله تع فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا للرسول الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسئل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه الصلوة والسلام عم الرجل صنو ابيه كما قال عليه السلم في العباس هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او فائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم

كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم **ولا تسألون عما كانوا يعملون**

ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم **وقالوا كونوا هودا او نصارى** الضمير

الغايب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا

نصارى **تهتدوا** جواب الامر **قل بل ملة ابراهيم** اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته

او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئت بالرفع اي ملته الحق بل ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى

نحن اهل ملته **حنيفا** مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى

ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا **وما كان من المشركين** تعريض باهل الكتاب

وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون **قولوا آمنا بالله** الخطاب للمؤمنين

لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به **وما انزل الينا** يعني القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة

الينا او سبب للايمان بغيره **وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط**

الصحف وهي وان نزلت على ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلون تحت

احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد

يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق **وما اوتي موسى وعيسى**

التورية والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق

والنزاع وقع فيهما **وما اوتي النبيون** جملة المذكورون منهم وغير المذكورين **من ربهم**

منزلا عليهم من ربهم **لا نفرق بين احد منهم** كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد

لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين **ونحن له** اي لله **مسلمون** مذعنون

مخلصون **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا** من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى

فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة

دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة

المقصد لا تابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله تعالى جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان

آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل

على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به **وان تولوا فانما هم**

قوله واحد قال المص في تفسير قوله تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد

وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد والكثير و

المعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل يعني انه في الاصل للواحد و

اذا وضع في النفي العام يصلح ان يراد به الواحد ليفيد استغراق نفي الآحاد نحو ما رايت

احدا افضل من زيد ويصلح ان يراد به الكثير فيفيد استغراق نفي الجماعات والتعيين

مفوض الى القرائن كاضافة البين فيما نحن فيه وكون المشبه جماعة في آية الاحزاب والمعنى

لستن كجماعة اي جماعة كانت منهن ولو لم يحمل على الاستغراق لم يتم المقصود

معنى كلامه ههنا انه لوقوعه في سياق النفي عام يستوي فيه الواحد والكثير فيجوز ان

يراد به الجماعة فساغ ان يضاف اليه بين ويفيد عموم الجماعات وليس معناه انه لوقوعه

في سياق النفي صار عاما ليصح اضافة البين اليه حتى يرد انه لا يصح ذلك في سائر النكرات

الواقعة في سياق النفي وان عموم النكرة المعينة بمعنى كل واحد ولا تستقيم اضافة

البين اليه الا بتقدير عطف مثل ان يقال لا نفرق بين رسول ورسول وواحد وواحد و

لستن كاحد من النساء ليس في معنى كامرأة منهن قال النحاة ان الموضوع

في النفي العام همزته اصلية غير منقلبة عن الواو بخلاف ما في معنى الواحد لكن المصنف

لا يتحاشى عن امثال هذه المخالفة اذ لا دليل على اختلاف الصيغتين

في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو
المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله
تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم
اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او و
للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله
اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان
الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره
وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل
الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه
المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على انها مصدر مؤكد
لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله
صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك
به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا
ولمن نصبها على الاغراء والبدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة
ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل
اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل
الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم
لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما
وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة
حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا
ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه
بالايمان والطاعة دونكم ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب

والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل أأنتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تع لمحمد صلعم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدم اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم المكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كا

قوله لانه انما يشهادة ذلك لمن لا يعلم قلت الاستفهام في قوله تع انتم اعلم ام الله للتقرير لتخاطب تنبيها انكم قد اقررتم وعرفتم بانه تع عالم وهو قد اخبر بنفي الامرين عنهم فقولكم باطل سواء كان صادرا عن الجهل او عن العناد والمكابرة وقيل انما كتموا ذلك الحقوا بالجهال لفوات ثمرة العلم قوله وفيه تعريض اما على التقدير الثاني فظ حيث عبر عن الكتمان الغير الواقع بصيغة الماضي على سبيل الفرض والتقدير ففيه تعريض لمن تحقق منه الكتمان كما في قوله تع لئن اشركت ليحبطن عملك واما على تقدير الاول فلانه لم يخص شهادة دون شهادة وان كان التعبير بالماضي على اصله لكون الكتمان متحققا منهم قوله ومن للابتداء اي الظرفان كلاهما صفة شهادة اي شهادة كائنة من الله وفيه اشارة الى ان من ليس صلة اظلم والكلام على التقديم والتاخير كانه قيل ومن اظلم عند الله من جماعة الكاتمين للشهادة والاصلة كتم على ما في بعض التفاسير قوله الذين خف احلامهم واستمهنوها ... قوله يريد المنكرين يعني ان السفهاء جمع محلى باللام مفيد للعموم فيكل الكل والتخصيص بالبعض خلاف الظاهر لابد عواليه داع وما روي عن مجاهد انهم اليهود وعن السدي انهم المنافقون وعن الحسن انهم المشركون فلعل المراد بيان طائفة نزلت هذه الاية في حقهم ... قوله توطين النفس ... قوله واعداد للجواب ... قوله لا يختص به مكان اشارة الى ان المشرق والمغرب كناية عن جميع الامكنة والجهات ...

قوله وقوله تع يهدي من يشاء الى صراط مستقيم بدل اشتمال منه اشارة الى مرجحها كانه قيل ان التولية المذكورة هداية يختص الله بها من يشاء ويختار من يشاء من عباده وهذا ما وقع في الطيبي من ان قوله تع لله المشرق والمغرب توطئة للجواب والجواب قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قوله من التوجه اه فالتوجه الى احدهما اي في غير وقته خلاف ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولا ابقاء عليها اخلال فلذلك من الله علينا بالتولية وغير لفظ التوجيه الواقع في الكشاف الى التوجه لان التوجيه نفس الهداية فلا يصح بيان ما ترتضيه الحكمة الا بتكلف بان يجعل ضمير وهو راجعا الى الهداية المدلول عليها بيهدي او يراد بالتوجيه توجيههم انفسهم فيؤول الى التوجه قوله او جعلنا قبلتكم افضل القبل المفهوم من الاية المتقدمة ان التوجه الى كل واحد منهما في وقته صراط مستقيم والامر به في ذلك الوقت هداية ولا يفهم منه ان قبلتهم افضل القبل والناسخ لا يلزم ان يكون خيرا من المنسوخ فلعل مراد المص كما جعلنا قبلتكم الكعبة التي هي افضل القبل في الواقع جعلناكم امة وسطا والمقصود من ذكر الوصف ابراء وجه التشبيه بين الجعلين ويؤيده ما وقع في بعض التفاسير اي كما جعلنا قبلتكم الكعبة جعلناكم قوله خيارا جمع خير خلاف الشرار قد يكونا اسما من الاختيار قاله ابو عبيدة ويؤيده قوله تع كنتم خير امة اخرجت الاية وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليه الخلل والفساد والاوساط محمية محوطة قوله او عدولا قال الجوهري والاخفش والخليل وقطرب وروى القفال عن الثوري عن ابي سعيد الخدري عن النبي عليه الصلاة والسلام امة وسطا اي عدولا ويؤيده قولهم خير الامور اوساطها اي اعدلها قوله مزكين قال الجوهري زكى نفسه مدحها وهو صفة كاشفة اشارة الى ان المراد به العدالة التي هي كمال القوة العقلية والشهوية والغضبية اعني استعمالها فيما ينبغي على ما ينبغي لانها العدالة الحقيقية المفسرة بالتوسط بين الافراط والتفريط لا العدالة التي اعتبرها الفقهاء اعني الاجتناب عن الكبائر وعدم الاصرار على الصغائر لما ان علم العباد لم يحط الا بالظاهر امتنع اعتبار تلك العدالة في احباء الحقوق عبد

بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث كسائر الاسما التى توصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** علة للجعل اى لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل اليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقا على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم . روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيوتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول عليهم شهيدا **وما جعلنا القبلة التى كنت عليها** اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس **الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك فى الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التى كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمومنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او

قوله باعتبار التعلق الحالى اى الحادث فى زمان الحال وهو التعلق باعتبار وجوده لا باعتبار التعلق الازلى وفى توصيفه بكونه مناط الجزاء اشارة الى القرينة يعنى ان العلم الذى جعل غاية للجعل مقصود منه الجزاء ومناط الجزاء التعلق الحالى لا الازلى عصب

لتميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز

عنه وتشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في

من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب

وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون

هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها

من الجعلة او الردة او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة

الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع **وما**

كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة

او صلاتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله

قبل التحويل من اخواننا فنزلت **ان الله بالناس لرؤف رحيم** فلا يضيع اجورهم ولا

يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن

عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر **قد نرى** ربما نرى **تقلب وجهك في السماء**

تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلعم يقع في روعه ويتوقع

من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان

ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل **فلنولينك قبلة**

فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي

جهتها **ترضيها** تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته

فول وجهك اي اصرف وجهك **شطر المسجد الحرام** نحوه وقيل الشطر في الاصل لما

انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه

وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه

وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلوة والسلام كان بالمدينة والبعيد يكفيه

مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه الصلوة والسلام

قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال

قوله وانما ذكر المسجد الحرام يعني ان القبلة هي الكعبة على ما دل عليه الاحاديث الصحاح وانما ذكر المسجد

الحرام الذي هو محيط بالكعبة اشارة الى انه يكفي للبعيد محاذاة الكعبة واصابتها وان لم يصب

عينها وهذه الفائدة لا تحصل من لفظ شطر لانه لو قيل فول وجهك شطر الكعبة لكان

المعنى اجعل صرف الوجه حاصلا في مكان يكون مسامتا ومحاذيا للكعبة قوله بخلاف

القريب اي من يكون مشاهدا فانه يجب عليه اصابة العين باجماع الائمة الاربعة واما

حال الغيبة فمذهب ابي حنيفة واحمد مراعاة الجهة ومذهب مالك ان الكعبة قبلة

اهل المسجد والمسجد قبلة مكة وهي قبلة الحرم والحرم قبلة الدنيا واختلف اصحاب الشافعي

فقال العراقيون والقفال انه اصابة العين واكثر الخراسانيين الى انه الجهة وتحجة الامام

في الاحياء وهو مائل الذي اختاره المص لكن يجب ان يكون قصد التوجه الى العين الذي في

تلك الجهة لتكون القبلة عين الكعبة وفي قوله فان في استقبال عينها حرجا عليه اشارة

الى ذلك

قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة
واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين **وحيث ما**
كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا
بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة **وان الذين اوتوا الكتاب**
ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا
لتضمن كتبهم انه عليه الصلوة والسلم يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه **وما الله**
بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة
للقسم **ما تبعوا قبلتك** جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط
والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا **وما انت**
بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا
الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان
ومخالفة الحق **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى
مطلع الشمس لا يرجى توافقهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه **ولئن اتبعت اهواءهم**
من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد
ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي **انك اذا لمن الظالمين** واكد تهديده وبالغ فيه
من سبعة اوجه ١ الاتيان باللام الموطئة للقسم ٢ القسم المضمر ٣ حرف التحقيق وهي ان ٤ تركيبه
من جملة اسمية ٥ الاتيان باللام في الخبر ٦ جعله من الظالمين ولم يقل انك ظالم فان في
الاندراج معهم ايهاما بحصول انواع الظلم ٧ التقييد بمجيء العلم تعظيما للحق المعلوم وتحريضا
على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا بصدور الذنب عن الانبياء **الذين**
اتيناهم الكتاب يعني علماءهم **يعرفونه** الضمير لرسول الله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام
عليه وقيل للعلم او القران او التحويل **كما يعرفون ابناءهم** يشهد للاول اي يعرفونه
باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن

رسول الله فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي
فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه **وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** تخصيص لمن
عاند واستثناء لمن آمن **الحق من ربك** كلام مستانف والحق اما مبتدا خبره من ربك
واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق
ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر
محذوف اي هو الحق ومن ربك حالا او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول
او مفعول يعلمون **فلا تكونن من الممترين** الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق
عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد وا
بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر للامة باكتساب المعارف المزيحة
للشك على الوجه الابلغ **ولكل وجهة** ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجا
من الكعبة والتنوين بدل الاضافة **هو موليها** احد المفعولين محذوف اي هو موليها
وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله
موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر لضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها اي
هو مولى تلك الجهة قد وليها **فاستبقوا الخيرات** من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة
الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة **اين ما تكونوا يات بكم**
الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء او مفترقها يجمعكم الله
الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما
تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم الى الجهة واحدة
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحيا والجمع **ومن حيث خرجت**
ومن اي مكان خرجت للسفر **فول وجهك شطر المسجد الحرام** اذا صليت **وانه**
اي وان هذا الامر **للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون** وقرا ابو عمرو بالياء
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته

٦٨

قوله ثم من حيث متعلق بول ولا يجوز تعلقه بخرجت لفظا وان كان ظرفا له معنى والمعنى من
اي موضع خرجت فول وجهك من ذلك الموضع شطر المسجد الحرام وكلمة من ابتدائية لان
الخروج اصل الفعل ممتد وكذا التولية اصل الاستقبال وقت الصلاة الذي هو ممتد
فما قيل ان تفسيره يشعر بتعلق من حيث بخرجت ان اراد انه اشعار بالتعلق لفظا فممنوع
وان اراد معنى فمسلم بل هو مقصود والجملة معطوفة على قوله فاستبقوا بقي الكلام
في الفاء في فول وفولوا فاعلم ان الاولى ان تكون زائدة لان حيث ظرف وعلى ما في الرضي قال الرضي قد يؤتى في
الكلام بفاء موقعها موقع الفاء السببية وليست هي بل زائدة وفائدتها زيادة التنبيه
على ان ما بعدها لازم لما قبلها لزوم الجزاء للشرط انتهى وانما كان ههنا موقع الفاء
السببية لما في الرضي من ان حيث وان كانت ظرفا الا انها لدلالتها على العموم اشبهت
كلمات الشرط ففيها رائحة الشرط وكذا كل ماض وقع بعدها احتمل الماضي والمستقبل
واما الثانية فجزائية لانه حينئذ كلمة مجازاة تقلب الماضي مستقبلا وبما حررنا لك
ظهر اندفاع ما قيل من انه حيث ان كان متعلقا بخرجت يلزم استعمالها من غير اضافة
وان كان متعلقا بول يلزم اجتماع العاطفين فلا بد من تقدير المعطوف عليه والمضاف
قوله وزيد من حيث خرجت دفعا لتوهم مخالفة حال السفر بحال الحضر بان يكون حال السفر
باقيا على ما كان عبد

وجرت العادة الالهية على ان يولى اهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما بينته وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلايله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفى الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشونى فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتى عليكم او على لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر

عن الخاصي حظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المومنين ومناجاة
رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في
سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو
تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك
بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل
اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع
والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة
بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين
وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد
البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء
وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة
الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به
معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال
والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم
رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات
موت الاولاد وعن النبي صلعم قال اذا مات ولد العبد قال الله تع للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن يتأتى منه البشارة
والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلوة والسلام كل شيء يوذي المومن
فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله
وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على
نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة

الصلوة في الاصل الدعا ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها
والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلعم من استرجع عند المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه **واولئك هم المهتدون** للحق والصواب
حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله **ان الصفا والمروة** هما علما جبلين بمكة **من شعائر الله**
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة **فمن حج البيت او اعتمر** الحج لغة القصد والاعتمار
الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين **فلا جناح**
عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا
سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت
والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن
عباس لقوله تعالى فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز
الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي
انه ركن لقوله عليه الصلوة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي **ومن تطوع خيرا**
اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه من حج او عمرة او طواف او
تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار
وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف **فان الله شاكر عليم** مثيب على الطاعة لا
يخفى عليه **ان الذين يكتمون** كاحبار اليهود **ما انزلنا من البينات** كالايات الشاهدة
على امر محمد صلعم **والهدى** وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به **من بعد ما بيناه للناس**
لخصناه **في الكتاب** في التورية **اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** اي الذين
يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين **الا الذين تابوا** عن الكتمان وسائر
ما يجب ان يتاب عنه **واصلحوا** ما افسدوا بالتدارك **وبينوا** ما بينه الله في كتابهم
لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم
فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة **وانا التواب الرحيم** المبالغ في قبول التوبة

قوله وما يهدي الى اشارة الى ان الهدى مصدر متعد بمعنى راه نمودن والمراد به ما يهدي اما
بجعله نفس الهدى مبالغة او بجعل المصدر بمعنى الفاعل وما يهدي الى وجوب اتباعه هي
الايات الشاهدة على صدقه لان الهدى معطوف على البينات داخل تحت ما انزلناه
فالعطف باعتبار التغاير في المفهوم نحو جاء في الاكمل فالشارب واما ما وقع في الكبير من ان
المراد بما انزل كل ما انزله على الانبياء دون الادلة العقلية وقوله والهدى يدخل فيه الدلائل
النقلية فقوله والهدى من بعد ما بيناه عطف على انزلنا او المراد بالاول التنزيل والثاني
ما يقتضيه التنزيل من الفوائد فتكلف باي عنه قرب المعطوف عليه ولفظ التبيين الدال
على كمال الوضوح قوله الذين يتأتى منهم اللعن يعني ان المراد باللاعنون معناه الحقيقي
والاستغراق عرفي اي كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العرف وهم الذين يتأتى منهم
اللعن عليهم كما في قولهم جمع الامير الصاغة قوله من الملائكة والثقلين كما يدل عليه
التعبير بصيغة العقلاء وقوله والملائكة والناس اجمعين وهذا القول مروي عن قتادة
وعن مجاهد ان المراد دواب الارض كما روي عن البراء بن عازب كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في جنازة فقال ان الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعه كل دابة غير الثقلين فتلعنه
كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله تعالى ويلعنهم اللاعنون وانما قال اللاعنون لانه تعالى
وصفهم بصفة من يعقل فجمعها جمع من يعقل كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين
قوله بالقبول والمغفرة فدل الجار والمجرور في تابوا وههنا الباء اشارة
الى ان معنى التوبة في الموضعين واحد واختلاف المعنى بحسب اختلاف المتعلق قوله ومن لم
يتب من الكاتمين اشار الى ان الموصول للعهد كما هو الاصل والمراد الذين كتموا عبر عن الكتمان بالكفر تغليظا

وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات
اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه
وقيل الاول لعنهم احيا وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل
اسم الله لانه فاعل فى المعنى كقولك اعجبنى ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم
الملائكة خالدين فيها اى فى اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا
او اكتفا بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا
يعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اى المستحق منكم العبادة واحد
لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم
ان فى الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان
مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد
غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا
ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان فى خلق السموات والارض وانما
جمع السموات والارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارض
واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة والفلك التى تجرى فى
البحر بما ينفع الناس اى بنفعهم او بالذى ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر
واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك
قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة
وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل
الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب
وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة
عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات فى الارض او على
احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح
فى مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض

٧٠

قوله لان منشأهما البحر هذا امر محسوس لا يمكن انكاره فان سحبا بالابخرة من البحار ثم تكاثفها ونزولها مطرا مشاهد على قلل الجبال المجاورة للبحار وقيده بقوله فى غالب الامر لئلا يخالف ما ورد فى الاحاديث من ان السحاب من شجر فى الجنة والمطر من بحر تحت العرش فان الاخبار على تقدير حملها على الظاهر لا تدل على انحصار سببهما فى ذلك

قوله وتخصيص الفلك بالذكر يعنى لان تخصيص الفلك بالذكر من بين ... العجائب ... لا يحسن ... البحر والسحاب الذى ... السفلية ... الليل والنهار

قوله على الاصل يعنى ان اصل فلك بالسكون على ما قال الرضى فى شرح الشافية من ان ما يكون العين فى مثلها فرع مضمومها كما هو كذلك فى عنق وكون الساكن كثير الاستعمال لا يقتضى اصالتها فان استثقال الاصل قد يؤدى الى تركه او على انه اصل براسه وليس الضم فرع السكون كما قيل فان الاكثر لا يجوز فى ذلك اذ لا يحصل منه التخفيف الذى هو الغرض من التغيير

قوله او الجمع عطف على مدخول اللام الجارة فى قوله لانه بمعنى السفينة اى تانيث الفلك لكونه جمعا للفلك الذى هو مفرده قوله وضمة الجمع اى للفرق بين المفرد والجمع اعتبار ان ضمته مثل ضمة قفل اى اصلية فهو مفرد وان اعتبر ان ضمته مثل ضمة اسد اى عارضية فهو جمع وقيل انه اسم مشترك بين الواحد والجمع وهذا اولى من اعتبار سكون الواحد غير سكون الجمع لان السكون امر عدمى وانما اورد القراءة بضمتين بين وجهى قراءة السكون مع ان الظاهر التاخير اشارة الى انه على هذه القراءة مفرد لا غير اذ لا داعى الى اعتباره جمعا بخلاف ما اذا كان ساكنا فان عود ضمير الجمع اليه فى قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم يدعو الى اعتباره جمعا وتوصيفه بالمفرد فى قوله فى الفلك المشحون يدعو الى اعتباره مفردا ورد على ما فى الكواشى من ان الفلك والفلك بضمتين نعت الواحد والجمع سواء فى اللفظ ويعرف ذلك بجمع ضمير فعلها وافراده قوله بالنبات متعلق باحيى بعد تعلق قوله بعد موتها واشارة الى تفسير احياء الارض بعد موتها وهو تهييج قواها النامية واظهار ما اودع فيها من النبات بعد عدم ظهورها فلذا اخره عنه قوله عطف ويؤيده عدم الاحتياج الى تقدير الرابط ومجيء ما بين الموصول بعد كل واحد منهما والجامع كون كل منهما اية مستقلة لوحدانيته وهو الغرض المسوق له الكلام مع الاشتراك فى الفاعل قوله كانه استدل يعنى انه ولم احيى به الارض لاجل فاء السببية لا يصح جعله صلة مستقلة فهو تتمة للصلة الاولى والاستدلال بالانزال المستتبع للاحياء فلا يكون الفصل به مانعا للعطف بخلاف وبث فانه يصح ان يكون صلة قوله وبث الحيوانات اشار بصيغة الجمع الى ان المراد من كل دابة كل نوع من الدواب فان جميع الحيوانات انما هو باعتبار انواعها قوله وقيل المسخر للرياح فمتعلق المسخر محذوف والظرف مستقر وقع حالا من ضمير المسخر فلذا مرضه قوله او على احيى فيدخل تحت فاء السببية ولما كان سببية الماء لا لبث حقيقة بينه بقوله فان الدواب الخ وعلى هذا يحتاج الى تقدير الرابط اعنى به اى بالماء ليشعر بارتباطه بانزال استقلالا كاحيى قوله فى مهابها قبولا ودبورا وصبا وشمالا وفى احوالها حارة وباردة عاصفة ولينة وعقيما ولواقح وتارة بالرحمة وتارة بالعذاب عبد

لا يبرد ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلعم ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلف لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل

مجرى الماضي لتحققه كقوله تع ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولى
يرى وجواب لو محذوف اى لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا
اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا
اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب
ولو ترى على انه خطاب للنبى عليه الصلوة والسلام اى ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر
اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف
او اضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اى اذ تبرا المتبوعون
من الاتباع وقرئ بالعكس اى اذ تبرا الاتباع من الرؤساء وراوا العذاب اى رائين
له فالواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرا وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف
على تبرا او راوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التى كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرؤا منا لو للتمنى ولذلك اجيب
بالفاء اى ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهى ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا
فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة
فى الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا
نزلت فى قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة
او حال مما فى الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما فى الارض طيبا يستطيبه الشرع
او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا
به فى اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والبزى وابو بكر
حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خطوة وهى ما بين قدمى الخاطى وقرئ
بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهى المرة
من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة

قوله يستطيبه الشرع فى القاموس استطاب الشىء وجده طيبا وطاب يطيب طيبا وطيبة لذ وزكى وفى التاج الطيب والطيبة والتطيب خوش شدن وخوشى شدن والطيب با كيزه شدن فالمعنى ما يعده الشرع لذيذا لا يعافه ولا يكرهه او طاهرا منزها نبس الشبهة والفائدة فى توصيف الحلال تعميم الحكم كما فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض ليحصل الرد على من حرم بعض الحلالات فان النكرة الموصوفة بصفة عامة تعم بخلاف غير الموصوفة كما تقرر فى الاصول قوله اذ الحلال دل على الاول يعنى ينبغى ان يفسر الطيب بما تستطيبه الشهوة المستقيمة ليكون افادة لا بما يستطيبه الشرع فانه يكون اعادة اذ الحلال فى قوله تع حلالا دل عليه عبد

لمن يغويه وكذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم

ما تحته او عقيلهم فى دعايهم الاصنام بالناعق فى نعقه وهو التصويت على البهايم و
يغنى عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الادعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك
من باب التمثيل المركب صم بكم عمى رفع على الذم فهم لا يعقلون اى بالفعل للاخلال
بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم
ما فى الارض سوى ما حرم الله عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا
بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم
تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل
العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبى صلعم يقول الله تعالى انى
والانس والجن فى نباء عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى انما حرم عليكم
الميتة اكلها والانتفاع بها وهى التى ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين
من حى والسمك والجراد اخرجها العرف عنها او استثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين
تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف فى المدبوغ والدم
ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وساير اجزايه كالتابع له
وما اهل به لغير الله اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال
واهل لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤى سمى ذلك اهلالا ثم قيل
لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر وقرأ عاصم
وابو عمرو وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالى ولا
عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول
احمد فلا اثم عليه فى تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل
انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر
مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه
ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا
عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار اما فى الحال لانهم اكلوا ما

قوله والحديث اخرجه ابو داود والترمذى وحسنه عن ابى واقد الليثى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة كذا فى حاشية الشيخ السيوطى قوله او استثنى الشرع اى بحديث احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال اخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث ابى هريرة كذا فى حاشية السيوطى عبد

قوله او رفع الصوت للصنم بقع الصوت للصنم ان يذكر اسمه عند الذبح ومعنى ما اهل لغير الله نودى عليه بغير اسم الله واقام للصنم مقام لغير الله بدليل قوله وما ذبح على النصب تنبيها على ان المقصود بالخطاب هم المشركون لانهم كانوا يستحلون هذه الامور وليس المراد تخصيص الغير على ما ذهب اليه عطاء ومكحول والحسن والشعبى وسعيد بن المسيب حيث اباحوا ذبيحة النصرانى اذا سمى عليها باسم المسيح لانه خلاف مذهب الائمة الثلث مالك وابو حنيفة والشافعى فانهم اتفقوا على حرمتها عملا بظاهر النص قوله يقال اهل الهلال

بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دمًا ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر. يعني الدية او في المآل اي لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما للتورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طايفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيّنه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر او وفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القران وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر واتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه الصلوة والسلم لما سئل اي الصدقة افضل

قوله اللام فيه اما للجنس ان قلنا ان وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان الثاني غير الاول فاللام للجنس وان قلنا انه اعيد المعرفة معرفة فيكون الثاني عين الاول فالمراد اما التورية او القران على طبق الاول عبد

قوله او خلفوا من الخلف بفتح اللام بمعنى العوض وعلى الوجهين بناء الافتعال للتصرف كما في اكتسب ومبنى الوجهين اختلاف العلماء في ان تحريف اليهود للتورية كان بالتاويلات الزائغة او بتبديل الكلمات كما في تفسير قوله تعالى ثم يحرفونه ثم لا يخفى ان المصدر المزيد يشتق من الثلاثي وان وضع المشتقات نوعي كما صرح في التلويح في قصر العام فالظاهر ان وضع مبدأ الاشتقاق للمعنى واجراء المشتق في كلامهم على قاعدته كما في تفسيره من غير احتياج الى السماع في احاده عبد

قوله عطف على من آمن وتغيير الاسلوب للدلالة على مغايرته لما سبق فانه من حقوق العباد والسابق حقوق الله والعامل فى اذا الموفون اى لا يتاخر ايفاؤهم بالعهد عن وقت بقائه قوله وفى الحديث تمهيد لوجوب حقوق فى المال سوى الزكوة فان النسخ يقتضى سبق الوجوب اخرجه ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ من حديث على كرم الله وجهه مرفوعا نسخت الاضحية كل ذبح ورمضان كل صوم وغسل الجنابة كل غسل والزكوة كل صدقة وقال هذا حديث غريب وفى اسناده المسيب بن شريك ليس عندهم بالقوى اخرجه الدارقطنى والبيهقى قوله منحصرة فى ثلثة اشياء لان الكمال اما من حيث العلم وهو صحة الاعتقاد او من حيث العمل فاما مع الخلق وهو حسن المعاشرة او مع الحق وهو التهذيب عبد

لما سئل اى الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه الصلوة والسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذى اسكنه الخلة واصله دايم السكون كالمسكير لدايم السكر وابن السبيل المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه الصلوة والسلم للسائل حق وان جاء على فرس وفى الرقاب وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله واتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثانى اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين فى البأساء والضراء نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على ساير الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر والضراء فى الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا فى الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذايل والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها لكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله تع من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله واتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى اخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار عليه الصلوة والسلم من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد

والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلعم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى علي كرم الله وجهه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلعم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القران واحتجت الحنفية به على مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع والمراد وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضي العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك اي قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه الصلوة والسلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حياة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة

قوله فليس له دعوى نسخه بقوله تع النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر بالانثى فانه بعمومه ينسخ اشتراط المساواة في الحرية والذكورة المستفادة من قوله الحر بالحر قوله فلا ينسخ ما في القران الا ان حجية حكاية شريعة من قبلنا مشروط بان لا يظهر ناسخه كما صرح به وهو لا يتوقف على ان لا يوجد في القران ما يخالف المحكي اذ لو وجد ذلك كان ناسخا له لتأخره عنه فيكون الحكاية حكاية المنسوخ فلا يكون حجة فضلا عن ان يكون ناسخا وبهذا ظهر ضعف ما قال المحقق التفتازاني انهم يقولون ان المحكي في كتابنا من شريعة من قبلنا بمنزلة المنصوص المقرر فيصلح ناسخا قوله واحتجت الحنفية به اي بقوله كتب عليكم القصاص ان مقتضى العمد القود قالوا القود واجب وليس للولي اخذ الدية الا برضا القاتل وهو احد قولي الشافعي حتى اذا عفى الولي عن القصاص يسقط حق الولي وكذا اذا مات القاتل وفي قول الواجب احدهما لا بعينه ويتعين باختياره فلو عفى الولي القصاص كان له المطالبة بالدية ولو مات القاتل كان له حق استيفاء الدية

عدي به اي اذا كان تعديته بعن الى الذنب مرادا سواء كان مذكورا بحق عفوت له عن ذنبه اولا كما في الاية عدي الى الجاني باللام اذ ذكر لان التجاوز عن الاول والنفع للثاني قوله وعليه ما في الاية لما عدي الى الجاني باللام علم ان المقصود التجاوز عن جنايته الا انه ترك ذكرها لان الاهتمام بشان الجاني عبد قوله يعني ولي الدم كما في بعض التفاسير وعن الواحدي ان المراد بالاخ المقتول والكلام على حذف المضاف اي من دم اخيه سماه اخ القاتل اشارة الى ان اخوة الاسلام بينهما لا تنقطع بالقتل قوله قتل بعد العفو وكان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله قوله في الاخرة كما هو الشائع في الكتاب المجيد والموافق لوصف العذاب بالاليم قوله وقيل في الدنيا وهو المروي عن الحسن وابن جبير مرضه لانه خلاف المتبادر في الكبير لان القود حق ولي الدم فله اسقاط سائر الحقوق فلانه قد يكون عذابا وقد يكون امتحانا كما في حق التائب فيكون عذابا من وجه دون وجه فلا يصح وصفه بالاليم عبد

من حيث جعل الشيء محل ضده وعرّف القصاص ونكّر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا
من الحياة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم
كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون
ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحياة
الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة **ولكم في القصاص حياة**
يحتمل ان يكونا خبرين لحياة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن
فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او في القران حياة للقلوب
يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح
وحفظ النفوس **لعلكم تتقون** في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص
فتكفوا عن القتل **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت** اي حضر اسبابه وظهر اماراته
ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي كرم الله وجهه ان مولى له اراد ان يوصي
وله سبع مائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رض
ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك **الوصية**
للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي
او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه
عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ
باية المواريث وبقوله عليه الصلوة والسلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا
والحديث من الاحاد وتلقي الامة لها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسره
بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر
لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم **بالمعروف** بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث

قوله وتذكير فعلها اي يؤيد تذكير فعلها والا فمع المؤنث الغير الحقيقي يجوز التذكير والتانيث
في الرضي وان كان الظاهر غير حقيقي التانيث منفصلا فترك العلامة احسن اظهارا للفصل
الحقيقي عن غيره **قوله** او على تاويل ان يوصي او مصدر المبني للمفعول اي على كونه مؤولا بان
مع الفعل او بالايصاء لان الوصية اسم لا يعمل في الجار والمجرور فلابد من تاويلها بان مع الفعل
او المصدر وفي شمس العلوم الوصية اسم من اوصى يوصي في القاموس اوصاه ووصّاه توصية
عهد اليه والاسم الوصاية والوصية وهي الموصى به ايضا فلا يرد انه لا وجه لتاويل الفاعل
لترجيح التذكير اذ عدم التاويل راجح لان التاويل يدعو اليه العمل لا التذكير ولا يرد انه يجب ان
لا يذكر الايصاء ولذا اقتصر الكشاف على ان يوصي لان الوصية اسم وليس بمصدر فلا بد من تاويلها
بان مع الفعل عند الجمهور او بالمصدر بناء على تحقيق الرضي من ان عمل المصدر لا يتوقف على
التاويل بان مع الفعل **قوله** والعامل في اذا مدلول كتب اي المعنى الدال عليه كتب
المصدر لفظ المدلول اشارة الى ان معنى كتب اوجب والظرف قيد للايجاب من حيث الحدوث
والوقوع وتفصيله ما ذكره ابن عطية فقال توجه الخطاب عليكم ومقتضى كتابته اذا حضر
فعبر عن توجه الخطاب بكتب لينتظم الى هذا المعنى انه مكتوب في الازل عبد

مستانفة وفاعل كتب عليكم **قوله** وكان هذا الحكم اي وجوب
الوصية في ابتداء الاسلام رعاية لحق القرابة لما ان اختلاف الناس بالاسلام
والكفر كان مانعا من الارث ثم لما كثر الاسلام شرع الميراث عبد

حقا على المتقين مصدر موكد اى حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصيا والشهود

بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصا

المغير والتبديل الا على مبدله لانه الذى خالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل

بغير حق فمن خاف من موص اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل وقرا حمزة والكسائى

ويعقوب وابو بكر موص جنفا ميلا بالخطأ فى الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح

بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه فى هذا التبديل لانه

تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة

ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب

على الذين من قبلكم يعنى الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب الفعل

وتطييب على النفس والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفى الشرع الامساك

عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة

التى هى مبداها كما قال عليه الصلوة والسلام فعليه بالصوم فانه له وجاء او الاخلال باداها

لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال

يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا

لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء

او ثلاثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة

وقيل معناه صومكم كصومهم فى عدد الايام لما روى ان رمضان كتب على النصارى فوقع

فى برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك

لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او

على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر

اى فعليه صوم عدد ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف

والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اى فليصم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر هذا

على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه

قوله كما قال عليه الصلاة والسلام المشهور انه له وجاء اى الصوم له وجاء والحديث على ما

فى البخارى ومسلم عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب

من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه

بالصوم فانه له وجاء والوجاء نوع من الخصاء وهو ان يرض عروق الانثيين مع ابقاء

الخصيتين اى انه يقطع شهوة الجماع كما يقطعها الخصاء فى النهاية الباءة النكاح و

التزويج ومن الباءة وهو المنزل لان من تزوج امرأة بوأها منزلا وقيل لان الرجل يتبوء

من اهله اى يتمكن منها كما يتبوء من منزله وفى القاموس والباء النكاح وقال

ايضا فى باب الهاء والباه كالجاه النكاح وباهها جامعها

قوله وجعل علما اى مجموع المضاف والمضاف اليه والا لم يحسن اضافة الشهر اليه كالا يحسن انسان زيد وانما يصح اضافة العام الى الخاص اذا اشتهر كون الخاص من افراده ولذا لم يسمع شهر رجب وشهر شعبان وبالجملة فقد اطبقوا على ان العلم فى ثلثة اشهر مجموع المضاف والمضاف اليه شهر رمضان وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الثانى وفى البواقى لا يضاف شهر اليه ثم بالاضافة يعتبر فى اسباب منع الصرف وامتناع اللام ووجوبها حال المضاف اليه فيمتنع فى مثل شهر رمضان وابن داية من الصرف ودخول اللام وينصرف فى مثل شهر ربيع الاول وابن عباس ويجب اللام فى مثل امرئ القيس لانه وقع جزء حال غلبته باللام ويجوز فى مثل ابن عباس اما دخوله فللمح الاصل واما عدمه فلتجرده فى الاصل

قوله لارتماضهم فيه ... ارتمض فى

قوله فى شمس العلوم ... اى يحرق الذنوب ... ارتماض ... فيه ... اى احرقه ... او لعقيد ... فى اللغة بعض الحرب ... والمحرم لتحريم القتال فيه وصفر لخلو مكة من الخروج اهلها الحرب والربيعان لارتباع الناس فيهما اى اقامتهم وجماديان لجمود الماء فيهما ورجب لترجيب العرب اياه اى لتعظيمهم له وشعبان لتشعب القبائل فيه ورمضان لرمض الفصال فيه وشوال لشول اذناب اللقاح وذو القعدة للقعود فيه عن الحرب وذو الحجة لحجهم فيه عبد

حاشية اسماء الشهور فى الجاهلية
مؤتمر، ناجر، خوان، بصان،
حنين، رنى، اصم، عادل، ناتق،
وعل، ورنة، برك

اسماء الايام فى الجاهلية
اؤمل ان اعيش وان يومى
باول او باهون او جبار
ام التالى دبار ام فيومى
بمونس او عروبة او شيار

وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم فى ذلك فى اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اى يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه ويتطيقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز فى الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اى يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد فى الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون فى الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اى اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية من ابن داية علما للغراب للتعريف والتأنيث وقوله عليه الصلوة والسلم من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذى انزل فيه القرآن اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك فى رمضان

ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عليه الصلوة والسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفا لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه **هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** حالان من القرآن اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلاتها فيكون **ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر** مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اى شرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند رؤية الهلال وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى هداكم اليه وعن عاصم برواية ابى بكر ولتكملوا بالتشديد **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب** اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد

قوله على الاتساع اى فلا جعله مفعولا به لان ضامر لا لازم فيجوز ان يضمر مستغنيا عن لفظة في تقول يوم الجمعة صمته وقد اتفقوا على ان معنى الظرف متوسعا وغير متوسع فيه سواء كذا في الرضى فيكون معنى الاية من كان حاضرا منكم في الشهر في كله او بعضه فليصم فيه في كله او في بعضه

قوله مخصصا له اى بالنظر الى المريض والمسافر كليهما بخلاف الوجه الاول فانه وان كان مخصصا بالنظر الى المريض غير مخصص بالنظر الى المسافر وانما خص هذان العذران بالبيان لكثرة وقوعهما والا فالحائض والمرضعة اذا خافت هلاك الولد حكمهما كذلك واما الصبي والمجنون فخارج عن الخطاب بقوله منكم **قوله** ولعل تكريره لذلك اى للتخصيص اما على الوجه الاول فلتخصيص المريض وبيان حكم المسافر واما على الوجه الثاني فلمجرد التخصيص وهذا على راى من شرط في المخصص ان يكون متاخرا موصولا **قوله** او لئلا يتوهم انه صار منسوخا بقوله فمن شهد منكم الشهر حيث دل على تعين الصوم في حق المريض على الوجه الاول وفي حق المريض والمسافر على الوجه الثاني **قوله** كما نسخ قرينه يعني قوله وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين وهذا على راى من جوز كون المخصص متقدما فالمخصص في الاية المتقدمة والتكرار لدفع التوهم المذكور **قوله** اى يريد ان ييسر عليكم اشار بذلك الى ان اليسر والعسر مصدران بخلاف الزوائد من التفعيل وفيه رد لاستدلال المعتزلة بهذه الاية على انه يقع من العبد ما لا يريده الله تع وذلك لان المريض والمسافر اذا صاما حتى اجهدهما الصوم فقد فعلا خلاف ما اراد الله تعالى لانه تع اراد اليسر حاصل الرد ان الله تع اراد التيسير وعدم التعسير في حقهما باباحة الفطر وقد حصل بمجرد الامر بقوله فعدة من ايام اخر من غير تضييق عبد

قوله وفيه دليل اى فى قوله باشروهن الى قوله حتى يتبين اه دليل على جواز نسخ السنة بالكتاب بل على وقوعه فان الحكم المنسوخ اعنى حرمة الوقاع والاكل والشرب كانت ثابتة بالسنة اذ ليس فى القرآن ما يدل عليها وانما جعله دليلا على النسخ مع ان قوله تع احل لكم ايضا دليل على ذلك جمعا للنواسخ فى حكم واحد ولان النسخ بقوله احل لكم نسخ بلا بدل اذ المقصود منه بمجرد ازالة الحرمة عن الجماع ليلة الصيام من غير دلالة على حكم متعلق به من الوجوب والاباحة والندب والكراهة وجواز النسخ بلا بدل مما اختلف فيه بخلاف قوله باشروهن فانه دال لدلالته على الاباحة نسخ للتحريم السابق بالاتفاق فيكون دليلا على نسخ السنة بالكتاب اتفاقا

واثوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم وليؤمنوا بى امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تع لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر باشر بعد العشاء فندم واتى النبى صلعم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى تصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى

اذا ما الضجيع ثنى عطفها ... تثنت فكانت عليه لباسا

اولان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عليكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته فى اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة

من خلق الشهوة وشرع النكاح لاقضا الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير الماتى والتقدير

وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط

الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين

ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته

عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض

الفجر وما روى انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون

ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير

البيان الى وقت الحاجة جائز واكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس

على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم

المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان اخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال

ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث

في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطي وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج

الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد

ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطي يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب

الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز

بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى عنه كما قال عليه الصلوة والسلم

ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ومناهيه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو

ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله

اياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل

اي ولا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف

او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي ونصب باضمار ان

والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة

من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او متلبسين

قوله فينفي صوم الوصال قال الشيخ السيوطي استنبط تواريخ ذلك الحكم من الاية النبي صلى الله عليه وسلم كما اخرجه ابن سعيد بن يعني ينفي كون الليل محل الصوم وان يكون صوم اليومين صومة واحدة بان اخرج الليل عن الصوم سواء كان غاية للصيام او الاتمام فيكون الصوم منقطعا عنده قوله معتكفون فيها لما كان العكوف معان متعددة فسر بالاعتكاف الذي بمعنى الاحتباس بعينه المراد في التاج العكف باز داشتن العكوف باز داشته شدن قوله وفيه دليل الخ اذ لو جاز الاعتكاف شرعا في غير المسجد لجاز المباشرة في الاعتكاف وهو باطل بالاجماع فعلم ان التقييد لافادة ان الاعتكاف لا يصح الا في المسجد وليس احترازا عن اعتكاف لا يكون في المسجد قوله ولا يختص بمسجد الخ فيصح في جميع المساجد مطلقا على ما هو مذهب الشافعي بناء على عموم اللفظ وقال ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام ومؤذن ذهابا الى ان المطلق ينصرف الى الكامل وهو الجماعة لان المساجد انما بنيت لها قوله لان النهي في العبادات الخ هذا ما اختاره المصنف في المنهاج حيث قال النهي يدل شرعا على الفساد في العبادات لان المنهي عنه بعينه لا يكون مامورا عبد

بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم تكن له بينة فحكم رسول الله صلعم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلعم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلم انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة تعرف بها اوقاتها وخصوصا للحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت قرأ ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر من ظهورها ولكن البر من اتقى وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من

ابوابها اذ ليس في العدول بر وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روى ان المشركين صدوا رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة او المثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود

واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم ولا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاء يفعل بهم مثل فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة

كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس
الامر عليكم والفا الاولى للتعقيب والثانية للجزا الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضا فيه وكرهوا ان يقاتلوهم
لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج
عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم
بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في
الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم
وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف
وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم
على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام
وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت وبالامساك
وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء
في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والبا مزيدة والمراد بالايدي
الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا
انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم
اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله
يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى
وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة لله وما روى
جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض
بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال
هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون
الوجوب بسبب الاهلال بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال

قوله وقيل معناه الخ معطوف على قوله والمراد بالايدي الخ فالبا مزيدة والايدي بالمعنى
الحقيقي والمعنى لا تجعلوا التهلكة آخذة بايديكم قابضة اياها لان من القى بيده
الى صاحبه فقد عرضها لقبضه كما تقول القيت اليك المتاع اذا قبضته منك قوله
او لا تلقوا الخ معطوف على قوله والبا مزيدة فعلى هذا البا ليست مزيدة والايدي بمعناها
الحقيقي والمفعول محذوف وفائدة بايديكم التصريح بالنهي عن الالقاء الى التهلكة
بالقصد والاختيار قوله اعمالكم واخلاقكم الخ فعلى الاول متعد بنفسه معناه
جعل الشيء حسنا وعلى الثاني متعد باللام والبا يقال احسن الله له وبه نيكوئي كرد
وحذف المفعول على كلا التقديرين للتعميم قوله وهو على هذا يدل الخ لان الامر باتمامهما
حال كونهما تامين اي مستجمعي الشرائط والاركان والامر للوجوب بخلاف ما اذا حمل اللفظ
على ظاهره اي اجعلوهما تامين فانه يدل بظاهره على وجوب اتمامهما ولا يدل على وجوب الاصل
فان الحج والعمرة المستحبين يجب اتمامهما بعد الشروع فيهما وهذا متفق عليه بين الشافعية
والحنفية فان فساد الحج والعمرة مطلقا يوجب السعي في تقضية الافعال والقضاء
قوله معارض الخ فان قوله هديت لسنة نبيك يدل على ان الاهلال بهما طريقة النبي
عليه الصلاة والسلام فان الاستدلال بحكاية الصحابة من سنة النبي عليه الصلاة والسلام
فيكون استدلال الفعلي الذي رواه الصحابي فما قيل ان هذا الرد الزامي لان قول
الصحابي ليس بحجة عند الشافعي وانه كيف يعارض قول الصحابي الحديث المروي عن الرسول
ليس بشيء قوله ولا يقال الخ رد على الكشاف يعني ان قوله اهللت بهما جملة مفسرة
لقوله وجدت فيجوز ان يكون الوجوب بسبب الاهلال بهما فلا يدل الحديث على وجوبهما ابتداء

دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان يكون النفقة حلالا **فان احصرتم** منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض وغيرهما عند ابي حنيفة لما روي انه عليه السلم قال من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلم لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني **فما استيسر من الهدي** فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله **ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله** اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي في مطية **فمن كان منكم مريضا** مرضا يحوجه الى الحلق **او به اذى من راسه** كجراحة وقمل **ففدية** فعليه فدية ان حلق **من صيام او صدقة او نسك** بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصع **فاذا امنتم** الاحصار او كنتم في حال امن وسعة **فمن تمتع بالعمرة الى الحج** فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله تع بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج **فما استيسر من الهدي** فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك

قوله لقوله عليه السلام رواه البخاري والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلك اردت الحج قالت والله ما اجدني الا وجعة فقال لها حجي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فهذا يدل على ان التحلل لا يحصل لبعض المرض دون الشرط فيجب ان يحمل الحديث الاخر عليه جمعا بينهما والجواب ما تقرر في اصول الحنفية من ان المطلق يجري على اطلاقه والمقيد على تقييده الا اذا اتحد الحادثة والحكم وكان الاطلاق والتقييد في الحكم وما نحن فيه ليس كذلك **قوله** يوم امار في النهاية في الحديث عن ابن مسعود في رجل اهل بعمرة فلسع قال ابعثوا الهدي واجعلوا بينكم وبينه يوم امار والامار والامارة العلامة وقيل الاماد جمع امارة واختار لفظ الامار تلميحا الى هذا الحديث **قوله** والمحل بالكسر يقال حل المكان كما في الاية وحل الزمان كما يقال محل الدين لوقته الذي يجب فيه قضاؤه **قوله** كجدي وجدية الجدية شيء محشو تحت السرج والجمع جدي ومعنى الهدي ما يهدى الى بيت الله تعالى تقربا اليه بمنزلة الهدية يهديها الانسان الى غيره تقربا اليه **قوله** مرضا يحوجه الى الحلق قيد بذلك لان قوله تعالى فمن منكم مخصص لقوله تعالى ولا تحلقوا متفرع عليه وقوله ففدية مقيد بالحلق ثم الحلق ان كان كناية عن التحلل فعموم الحكم لكل فعل مناف للاحرام كفعل المريض مستفاد بطريق العبارة وان كان المراد خصوص الحلق فمستنبط بطريق الدلالة على ما سبق في ولا تحلقوا **قوله** وبيان قدرها اي في المصابيح عن كعب بن عجرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وهو يوقد تحت قدر والقمل تتهافت على وجهه فقال ايؤذيك هوامك قال نعم قال فاحلق راسك واطعم فرقا بين ستة مساكين والفرق ثلثة اصوع او صم ثلثة ايام او انسك نسيكة في النهاية الهامة كل ذات سم تقتل والجمع الهوام فاما ما يسم ولا يقتل كالعقرب والزنبور فهو السامة وتقع الهوام على كل ما يدب على الارض من الحيوان وان لم يقتل كالحشرات ومنه حديث كعب بن عجرة ايؤذيك هوام راسك اراد القمل والفرق بالتحريك صاع يسع ستة رطل وهو اثنى عشر مدا او ثلثة اصع عند اهل الحجاز وقيل الفرق خمسة اقساط والقسط نصف صاع فاما الفرق بالسكون فمائة وعشرون رطلا وقد نسك ينسك نسكا اذا ذبح والنسيكة الذبيحة انتهى **قوله** فاذا امنتم الاحصار في القاموس الامن ضد الخوف امن كفرح امنا وامانا بفتحهما وامنا وامنة محركتين وامنا بالكسر فهو امن كفرح امنا كسمعه وفي الاساس فقوله امنتم لازم وبصيغة الاحصار بنزع الخافض اي من الاحصار وليس ببعيد لان معنى امنته جعلته امنا ولا معنى لجعل الاحصار امنا ومبنى الوجهين على ما في الصحاح من ان الامن ضد الخوف والامنة من الامن فان كان مشتقا من الامنة كان معناه فاذا زال عنكم خوف الاحصار فيكون بيانا لحكم من زال عنه الاحصار بطريق العبارة ويفهم منه حكم من كان امنا ابتداء بطريق الدلالة وان كان مشتقا من الامن كان معناه اذا كنتم في امن وسعة ولم تكونوا خائفين والفاء في فاذا امنتم عطف على احصرتم للتعقيب سواء اريد حصر العدو او كل منع في الوجود على ما هو الاصل في الوجه الاول والتعقيب الذكري في الوجه الثاني وفي فمن تمتع جواب اذا وفي فما استيسر جواب فمن تمتع وفي فمن لم يجد العطف على فاذا امنتم **عبد**

قوله وهو من كان الضمير راجع الى من لم يكن فان الحاضر على هذا ضد المسافر وعلى الثاني
الاصح بمعنى الشاهد اي من لم يكن غائبا عن المسجد الحرام وعدم الغيبوبة عنه ان يكون
شاهدا فيه حقيقة عند مالك بان يكون من اهل مكة واهل ذي طوى فلو ان اهل بني عامر مثلا
عن الحرم من حيث حجرهم ثم اقاموا بمكة حتى حجوا كانوا متمتعين عنده كذا في الكبير او يكون
شاهدا فيه حقيقة او حكما بان يكون داخل الميقات عند ابي حنيفة سواء كان مكيا او غيره
ساكن الحرم او الحل فان حكم الكل واحد في ان ميقاتهم الحرم وان يكون من اهل الحرم عند
طاوس فانه يقول ان ميقات اهل الحرم الحرم دون غيرهم قوله اي وقته لان الحج ليس نفس الاشهر فلا
بد من تقدير المضاف وانما لم يحمل على ان الحج ذو اشهر او ان الحج نفس الاشهر على الاتساع لان
المقصود بيان وقته كما يدل عليه فمن فرض فيهن فالتنصيص المقصود بيان وقته كما يدل عليه قيل
اولى قوله بليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع الفجر من يوم النحر العاشر لا يكون فائتة مع بقاء
وقتها كذا في الكبير وفيه ان فوته بفوت وقت ركنها الاعظم وهو الوقوف لا يفوته
مطلقا قوله والعشر عند ابي حنيفة لان يوم النحر يكون فيه اركان الحج وهو طواف الزيارة ولانه
فسر يوم الحج الاكبر بيوم النحر قوله وذو الحجة عملا بظاهر لفظ الاشهر ولان ايام النحر يفعل
فيها بعض اعمال الحج من طواف الزيارة والحلق ورمي الجمار والمرأة اذا حاضت تؤخر الطواف
الذي لا بد منه الى انقضاء ايام بعد العشرة ولانه يجوز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر
على ما روي عن عروة ابن الزبير قوله وبناء الخلاف يعني بعد الاتفاق على ان الفراغ
من اعمال الحج يحصل بعد العشرة وشيء من اعماله لا يصح في اخر ذي الحجة الا على رواية غير مشهورة
عن مالك انه يجوز تاخير طواف الزيارة الى اخر ذي الحجة على ما سيجيء وجه الخلاف بين
العلماء الثلثة قوله ان المراد بوقته وقت الاحرام نشر على ترتيب اللف اي مبنى الخلاف ان
المراد وقت الاحرام عند الشافعي والاحرام لا يصح بعد طلوع فجر يوم النحر لعدم امكان الاداء وان
جاز اداء بعض الحج في ايام النحر والمراد وقت الاعمال والمناسك عند ابي حنيفة فاليوم العاشر
داخل فيه لكونه وقتا لاداء الرمي والحلق والطواف فان قلت كما ان اليوم العاشر وقت لما ذكر
كذلك بقية ايام النحر فما وجه التخصيص بالعشر قلت اقتضاء لما روي عن ابن عمر في قوله
الحج اشهر معلومات انه قال شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة ولعل وجهه ان المراد الوقت
الذي يتمكن فيه المكلف من الفراغ عن مناسكه بحيث يحل له كل شيء وهو اليوم العاشر وما
سواه من بقية ايام النحر فللتيسير في اداء الطواف ولتكميل الرمي قال التفتازاني ثمرة
الخلاف ان الاحرام لا يجوز يوم النحر عند الشافعي ويجوز عند ابي حنيفة وفيه انه ان اراد انه
ان اراد انه يجوز الاحرام عنده لادائه في هذه السنة فباطل لعدم امكانه لفوات وقت
الوقوف وان اراد لادائه من قابل فهو من ثمرات جواز تقديم الاحرام على الاشهر قوله وابو حنيفة
وان صحح الجواب عما يرد على قوله ان المراد وقت اعماله ومناسكه عند ابي حنيفة من انه يجوز تقديم
الاحرام على الاشهر فكيف يكون وقت اعماله وحاصل الجواب ان المراد وقت اعماله من غير كراهة
والاحرام قبلها وان جاز عنده الا انه يكره عبد الحكيم

فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام
وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه
وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم
وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة
وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها
ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة
كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة
فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة
فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد
الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من
كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فانه مقيم الحرم او في حكمه
ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله
في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم
يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات
معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة
وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله
ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية
ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض
شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج
فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او بسوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل
على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش
من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال

ولا برأسع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها
حقيقة بان لا يكون وما كانت منها مستقبحة في نفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة
والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى
الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر
الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله
حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد
التقوى وتزودوا للمعاد كما التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون
ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا
ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب
خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى
فيتبرأ من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي
الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا
من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم
في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت
فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم
انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات
وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن
ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا
ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث وانما هي
مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان
المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمونث كتاء بنت وانما سمي الموقف
عرفة لانه نعت لابراهيم فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال

قوله لان تنوين جمع المونث في مقابلة نون جمع المذكر فان النون في جمع المذكر قائم مقام التنوين التي في الواحد في المعنى الجامع لاقسام التنوين وهو كونه علامة تمام الاسم فقط وليس في النون شيء من معاني الاقسام الخمسة فكذلك التنوين في جمع المونث علامة لتمام الاسم فقط وليس فيها ايضا شيء من تلك المعاني يعني سوى المقابلة قوله لا تنوين التمكن والممنوع من غير المنصرف تنوين التمكين لانه الدال على عدم مشابهة الاسم بالفعل قوله وذهاب الكسرة منصوب معطوف على تنوين الجمع فالمجموع دليل واحد لقوله وانما نون وكسر على اللف والنشر المرتب وهو اختيار للمذهب الراجح فانهم اختلفوا في انهما سقطا معا او سقط الكسرة تبعا للتنوين التي هي علامة لتمكنه وكونه منصرفا وانما تبعه التنوين لان التنوين يحذف لا لمنع الصرف كما في الوقف ومع اللام والاضافة والبناء فارادوا التنصيص من اول الامر على انه تسقط لمشابهة الفعل لحذفوا معه صورة الكسرة التي لا تدخل على الفعل كما قال الرضي والاقرب هو الثاني لان الكسرة تعود في حالة الضرورة مع التنوين تابعا له لانه لا داعية الى اعادة الكسرة اذ الوزن يستقيم مع التنوين وحده فلو كان الكسر حذف ايضا لمنع الصرف كالتنوين لم يعد بلا ضرورة داعية اليه اذ مع الضرورة لا يرتكب الا قدر الحاجة وانما قيد الذهاب من غير عوض بكونه لعدم الصرف لان ذهاب تنوين التمكن اذا كان بعوض لم يتبعه الكسر على ما قال الرضي لما عاقبت اللام والاضافة التنوين في نحو الاحمر واحمركم صارتا كالعوض منه فكانه ثابت فلم يحذف الكسر وكذا اذا كان ذهابه لاجل البناء لم يتبعه الكسر كما في حضار وطمار وجير مما يبنى على الكسر او لاجل الوقف فانه يجيء فيه الروم

فذعرف اولان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا اولان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة

فى ذلك وهى من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها

لان الافاضة لا تكون الا بعده وهى مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور

وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل

بصلاة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمى

عرفة ووادى محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه الصلوة والسلام لما صلى الفجر يعنى

بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر

وانما سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه

ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر واذكروه كما هداكم كما

علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية

او كافة وان كنتم من قبله اى الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هى

المخففة واللام هى الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين

ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون

بجمع وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت

ما بين الافاضتين كما فى قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة

الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اى الناسى يريد آدم

من قوله فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا

الله من جاهليتكم فى تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر

وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله

كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم فى المفاخرة وكانت العرب

اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن

ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى

فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف

قوله ومعنى عند المشعر الحرام جواب ما يقال لو كان المشعر الحرام هو الجبل فلم خص الله

تعالى الذكر عنده والحال ان الذكر مأمور به فى جميع المزدلفة لانها كلها موقف وحاصله

ان التخصيص بالذكر لفضله وشرفه قوله الا وادى محسر بين عرفات ووادى محسر موضع

على يسار المزدلفة الا انه ليس بموقف لكن صرحوا بان جبل قزح آخر جبل المزدلفة

ووادى محسر موضع على يسار المزدلفة والجواب ان الاستثناء منقطع والمحسر بضم الميم

وكسر السين المشددة من الحسر وهو الاتعاب يسمى به لانه لا يقف فيه بل يمشى سريعا

فكانه اتعب نفسه قوله كما علمكم بالهداية الى المناسك يعنى فالقبلة والتشبيه

لبيان الحال ومفاده القيد اى على النحو الذى هداكم الله اذكروه ولا تعدلوا عنه وهى

تعليم المناسك والمراد على الثانى مطلق الهداية وصفا والتشبيه التسوية فى الحسن

والكمال كما يقال احذ مثل ما اكرمك يعنى لا تقصر فى خدمته عن اكرامه قوله وما مصدرية

او كافة وعلى تقدير المصدرية محل كما هداكم النصب على المصدرية بحذف الموصول اى اذكروه

ذكرا مماثلا لهدايته لكم وعلى الكافة لا محل لها من الاعراب لان كاف التشبيه ليست بجارة

بل لمجرد تشبيه مضمون الجملة بالجملة ولذا لا يطلب فعلا عاملا ينتهى معناه الى منعوتها

نص عليه الرضى ثم قال انه خفى فقد خفى عليه الواضح عند النحاة عبد الحكيم

يعني او كذكر قوم اشد منكم ذكرا وَ اَشَدَّ منصوب بالعطف على آبائكم وذكرا بين فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكور يتر من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين والمراد الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اى نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رض الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بهما اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اى من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطاياهم اغرقوا او مما دعوا نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اى فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وطلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اى الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان بجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اى ما يقوله في امور الدنيا

قوله يحاسب اه فسريع الحساب بمعنى يحاسبهم على قدر اعمالهم واكسابهم ولا يشغله شان عن شان لان المحاسبة تكون في مقدار لمحة في الكواشي روي انه تع يحاسبهم في مقدار فواق ناقة وروي في لمحة وذكر الشيخ السيوطي قال الشيخ ولي الدين العراقي لم اقف عليه قلت اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال انما هي ضحوة فيقيل اولياء الله على الحور العين ويقيل اعداء الله تعالى مع الشياطين مقرنين واخرج ابن جرير عن سعيد الصواف قال يعني ان يوم القيمة يقصر على المومنين كما بين العصر الى غروب الشمس قوله او يوشك فسريع الحساب بمعنى سريع حسابه بحسن الوجه والجملة تذييل لقوله فاذكروا الله كذكركم آباءكم اه واعلم ان الحساب اما على حقيقتها كما هو قول اهل الحق من ان النصوص على ظواهرها ما لم يصرف عنها صارف او مجاز من خلق علم ضروري فيهم باعمالهم وجزائها كما وكيفا او مجازا يتم عليها والقول بان التقدير في احد يومين الا انه مجمل فسر باليوم الثاني او في آخر يومين خروج عن مذاق النظم قوله يوم القر بفتح القاف وتشديد الراء اول ايام التشريق سمي به لانه تستقر فيه الناس قوله اى فمن نفر اه يعني ان النفر ليس فعلا ممتدا تحصل بانقضاء اليوم الاول وذهاب شيء من الثاني فليس ظرفه اليومين له على الحقيقة كما في كنت في يومين فالمراد ان تقع في اليوم الثاني الا ان استعداده يكون في اليوم الاول فجعل اليومين ظرفا له توسعا قوله وقبل طلوع الفجر اى من اليوم الثالث معطوف على قوله في ثاني ايام التشريق وعطفه على بعد تكلف لان اليوم الثاني ينقطع عند الليل قوله في مجامع اموركم جمع مجمع ومنه اجمعت الامر اذا عزمت عليه والامر مجمع كذا في الصحاح اشار الى انه حذف متعلق اتقوا فيما يتعلق به العزم لا فيما يختلج في الصدر من غير عزيمة فانه معفو والتقييد بقوله ليعبأ بكم مستفاد من اقتران اتقوا بقوله لمن اتقى فان الحكم الالهي لما كان المنتفع به المتقي او لاجله كان المتقي عند الله ما يعبأ به قوله يروقك في التاج الروق ينكو آمدن فالتعجب مجاز عما يلزمه من الروق والعظمة فان الامر الغريب المجهول سببه تطيبه الطبع ويعظم وقعه في القلوب وليس على حقيقته لعدم الجهل بالسبب اى الفصاحة والحلاوة وقوله تع ومن الناس معطوف على ما قبله والجامع انه لما ساق بيان احكام الحج الى بيان انقسام الناس في الذكر والدعاء في تلك المناسك الى الكافر والمؤمن تممه ببيان قسمين آخرين المنافق والمخلص ولظهوره لم تعرض له المص قوله لجهله بسبب التعجب منه وليس هو سببا له في ذاته بل بحسب الاضافة الى من يعرف السبب الى من لا يعرفه ولذا لا يصح على علام الغيوب وحقيقة اعجبني كذا ظهر لي ظهورا لم اعرف حقيقته قوله اى ما يقوله في امور الدنيا قال المراد من الحيوة ما به الحيوة والتعيش وعلى الثاني على معناها وجعله ظرفا للقول من قبيل الظرفية قولهم في عنوان المباحث الفصل الاول في كذا او الكلام في كذا اى المقصود منه ذلك ولا حذف في شيء من التقديرين على ما هو ويكون الظرفية في تقديره كما في قوله عليه السلام في النفس المؤمنة مائة من الابل اى في قتلها فالسبب الذي هو القتل متضمن للدية تضمن الظرف للمظروف وهذه هي التي يقال للسببية كذا في الرضي مما قيل ان الاوجه ان يجعل في بمعنى اللام ليس امرا زائدا على ما في الكتاب.

وأسباب المعاش أو في معنى الدنيا فإنها مراده من ادعاء المحبة وإظهار الإيمان أو بيعجبك أي يعجبك
قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة أو لا
لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على أن ما في قلبه
موافق لكلامه وهو ألد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز
أن يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى أشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الأخنس بن
شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلعم ويدعي الإسلام وقيل
في المنافقين كلهم وإذا تولى أدبر وانصرف عنك وقيل إذا غلب وصار واليا سعى في الأرض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم وأحرق زروعهم
وأهلك مواشيهم أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤم
الظلم القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه وإذا
قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي يؤمر باتقائه
لجاجا من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم
علم لدار العقاب وهو في الأصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر
والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها
يبذلها في الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه
وقيل إنها نزلت في صهيب بن سنان الرومي أخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال إني شيخ كبير
لا ينفعكم إن كنت معكم ولا يضركم إن كنت عليكم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه
وأتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث أرشدهم إلى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد فعرضهم
لثواب الغزاة والشهداء يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالفتح والكسر الاستسلام
والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والإسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون
وكافة اسم للجملة لأنها تكف الأجزاء من التفرق حال من الضمير أو السلم لأنها تؤنث كالحرب
قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع والمعنى استسلموا لله
وأطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين أو ادخلوا في الإسلام بكليتكم ولا تخلطوا

برغيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها
او شرايع الله كلها بالايمان بالانبيآء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب
الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشئ والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان
بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد
ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام
حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله
اى يأتيهم امره او بأسه كقوله تعالى او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف
المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك
وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة
فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف
اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره والآتون على الحقيقة ببأسه
وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع
المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور
قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء
للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل
بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة
ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية
مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن
للفصل ومن يبدل نعمة الله اى آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم يجعلها سبب الضلالة
وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن
من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن
يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها

قوله وكم خبرية وسل معلقة عنه والمسئول عنه محذوف والجملة مستأنفة لا محل لها من
الاعراب مبنية لاستحقاقهم التقريع كانه قيل سل بني اسرائيل عن طغيانهم وجحودهم للحق
بعد وضوحه فقد آتيناهم آيات كثيرة قوله او استفهامية والجملة في موضع المفعول
الثاني لسل وسل معلقة وقيل في موضع المصدر اي سلهم هذا السؤال وقيل في موضع
الحال اي سلهم قائلا كم آتيناهم قوله مقررة من التقرير بمعنى حمل المخاطب على الاقرار او بمعنى
التحقيق والتثبيت قوله ومحلها اي محل كم النصب على انه مفعول لآتيناهم لان بعده
فعل غير مشتغل عنه بضميره كانه قيل كم آية آتيناهم قوله على حذف العائد والاصل
كم آتيناهم اياها وهو ضعيف على ما في الرضي وقال ابو حيان وهذا عند البصريين لا يجوز
الا في الشعر وشاذ من القول قوله بجعلها متعلق بيبدل وهذا على تقدير ان يراد بالآيات
المعجزات وقوله او بالتحريف على تقدير ان يراد آيات الكتب قوله من بعد ما وصلت فيه
اشارة الى ان المجيء كناية عن التمكن من المعرفة بواسطة ان المجيء يلزمه الوصول والوصول
يلزمه التمكن . وفائدة هذه الزيادة وان كان تبديل الآيات مطلقا مذموما التعريض بانهم
بدلوها بعد ما عقلوها اي بعد ما تمكنوا من معرفتها وفيه تقبيح عظيم بهم ونعي على
شناعة حالهم واستدلال على استحقاقهم العذاب الشديد حيث بدلوا بعد المعرفة واليه
اشار بقوله لانه ارتكب اشد جريمة قوله فيعاقبه اشد عقوبة يحتمل ان يكون جواب الشرط
مقدرا اقيم علته مقامه والتقدير فيعاقبه اشد عقوبة لان الله شديد العقاب ويحتمل
ان يكون الجملة الاسمية جواب الشرط بتقدير الضمير اي شديد العقاب له وعبارة
المص تتضمن الوجهين فعلى الاول بيان للتقدير وعلى الثاني لحاصل المعنى

واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة
زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور
البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا يريد فقراء المومنين كبلال
وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى
ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة من الذين امنوا اليد
على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب
بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين
على الحق فيما بين آدم وادريس ونوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في
ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف
لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون
الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل
معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن
لهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق
شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي
اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق والكتاب الا الذين اوتوه اي
الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله
الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا
فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمومنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء
بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد

قوله لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه فانه يدل على ان الاختلاف سابق على بعث النبيين ولقراءة
ابن مسعود رضي الله عنه كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين ولقوله وما
كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا قوله اي الله او النبي المبعوث او كتابه معنى يحكم يفصل
على ما في النهر بقرينة تعلق بين به فانه بمعنى القضاء ولما كان فصل الخصومات فعله تع
حقيقة وفعل الرسول نيابة كان اسناده على التقديرين حقيقيا واسناده الى الكتاب
مجازيا باعتبار تضمن ما به الفصل فلذا اخره عنهما وافراد الفعل على التقدير الثاني
لان الحاكم كل واحد منهم واليه اشار المص بقوله او النبي المبعوث قوله حسدا بينهم
وظلما البغي في اللغة الطلب استعمل في طلب ما للغير نفسه ويلزمه الحسد والظلم فلذا
فسره بهما ولم يظهر لي توصيف حسدا بالظرف فعلم انه قال الرضي ان استثناء شيئين باداة
واحدة بلا عطف غير جائز مطلقا عند الاكثرين لا على وجه البدل ولا غيره وتجوز عند جماعة
مطلقا وفصل بعضهم انه ان كان المستثنى منهما مذكورين والمستثنى بدلين جاز والا فلا
فان استدل من اجاز مطلقا بقوله تعالى وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي
فانه لم يذكر فيه المستثنى منهما والتقدير ما نراك اتبعك احد في حال الا اراذلنا في بادي الرأي
بلا روية وفكر فلغيرهم ان يعتذروا بان بادي الرأي منصوب بمقدر اي اتبعوا في بادي
الرأي وبان الظرف يكفيه رائحة الفعل فيجوز فيه ما لا يجوز في غيره انتهى فعليك بالاعتبار
في قوله تع وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وعلى تقدير كونه معمولا
بفعل مقدر يكون الحصر مستفادا من حذف الفعل في اللفظ ووقوع الظرف بعد حرف
الاستثناء لفظا او من المقام ولكون هذه القاعدة مقررة في النحو جارية في هذه
الاية كما في سائر الامثلة من غير اعتبار خصوصية زائدة لم يتعرض له المص قوله سببا
لاستحكامه اشارة الى دفع انه لما لم يكن الاختلاف الا من الذين اوتوه لم الاختلاف لا يكون
سابقا على البعثة وحاصل الدفع بان المراد ههنا استحكام الاختلاف واشتداده يعني
انزل الكتاب لازالة الاختلاف فاستحكموا واشتدوا فيه قوله اختلف فيه من اختلف
اشارة الى ان ضمير اختلفوا عام شامل للمختلفين السابقين واللاحقين وكسر راجعا الى
الذين اوتوه كالضمائر السابقة والقرينة على ذلك عموم الهداية للمومنين السابقين على اختلاف
اهل الكتاب واللاحقين بعد اختلافهم قوله بامره او بارادته الاذن في اللغة دستوري
دادن وذلك قد يكون بالفعل فلذلك يفسر تارة بالامر وتارة بالارادة وتارة بالتوفيق والتيسير
على حسب مناسبة المقام قوله ولذلك جعل مقابل قد لا يخفى عليك ان كلا منهما للتوقع
الفعل فان معنى قولك لما يركب ما وجد بعد ما كنت تتوقعه كما ان قولك قد ركب الامير لقوم
ينتظرون ركوبه فالمقابلة باعتبار انه يستعمل في النفي لافادة معنى يستعمل له قد في الاثبات
عند

مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على
الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع
يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتا
الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه
اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدا
والرياضات كما قال عليه الصلوة والسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان هما ذا مال عظيم
فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين
والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه
اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية وا
في بيان المنفق على ما تضمنه قوله وما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله
به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض
الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت
للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف و
الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط
صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان
النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس
الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع
المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عليه الصلوة والسلم
بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عير قريش
وفيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها

تجارة الطايف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى فقالت قريش قد استحل محمد
الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا
ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس لما
نزلت اخذ رسول الله الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه
في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل اشتمال من الشهر وقرئ عن
بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية
على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف
ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله
والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين
امرءا ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد
مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف
على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي والمؤمنون اكبر
عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر
قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه
من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم
وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى تدخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطا
عتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو
مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا لبطلان
ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن

قوله صرف ومنع الصرف بازكردانيدن والمنع بازداشتن والصد عبارة عن المجموع على ما
في القاموس صد عنه منعه وصرفه وكان المشركون يصرفون المؤمنين عن الايمان بالتعذيب
ويمنعون من يريد الايمان قوله اي الاسلام فان الاضافة للعهد وعلى الثاني للجنس في
الاتقان السبيل الطريق والاول اغلب وقوعا في الخير ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير
الا مقترنا بوصف مخلصه لذلك نحو الى طريق مستقيم والى طريق الحق وقال الراغب
السبيل الطريق التي فيها سهولة قوله على ارادة المضاف حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه في الاعراب شائع كثير حتى قال ابن جني انه في القرآن الف واما
حذف المضاف واجراء المضاف اليه بحاله فقد قال في التسهيل ان القياس فيه مشروط
بكون المضاف اليه اثر عاطف متصل به او منفصل بلا مسبوقا بمضاف مثل المحذوف
لفظا ومعنى نحو ما مثل زيد وابيه يقولان ذلك ونحو ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة
واذا انتفى واحد من الشروط فهو مقصور على السماع وليس فيما نحن فيه سبق اضافة مثلها
ولا امر ثالثا اصلا وصاحب الكشاف عطفه على سبيل الله ومحل لصحة العطف بتقدير
الفعل اي يصدون عن المسجد الحرام وقال السجاوندي انه معطوف على الشهر وقيل
ان الواو للقسم اي وقعت في اثناء الكلام قوله كقول ابي دواد بضم مهملة بعدها
همزة مفتوحة فالف ثم مهملة واسمه جارية والبيت من قصيدة يصف فيها ايام
لذته ثم مصيره الى حال نكرت عليه امراته فهزلته والمراد انه لا ينبغي ان تغتر بامرأة من
غير امتحانها وناري روى بالجر بتقدير كل نار وبالنصب عطفا على كل امرء وتوقد
اصله تتوقد لنا كذا في حواشي السيوطي قوله ولا يحسن فان قلت ما ذكره يقتضي عدم
الجواز لا عدم الحسن قلت ذكر صاحب الكشاف لصحته وجهين احدهما ان قوله وكفر به في
معنى الصد عن سبيل الله وعطف كفر به على صد عن سبيل الله على سبيل التفسير
فكانه قيل وصد عن سبيل الله اعني كفر به والمسجد الحرام وثانيهما ان موضع وكفر به
عقب قوله والمسجد الحرام الا انه قدم لفرط العناية كما في قوله ولم يكن له كفوا احد كان حق
الكلام ولم يكن احد كفوا له وفي الكشف الوجه هو الاول لان التقديم لا يبرز محذور الفصل
قوله اذ لا يقدم الخ لان الصلة بجزء الموصول ولا يجوز العطف على جزء الكلمة قوله على
الموصول اعني صد اطلق الموصول عليه لانه موصول بما بعده اعني عن سبيل الله او لكونه
في تأويل ان مع الفعل قوله ولا على الهاء في به فان العطف في النهر قد خبط المفسرون
في عطف والمسجد الحرام والذي نختاره انه عطف على الضمير المجرور ولم نجد جاره
وقد ثبت ذلك في لسان العرب نثرا ونظما باختلاف حروف العطف اجازه
الكوفيون ويونس والاخفش وابو علي قوله وفوات الاسلام حيث لا يستحق الموالاة
والنصر والغنيمة ويفرق بينه وبين زوجته ولا يستحق الميراث من المسلمين عبد

انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول

لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجا اولئك يرجون رحمة الله

ثوابه اثبت لهم الرجا اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم

والله غفور لما فعلوه خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب والاجر يسئلونك عن

الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ

المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر

فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف

ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى

فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا

فانشد سعد شعرا فيه هجا الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله فقال عمر

اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر

انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلى

كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلما وقال

ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا

مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسئلونك عن تعاطيهما

لقوله تعالى قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور

وارتكاب المحظور وقرا حمزة والكسائي كثير بالثا ومنافع للناس من كسب المال والطرب

والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة

واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشا منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا

قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس

كذلك لما مر ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق

والمصرف ثم سال ثانيا عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال

للارض السهلة العفو وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني

قوله اخذ مال الغير فعلى الاول مشتق من اليسر واليسار بمعنى السهولة وعلى الثاني منه بمعنى الغناء والفعل منهما ايسر لكن الهمزة في الثاني للسلب قوله وتفسيره ههنا بالقمار مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وغيرهم وهو بيان المراد من الاية حتى ادخلوا فيه لعب الصبيان بالجوز والكعاب والنرد والشطرنج والقرعة في غير القسمة كما ذكره الجصاص وجميع انواع الرهان واما حقيقته فسهام يجعل في خريطة معلمة بعلامات لبعضها نصيب ولبعضها اكثر وليس لبعضها شيء شهاب عبد الحكيم قوله من حيث انه اي ليس الاثم في ذاتهما بل من حيث ان تعاطيهما مود الى ما يوجب الاثم وهو ترك المامور وارتكاب المحظور ولذا لم ينته الصحابة من الشرب بعد الاية والانتكاب من نكب عن الامر عدل لكنه قياسي لم يوجد استعماله بهذا المعنى في الكتب المتعارفة قوله خذي العفو قيل هو لابي الاسود الدؤلي وقيل لاسما بن خارجة الفزاري احد حكام العرب وبعده ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وبعده فاني رايت الحب في الصدر والاذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب وسورة الغضب حدته عبد في الصدر

قوله وهو ان ينفق العفو ... كان العفو ما تيسر بذله ... الصحاح العفو من المال ... وهو ايضا معناه اللغوي ...

تستديم مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ورُوي ان رجلا اتى النبي صلعم ببيضة من
ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا
فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس
انما الصدقة عن ظهر غنى وقرا ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما
بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر
محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تاويل القبيل
والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والاخرة في امور الدارين
فتاخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما
ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا
اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله فنزلت قل
اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان
تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ
وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم
لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم
لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله
عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم بما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا
تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن
من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تع وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت
عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه الصلوة والسلم بعث مرثد
الغنوي مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت
الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن
استامر رسول الله فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامراة مؤ

قف

قوله روي ان اهل الجاهلية روى مسلم والترمذي والنسائي عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عنه فانزل الله ويسئلونك عن المحيض الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء الا النكاح واخرج ابن جرير عن السدي قال سئل ذلك ابو الدحداح **قوله** كالمجيء والمبيت استشهد بذلك ردا لما حكى الواحدي عن ابن السكيت اذا كان الفعل من ذوات الثلث كال يكيل وحاض يحيض فان اسم المكان منه مكسور والمصدر منه مفتوح ولذا نقل في النهر عن ابن عباس هو مكان الدم واختاره الامام في الكبير لكن يحتاج على هذا الى الحذف في قوله هو اذى اي موضع اذى والظرفية في قوله فاعتزلوا النساء في المحيض يحتاج الى ان يجعل ظرف زمان قال الامام والمعنى اعتزلوا مواضع الحيض **قوله** ولعله سبحانه الخ بيان لان الاسولة المذكورة متشاركة في الوقوع في المسند والمسند اليه لان المراد منه السائلون مطلقا وان كان في شان النزول جماعة مخصوصة فذكر الثلثة الاول بغير واو وايرادها في الاخر للتنبيه على ان الاسولة الاول غير مجتمعة في وقت واحد عرفي وليس المراد انه مدلول الواو ليرد عليه انه لا دلالة لها على انه في وقت واحد اذ الوضع المطلق لا يدل على المعين ولا انها في وقت متفرقة كذلك **قوله** تاكيد للحكم السابق اي تقرير له لان الامر بالاعتزال يلزمه النهي عن القربان وبالعكس فيكون كل منهما مقررا للاخر وان تغايرا بالمفهوم فلذا عطف احدهما على الاخر **قوله** وبيان لغايته فان تقييد الاعتزال بقوله في المحيض وترتبه على كونه اذى يفيد تخصيص الحرمة بذلك الوقت ويفهم منه عقلا انقطاعها والا لا دلالة عليه اللفظ صريحا بخلاف حتى يطهرن **قوله** المتنزهين فالتطهر بمعنى التنزه المطلق مجازا على ما في الاساس وشمس العلوم فالجملتان تذييل مستقل وهو ابلغ من ان يكون تذييلا غير مستقل بان يقدر متعلق الفعلين ما هو المذكور سابقا اعني الاتيان في المحيض **قوله** شبههن الخ يعني ان تشبيههن بمواضع الحرث متفرع على تشبيه النطف بالبذر ولا يحسن بدونه فهو تشبيه يكنى بها البذر في الارض والزرع انباته قال الله تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون عصا

حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه **ولو اعجبتكم** بحسنها وشمايلها والمال ولو بعجبان وهو كثير **ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا** ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه **ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم** تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين **اولئك** اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات **يدعون الى النار** اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم **والله** اي واولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم **يدعو الى الجنة والمغفرة** اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة **باذنه** اي بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته **ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون** لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى **ويسئلونك عن المحيض** روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسئلونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع **قل هو اذى** اي الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه **فاعتزلوا النساء في المحيض** فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه الصلوة والسلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة **ولا تقربوهن حتى يطهرن** تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله **فاذا تطهرن فاتوهن** فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة اذا طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل **من حيث امركم الله** اي المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم **ان الله يحب التوابين** من الذنوب **ويحب المتطهرين** المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى **نساؤكم حرث لكم** مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها

قوله مسطح بكسر الميم كان من الفقراء المهاجرين ينفق عليه الصديق رضي الله عنه فلما وقع في افك عائشة رضي الله عنها حلف الصديق ان لا ينفق عليه بعده قوله كقوله عليه السلام متعلق بقوله المراد بالايمان المحلوف عليه وهو الظاهر اي كان المراد في الحديث باليمين المحلوف عليه او بقوله ومعنى الاية وهو الاوفق والحديث اخرجه الشيخان قوله علة للنهي اي انهاكم الخ والحاصل لا تكثروا الحلف بالله لتكونوا بارين متقين ويعتمد عليكم الناس فتصلحوا بينهم قوله والمعنى لا يؤاخذكم الخ لما كان ظاهر هذه الاية معارضا لما في المائدة من قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين الاية لان مقتضى هذه الاية المؤاخذة على الغموس لانه من كسب القلب وذلك تقتضي عدمها لان المراد باللغو فيها خلاف المعقود لوقوعه في مقابلة قوله بما عقدتم الايمان فيتناول الغموس واللغوية لعدم تحقق الذي هو مناط اليمين الشرعية حمل الشافعي قوله بما عقدتم على كسب القلب من عقدت على كذا عزمت عليه لان العقد حمل مجمل يحتمل عقد القلب ويحتمل ربط الشيء بالشيء والكسب مفسر فيحمل هو عليه فيشمل الغموس ويكون اللغو ما لا قصد فيه فان كان للفعل المنفي عموم دون المثبت يكون المعنى نفي المؤاخذة بالعقوبة والكفارة فيما لا قصد فيه واثبات المؤاخذة في الجملة بهما او باحدهما فيما فيه قصد هذا ما اختاره المص وان لم يكن له عموم حمل المؤاخذة المطلقة في الاية على المؤاخذة المقيدة بالكفارة في الاية الثانية بناء على اتحاد الحادثة والحكم وسوق اية المائدة لبيان الكفارة فلا تكرار وهذا ما اختاره صاحب الكشاف وعلى التقديرين اندفع التعارض وحمل ابو حنيفة المؤاخذة في هذه الاية على المؤاخذة الاخروية بناء على ان المؤاخذة هي الاخروية وان المطلق ينصرف الى الكامل واقتران المؤاخذة بالكسب اذ لا عبرة للقصد وعدمه في وجوب الكفارات التي هي مؤاخذة دنيوية ولا شك انه بمجرد اليمين بدون الحنث لا تتحقق المؤاخذة الاخروية في العقود فلا يمكن اجراء ما كسبت على عمومه فلا بد من تخصيصه بالغموس فالمراد باللغو في مقابلة ما لا قصد فيه الى الكذب بان لا يكون فيه قصد اصلا او يكون لكن بظن الصدق والمؤاخذة في الاية الثانية محمولة على الدنيوية بقرينة قوله فكفارته اطعام الخ وقوله بما عقدتم على العقود لان المتبادر من عقد اليمين ربط الشيء بالشيء فالمراد باللغو ما عداها من الغموس من غير تدافع بين الايتين لان مقتضى الاولى تحقق المؤاخذة الاخروية في الغموس ومقتضى الثانية عدم المؤاخذة الدنيوية فيما قال ابو حنيفة ان اللغو هو ان يحلف الرجل على ظنه الكاذب تمثيل ولم يقصد به الحصر لانه لا يليق بالنظم ان يكون بما كسبت مقابلا للغو من غير واسطة بينهما فتدبر فانه من المداحض عبد

لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله أنى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله فنزلت رواه الشيخان وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه اي عام بعد ارشاد خاص واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة اي بقوله قيل هو اذى الى قوله بشر فانه جواب لسؤالهم ومشتمل لنصحهم والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان ينصحهم ويبشر من صدق وامتثل امره منهم

ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس اخرجه ابن جرير عن ابن جريج نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او في عبد الله بن رواحة كبير اليتيم ابن خالة الصديق حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول من عرض العود على الاناء كالقبضة تطلق على ما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول اي على الاطلاق الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه الصلوة والسلم المصدر اي تركه فان الحلف على الشيء يكون على فعله وقد يكون على تركه فلا اضمار لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك اي محلوف اي ما يصير محلوفا عليه بعد الحلف فتسمى كلمة على بمعنى ابن وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا ولاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو عزم به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان

قوله من اي جهة شئتم انى يأتي بمعنى متى وكيف واين ... ظاهره ... او مقدرة ويصح حملها هنا على كل واحد منها ... وهي شرطية حذف جوابها لدلالة الجملة السابقة عليها ... والمص اختار كونها بمعنى من اين ... شان النزول قوله وقيل هو طلب الولد بقرينة السياق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له كذا في المعالم قوله وقيل التسمية على الوطئ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا اراد ان يأتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان

مرض الوجهين لانه تخصيص من غير مخصص والسياق لا يقتضي التخصيص بل الدخول قوله او في عبد الله بن رواحة الخ في بحر المعاج ... ابي المهدي ان نعمان بن بشير طلق اخت عبد الله بن رواحة ثم اراد الرجوع والصلح فحلف عبد الله ان لا يصلح بينهما فنزلت وقال الشيخ السيوطي لم اقف عليه قوله وللمعرض ... بيش آورده كسى بركارى كذا في الصراح وظاهره يوهم انها على هذا الوجه ماخوذة من باب التفعيل بحذف الزوائد وليس كذلك فانه جاء عرض للبيع من باب ضرب على ما في شمس العلوم فالتفسير بالمعرض للامر بناء على اشتهار التعريض بهذا المعنى نحو العرضة للبيع والحرب قوله عطف بيان لها لو قال انه بدل منها لكان اولى لان عطف البيان اكثر ما يكون في الاعلام كذا في البحر وضمان المبدل منه لا يكون مقصودا بالنسبة بل بتمهيد او توطئة للبدل وههنا ليس كذلك قوله واللام في لايمانكم صلة عرضة اي متعلق بها وترك الوجه الثاني الذي ذكره الكشاف وهو ان يكون متعلقا بتجعلوا لان ترك التعلق القريب واعتبار التعلق البعيد مع ان المعنيين واحد لا فائدة فيه

ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث
لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون
ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما تضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن
تربص اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الا
نتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء
ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤوا رجعوا
في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار
المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق اي صمموا قصده فان الله سميع
لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولي
ان فاء في المدة بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت
بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات
يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر
يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى
امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا
يزيد فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال
فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي
يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلوة والسلام دعي الصلاة
ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى مورثة مالا وفي الحي رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية
لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن
والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه الصلوة والسلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها
حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم
تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق

قوله خبر في معنى الامر اي يتربصن في معنى ليتربصن لا بمعنى انه مستعمل فيه والا لم يحصل الاشعار
المذكور بل بمعنى انه مستعمل في معناه قصد منه معنى الامر على سبيل الكناية فلا يحتاج
في وقوعه خبرا الى التاويل على راي من لم يجوز وقوع الانشاء خبرا من غير تاويل قوله والاشعار
حيث اقيم اللفظ الدال على الوقوع مقام الدال على الطلب قوله وكان المخاطب عطف على
انه مما يجب عطف تفسير اي الاشعار بكان المخاطب واختار صيغة المخاطب بمعنى من طلب
دون المخاطبة مع انه المناسب للمقام اشعارا بتعميم النكتة وقال قصد ان يمتثل
لم يقل شرع ان يمتثل لان المضارع ههنا بمعنى الاستقبال لا الحال ولم يقل كان المخاطب
امتثل اشعارا بان خبر المتكلم عما يقع في الاستقبال مثل علمت ان يضرب زيد مبناه
في العرف علمه بان الفاعل يصمم على ذلك الفعل لا بثبات البتة وفيه توجيه لعبارة الكشاف فكانهن امتثلن
الامر بالتربص فهو يخبر عنه بان المراد قصد امتثاله والا فالمضارع لا يدل على الوقوع في
الزمان الماضي قوله فيخبر عنه على صيغة المجهول والضمير المجرور للامتثال او لما وقع
في نسخ الجميل من ان المخاطب بكسر الطاء اي المتكلم وضمير يمتثل للمخاطب بفتح الطاء فهو
سهو ينادي على فساده عبارة الكشاف قوله وبناؤه على المبتدا اي ذكره مسندا اليه
عند بيد التاكيد لافادته التقوي على احد الطريقين المنقولين من الشيخ عبد القاهر والسكاكي
قوله تهييج يعني ذكر الانفس ههنا مع تركه في قوله تربص اربعة اشهر لتحريض النساء على
التربص قوله فامرن بان يقمعنها لان الباء للتعدية فيه اشعار الى كونهن مائلات الى الرجال
وذلك مما يستنكفن منه فاذا سمعن هذا تربصن بخلاف الآية السابقة فان المامور فيها
بالتربص الازواج وهم وان كانوا طامحين الى النساء لكن ليس لهم استنكاف منه فذكره ليس
فيها لا تفيد تهييجهم على التربص قوله نصب على الظرف لكونه عبارة عن المدة و
المفعول به محذوف لان التربص متعد اي يتربصن الزوج وفي الحذف اشعار بانهن يتركن التزوج
في هذه المدة بحيث لا يتلفظن به قوله الاعشى فانه اطلق الاقراء على الاطهار فانه وقت
الاستمتاع وكانوا في الجاهلية ايضا يحترزون عن الجماع في الحيض والبيت للاعشى من
قصيدة يمدح بها هوذة صدره مورثة مالا وفي الحي رفعة اوله افي كل عام انت جاشم
غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا يعني ان الغزو شغله عن وطء نسائه في الاطهار
اذ لا وطء في الحيض قوله واصله اي ولا يستلزم ان كل واحد منهما اطلق على كل واحد منهما
والدليل على ذلك ان الطاهرة التي لم تر الدم لا يقال لها ذات قرء والحائض التي استمرت لها
الدم لا يقال لها ذلك قاله الراغب

لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملو
كل واحد من البنائين مكان الاخر وتعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة
وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر
ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجتري عليه
ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة
اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا
فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر
من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل
بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار
وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن
مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب
واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه
لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف
وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركوهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية
والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرع لحكم ومصالح
الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه الصلوة والسلم سئل اين الثالثة
فقال عليه السلم او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق
ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة
المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها
حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا
يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا من الصداق روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن
سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلعم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع

قوله بل التنبيه اه يعني ان تنزيل الايمان المحقق في الزمان الماضي على وجه الاستمرار على ما
يدل عليه صيغة كان مع فعل المضارع منزلة المشكوك بادخال ان عليه وتعليق حرمة الكتمان
به للتنبيه على ان الكتمان لا يجامع الايمان وان المؤمن لا يفعله وفيه تهويل لشان الكتمان
في قلوبهن حتى لا يجسرن عليها قوله بالرجعة اي ان اراد البعولة بالرجعة اصلاحا بينهم
وبينهن قوله وليس المراد اي ليس المراد من التعليق اشتراط جواز الرجعة بارادة الاصلاح
حتى لو لم يكن قصد الاصلاح لا يجوز الرجعة للاجماع على جواز الرجعة مطلقا بل المراد
تحريضهم على قصد الاصلاح حيث جعل كانه منوط به ينتفي بانتفائه قوله اي ولهن
يعني ان الاية من صنعة الاحتباك حيث قدر في الاول بقرينة الثاني وفي الثاني بقرينة الاول
كانه قيل ولهن مثل الذي لهم عليهن قوله لا في الجنس يعني ان المراد بالمماثلة في الوجوب
لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه ان يفعل ذلك ولكن يقابله بما يليق
بالرجال ان يفعل وما قيل لا في الجنس اي في وقت الجنس والمنع متعلق بالمطالبة بتقدير
الوقت ولعله اراد ان ليس للمراة استحقاق مطالبة حقوقها وقت حبس نفسها عن
الزوج ولا يخفى انه بعيد لفظا لاحتياجه الى تقدير لا قرينة عليه ومعنى اذ لا يتعلق
الغرض ههنا ببيان اوقات المطالبة مبني على تصحيف لفظ الجنس بالحبس بالحاء
المهملة والباء الموحدة قوله وزيادة في الحق قال الراغب الدرجة نحو المنزلة لكن يقال
اذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السطح والسلم ويعبر بها
عن المنزلة الرفيعة ومنه الاية اقول واصل التركيب للادناء والتقارب على مهلة منه درج
الصبي اذا حبا وكذلك الشيخ والمقيد لتقارب خطوهم والدرجة التي يرتقى عليها
لان الصعود عليها ليس بسهولة كالانحدار والمشي فلا بد من مدرج والمدرج المواضع
التي يعبر عليها السبيل شيئا فشيئا ومنه التدريج في الامور والاستدراج والدرجة
هي الدرجة بعينها لكن في الانحدار كذا في الكشاف ومبنى التوجيهين ان الدرجة
اما مجاز عن الزيادة او عن الرفعة للزوم المعنيين لها لان حقوقهم في انفسهن لما روي
عنه عليه الصلاة والسلام النكاح كالرق في غرض الزوج من التدبير وانتظام مصالح
المعاش عبد قوله روي ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابي سلول قال شراح الكشاف الصواب
اخت عبد الله وقال السيوطي كلاهما صحيح فان اباها عبد الله بن ابي رئيس المنافقين واخاها
صحابي جليل واسمه عبد الله الصالح ثم اختلف هل هي بنت عبد الله المنافق او اخته بنت
ابي والذي رجحه الحفاظ الاول وقوله لا انا وثابت اصله لا اجتمع انا وثابت ومعنى اكره
الكفر في الاسلام يعني اكره ان اقع من شدة بغضه في الكفر في اثناء الاسلام بان لا ابالي
بما اوجب الله علي من حقه او بان اعيب خلق الله وجمع الراسين كناية عن الجماع وقوله ما اعتبه
بضم التاء وقع في الكشاف ما اعتب عليه والعتب اللوم والمعاتبة واعتبه ازال عتابه
كاشكاه ووقع في نسخة لا اعيبه من العيب وله وجه شهاب

نبي والله ما اعتبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت
جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها
فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم
لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو
يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد
تفسير الخوف بالظن ان لا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية
وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال
وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما حدود الله فلا
جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة
في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا
تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة
في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع
ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه الصلوة والسلام ايما امرأة سألت
زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه الصلوة والسلام قال لجميلة اتردين
عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه الصلوة والسلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه
ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف
في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان
تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه
طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق
مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا
تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك
الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج
وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة

لما روى ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلعم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير
تزوجنى وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة فقالت نعم فقال
عليه الصلوة والسلم لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل
بفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن
التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر
وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثانى
فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ان
ظنا ان يقيما حدود الله ان كان فى ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية
وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم لانه لا يقال علمت ان
يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافى العلم وتلك حدود الله اى الاحكام المذكورة
يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اى آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة كلها ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى ينتهى به
قال كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشئ ويقال
للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الآية ليصح ان يترتب عليه فامسكوهن بمعروف او
سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن
حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل وهو اعادة الحكم فى بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن
ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل
ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة
او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل والالجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما
انت هازئ كانه نهى عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق
ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه الصلوة والسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق

والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد بالشكر والقيام
بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما
يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تأكيد وتهديد واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين على
افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الخطاب به الاولياء لما روي انها
نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا
على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح
اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة
ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل
الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين
له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضتها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم
اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروة
حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل
عن التزوج من غير كفو غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تأويل القبيل او
كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او
للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره
كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل
بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح
وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه
الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار
والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة
الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام
الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل

قوله بيان للمتوجه اليه اي اللام للبيان كما في هيت لك وسقيا لك والجار والمجرور
في مثله خبر مبتدأ محذوف اي ذلك لمن الخ وكون الرضاع واجبا على الاب لا ينافي
امرهن لانه للندب او لانه يجب عليهن ايضا في الصور السابقة وكونه يجوز ان
ينقص عنه ماخوذ من تفويضه للارادة وكونه لا يعتد به بعدهما يعني لا يعطى حكم
الرضاع ثم انه قرئ ان يتم بالرفع حملا لان المصدرية على ما المصدرية في الاهمال
كما حملت ما على ان في الاعمال في قوله صلى الله عليه وسلم كما تكونوا يولى عليكم ويحتمل
انه يتموا بضمير الجمع باعتبار معنى من وسقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين فتبعها
الرسم شهاب

على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه **وعلى المولود له** اي

الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي

لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه **رزقهن وكسوتهن** اجرة لهن واختلف في استيجار الام

فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح **بالمعروف** حسبما يراه الحاكم و

يفي به وسعه **لا تكلف نفس الا وسعها** تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف

العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** تفصيل

له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو

عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على

البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء

من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون

مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليهما تارة

والى احدهما اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق

فلا ينبغي ان يضرا به او ان يتضارا بسببه **وعلى الوارث مثل ذلك** عطف على قوله وعلى المولود

له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن

المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه الصلوة والسلم واجعله الوارث

منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه

ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك

اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة **فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور**

اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة

استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته **فلا جناح عليهما** في ذلك وانما اعتبر تراضيهما

مراعاة لصلاح الطفل وحذارا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وغيره **وان اردتم**

ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل

واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء

عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة
من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تع اذا قمتم الى الصلوة
وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرى اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه
من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل
عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل
واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما
تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم
كقولهم السمن منوان بدرهم وقرى يتوفون بفتح اليا اى يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار
الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام
حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تع ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل
المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة
ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته فى المبادى
فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة
كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه
لقوله تع واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس انها تعتد باقصى
الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون
جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وساير ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه
الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم
الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء
التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك
لاسلم عليك والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل
وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة

والمكثورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك
جميلة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة
فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطي لانه مما يسر ثم عن العقد
لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة
بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف
اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء
منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود
وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف
في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في
النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم
القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما
في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم
ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل
من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء
ما لم تمسوهن اي تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القران
او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به
فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى
انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا
اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها
نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب
على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة

في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راى الحاكم ويؤيده قوله على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق
ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام لانصارى طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها
بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك
فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج
ولكن يلحق بها الشافعى في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم
وقرا حمزة والكسائى وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى
يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر موكد اى حق ذلك حقا على المحسنين
الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال والى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين
للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن او فالواجب نصف ما
فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفى ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها
الا ان يعفون اى المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق
ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى
ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذى بيده عقدة النكاح اى الزوج
المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق
قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولى
الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعى وان
تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر
عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر
الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا
عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق
بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون

بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها
ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها
والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله
عليه الصلوة والسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم
نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في
وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلم افضل العبادات
احمزها وقيل الفجر لانها بين صلاتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة
وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين في طرفي
الليل وعن عائشة انه عليه السلم كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع
خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح وقوموا
لله في الصلاة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب
المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين وراكبين
ورجال جمع راجل ورجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المشي
والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن
او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف
والامن او شكرا بوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة
وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله
عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم
متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم
وصية او والذين يتوفون اهل وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون
ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه
او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى

يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاج اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم يرو لم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع بينهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله تعالى ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل

قوله اثبت المتعة للمطلقات جميعا لان لفظ المطلقات جمع محلى باللام فيستغرق جميع المطلقات بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة قبل المسيس وفرض المهر ولما ورد ان يقال المراد بعض افراد العام بحكم يدل على كون حكم البعض الآخر بخلافه فيكون مفهوم الاية السابقة الوارد في المطلقة قبل المسيس وقبل فرض المهر معارضا لمنطوق هذه الاية فلا يجتمعان في الصدق بل يجب ان تكون الاية الاولى مخصصة لعموم هذه الاية اجاب عنه بان القول بتخصيص هذا العام بالاية السابقة مبني على القول بجواز تخصيص هذه الاية بمفهوم الاية السابقة والمفهوم لا يعارض المنطوق فكيف يخصصه فثبتت هذه الاية على عمومها سالمة عن المعارض فلذلك ذهب سعيد بن جبير الى ان المتعة واجبة لكل مطلقة واليه ذهب الامام الشافعي بخلاف الحنفية فانهم لم يوجبوها الا للمطلقة التي لم توطأ ولم يسم لها مهر وجعلوا استحقاق ساير المطلقات وحملوا الاستحقاق المدلول عليه بقوله تعالى وللمطلقات متاع على ما يتناول الاستحقاق على سبيل الوجوب والاستحباب

شيخ زاده

على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله
اليه نادهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم
على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا
ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا
يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله
لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو
جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف
والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية
مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم
العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او
مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له
فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير يضعفه بالرفع
والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله
وقيل الواحد بسبع مائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب
او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر
وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت
حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائي والبزي
وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى بسطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما
قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له
كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي
لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا

نهض

نهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع
على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف
لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط
والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما
هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا ان لا نقاتل
في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى اى غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا
ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت
ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني
اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربع مائة واربعين فلما
كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلاثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم
عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك
منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير
لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا
من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب
والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم
وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره
وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور
السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو
ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال

راسه ونالتنا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشا ورابعا بانه واسع
الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم
لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان ياتيكم
التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس
بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث
لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها
بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في
اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية
وكان موسى اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه
من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت
نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبيا
من آدم الى محمد وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه
مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون
رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما
والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبيا بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملئكة قيل رفعه الله
بعد موسى فنزلت به الملئكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون
به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله تعالى طالوت
فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما
الملئكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي
وان يكون ابتدا خطاب من الله فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده
لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي
انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع عليه ممن اختاره ثمانون الفا
وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله

مبتليكم

مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس
من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشي اذا
ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا. وانما علم ذلك
بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي صلعم الا من اغترف غرفة بيده استثناء
من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون
على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير
وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه
اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا
في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه
والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الف روي ان من
اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته
ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه
اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا
لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قليل فيلقون الله وقيل
هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف
وتخذيلا للقليل كأنهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر ومن مزيدة او مبينة والفئة الفرقة من
الناس من فأوت رأسه اذا شققته او فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع
الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا
الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو
ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المترتب

عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين بنصره اياهم اجابة

لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان

داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت

فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت

فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اي

بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد

وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل

على العالمين ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار

ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم تلك آيات الله

اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة

وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل

الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع

تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول وجماعة

الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست

لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل هو ومحمد كلم موسى ليلة الحيرة

وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد

وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله

بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب

متباعدة وهو محمد فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة

والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضايل العلمية والعملية الفائتة للحصر

والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين

وقيل ابراهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله ورفعناه مكانا

عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس

خصصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب
تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس
جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات
الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن
بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله
ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل
من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم
على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة
لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت
عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي
يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه
او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة
الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء يشفعوا لكم في حط ما في ذممكم
وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة
وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع
الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله تع ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان
ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا
اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا
خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له
فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم لا تاخذه سنة ولا نوم
السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع ❁ وسنان اقصده النعاس فرنقت

في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من
رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راساً وتقديم
السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه
حياً قيوماً فان من اخذه نعاس او نوم كان مأوف الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير
ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير
لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلاً في
حقيقتهما او خارجاً عنهما متمكناً فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل
بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلاً ان يعاوقه عناداً او مناصبة يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل
ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه
او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما
دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء
ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال
على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا قاعد وقيل
كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش
ولذلك سمي كرسياً محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون
السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على
تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه
ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله
ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل
واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي اي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم

المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها
دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد
لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير
والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت
ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم
بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما يصح ان
يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط
به فهم ولذلك قال النبي عليه الصلوة والسلم ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من
قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة
وقال من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا
يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة
الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان
من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة
الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل اذا تبين له ذلك بادرت
نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل
اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان
تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا
فاختصموا الى رسول الله فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل
ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه
ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك
من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك الحق من النظر

لا اكراه في الدين جملة مستانفة جيء بها اثر بيان تنزهه سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة
للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار
الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ
بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا
انفسهم باداء الجزية روي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل
مبعثه عليه السلام ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا
فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي
استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله تعالى قد بلغت من
لدني عذرا اي قد تبين بما ذكر من نعوته التي يمتنع توهم اشتراك الغير في شيء منها الايمان
الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة
السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت
قلب بتقديم لامه على عينه وقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم
جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتذكير لارادة الهيئة وهو راي سيبويه وقيل هو جمع وهو
مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يعمل اثر ما
تبين الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام
او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته لما تبين كونه بمعزل من استحقاق العبادة
ويؤمن بالله وحده لما شاهد من النعوت الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل
الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان
التخلية متقدمة على التحلية لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر
بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استئناف مقرر لما قبلها
من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى
ولها في حيز الخبر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة
من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية
بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون من الانقطاع فلا استعارة في
المفردات ويجوز ان تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان
والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك
بها مستعارا لما ذكر من الملازمة ترشيحا للاستعارة الاولى من تفسير ابي السعود عليه الرحمة

الصحيح والرأي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته
والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا
محبهم او متولي امورهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته
وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية
الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن
في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما
يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد
الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك
والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت
باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى الذي
حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك
لان آتاه اي أبطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة
العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة
على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل
من آتاه الله على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحياة والموت في الاجساد
وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل
وقرأ نافع بلا الف قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم
عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا
التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته
التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل
كل جنس يفعله الله تعالى فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او

اعتقاد

اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه ايام ثم اخرجه ليحرقه فقال له من
ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت
اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع
عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم
القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او ارأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر
عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان
يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي
حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي
مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي
كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود
والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل
غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة
حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن
معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا
ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف
فاماته الله مائة عام فالبثه الله ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام
ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله تعالى وساغ ان يكلمه وان كان كافرا
لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم
كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس
يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة
والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن
من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير

لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا
وكان الكل على حاله وقرا حمزة والكسائي لم يتسن بغير ها في الوصل وانظر الى حمارك
كيف تفرقت عظامه او وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف
كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال وافق لما بعده ولنجعلك
اية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا
عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا
هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث
قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من
احيايهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف ننشز
والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره
ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة
والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت
واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال
نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته
فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب
ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب
والحياة قال له ذلك وقد علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب به فيعلم السامعون
غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون
قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل
طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وفيه ايماء الى ان
احياء النفس بالحياة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو

صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف
بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص
الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب
فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا تلتبس عليك
بعد الاحياء وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح
تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح
وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه
وفصرهن من التصرية وهو الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم
جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرا
ابو بكر جزؤا بضم الزاي حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك
سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك
فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه
اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية
فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن
بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعاء
وحسن الادب في السؤال انه تع اراه ما اراده ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه
عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة
بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل
نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في
كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى
الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تع والمعنى انه يخرج منها ساقا يتشعب منها
سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في

الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن ابن عوف فانه اتى النبي باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاحه او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد به رضا الله ولا ثواب الاخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاق رئاء فمثله اي فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس والجمع كما في قوله ﴿وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد﴾ والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يجتنب عنها ومثل الذين

ينفقون

ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدئا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فيصيبها او فالذى يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من ساير الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على ساير انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب ~~والواو للحال والعطف~~ والواو للحال او للعطف حملا على المعنى وكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس

من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم
اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته
اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت
وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما
سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون
اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم
من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر
والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه اي ولا تقصدوا
الردي منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ
ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان
يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم لا
تاخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره
اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس
كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم
وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق
والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين
وفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي
والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا
افضل مما انفقتم في الدنيا وفي الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم
بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام
بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر
اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين
وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما

اودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة ذو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون
الى متابعة الهوى **وما انفقتم من نفقة** قليلة او كثيرة سرا او علانية فى حق او
باطل **او نذرتم من نذر** بشرط او بغير شرط فى طاعة او معصية **فان الله يعلمه**
فيجازيكم عليه **وما للظالمين** الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات
ولا يوفون بالنذور **من انصار** من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه **ان تبدوا الصدقات**
فنعما هى فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين
على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر
واخفاء حركة العين وهو اقيس **وان تخفوها وتؤتوها الفقراء** اى تعطوها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض
لغيره افضل لنفى التهمة عن ابن عباس صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين
ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا **ويكفر**
عنكم من سيئاتكم قرأه ابن عامر وعاصم فى رواية حفص اى والله يكفر او الاخفاء
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه
جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة
والكسائى به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل
للصدقات **والله بما تعملون خبير** ترغيب فى الاسرار **ليس عليك هديهم** لا يجب عليك
ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهى عن القبائح
كالمن والاذى وانفاق الخبيث **ولكن الله يهدى من يشاء** صريح بان الهداية
من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم **وما تنفقوا من خير** من نفقة
معروفة **فلانفسكم** فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم
غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليس نفقتكم
الا لابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى

وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة
او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي
ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا
لما اسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى
الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف
اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض
ذهابا في الارض للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين
يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في
كل سرية بعثها رسول الله يحسبهم الجاهل بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح
السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو
ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده
والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله
على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما
تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في
ابي بكر الصديق تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
وقيل في علي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم
سرا وبدرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية
وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية
الذين يأكلون الربوا اي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال

ولان الربوا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم
او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب
بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون
اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام
المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط
ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني
يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون
من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا
والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا
مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين
فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين
فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار
لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ
من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه
التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء
ان جعلت شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه
على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم
عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات
يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها
كما يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته

هو المعز

وجه المناسبة بين آية الربوا وآية الصدقات تحقق التضاد بين انفاق قطعة من المال في طاعة الله واخذها على الوجه الذي
نهى الله تعالى عن اخذها على ذلك الوجه فلما حرض المؤمنين على الاول ووعد عليه الثواب نهى عن الثاني واوعد عليه
العقاب واعلم ان الربوا قسمان ربوا النسيئة وربوا الفضل اما ربوا النسيئة فهو ما كان يتعارفه اهل الجاهلية وذلك
انهم كانوا يدفعون المال مؤجلا بمدة على ان يأخذوا كل شهر قدرا معينا ويكون رأس المال باقيا في ذمة المديون
ثم اذا حل الدين طلبوا المديون برأس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل فهذا هو الربوا الذي كانوا
يتعاملون به في الجاهلية واما ربوا الفضل فهو الفضل الخالي عن العوض عند مقابلة الجنس بالجنس مثل ان يباع قفيز من
الحنطة بقفيزين منها وقد اتفق العلماء على تحريم الربوا في القسمين اما القسم الاول فبالقرآن واما ربوا الفضل فبالخبر
وهو ما رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الذهب بالذهب مثلا بمثل يدا
بيد والفضل ربا والفضة بالفضة مثلا بمثل يدا بيد والفضل ربا والتمر مثلا بمثل يدا بيد والفضل ربا والحنطة بالحنطة مثلا
بمثل يدا بيد والفضل ربا والشعير مثلا بمثل يدا بيد والفضل ربا والملح بالملح مثلا بمثل والفضل ربا هذه رواية مسلم
رح في كتاب البيوع وزاد في كتاب الصرف كيلا بكيل في التمر والحنطة والشعير والملح ووزنا بوزن في الذهب والفضة
فهذا الخبر دل على حرمة ربوا الفضل في الاشياء الستة التي ورد فيها النص ثم ان جمهور الفقهاء ذهبوا
الى ان حرمة ربوا الفضل غير مقصورة على هذه الاشياء الستة بل هي ثابتة في غيرها بالعلة الجامعة اذ من المعلوم
انه لا يمكن تعدية الحكم من محل النص الى غير محله الا بتعليل الحكم الثابت في محل النص بعلة ثابتة في غير محل النص
وثبوت علة الحكم في غير محل النص يستلزم ثبوت الحكم فيه ثم اختلفوا في ان الوصف الذي يعلل به حرمة
الربوا في الاشياء الستة ما هو فذهب الشافعي رحمه الله الى ان العلة في حرمة الربوا الطعم في الاشياء الاربعة
الحنطة والشعير والتمر والملح والشرط اتحاد الجنس وفي الذهب والفضة النقدية والثمنية فيثبت الربوا عنده
في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة مصنوعة
او مشروبة وما ليس بمطعوم من الوزنيات لا يثبت فيه الربوا الا في الذهب والفضة اذ ليس في ساير الموزونات
طعم ولا ثمنية فيجوز بيع الحديد بالحديد والنحاس بالنحاس متفاضلا عنده وذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى
الى ان العلة اجتماع القدر والجنس والقدر هو الكيل فيما يكال والوزن فيما يوزن فعلة الربوا في الاشياء
الاربعة الكيل مع الجنس وفي الدراهم والدنانير الوزن مع الجنس فيثبت الربوا في جميع المكيلات مطعوما
كان او غير مطعوم كالجص والنورة وغيرهما وفي جميع الموزونات ثمنا كان او مثمنا كالحديد والنحاس والقطن
ونحوها وذهب مالك رحمه الله الى ان العلة هي الاقتيات والادخار فيتعدى الحكم الى كل مقتات ومدخر
والمص رحمه الله اشار الى جميع ما ذكر من مذهب الشافعي بما هو اخصر عبارة واعم تحقيقا حيث قال
وهو زيادة في الاجل او في العوض فان الاموال الربوية اذا قوبلت بجنسها يحرم كون احد العوضين ازيد
من الآخر ويحرم ايضا ان يكون احدهما نقدا والآخر مؤجلا محاشية شيخزاده عليه الرحمة والزيادة

للتوابين كل كفار مصرّ على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله
ورسوله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة عطفهما على ما
يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم
يحزنون على فائت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا
ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم
به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرأ
حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع
فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة
حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب
من الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ
الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم
وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة
وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة
فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر
اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اي
فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة
ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد
الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا
من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار
لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم
تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيامة
او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى

كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف
عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبرئيل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين
من البقرة وعاش رسول الله صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين
يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين
اذا داين بعضكم بعضا يقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة
ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث
الى الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد
وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن
ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب
بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين
باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب
ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق او لا
يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك
فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان
يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة
وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال
والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق
او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا
صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس
او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم
ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان
النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين
واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل

اشتراط اسلام الشهود والمذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة
الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل
وامرأتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهو مخصوص بالاموال عندنا
وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم
ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما
ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما
كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه
وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن
وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب
فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا
شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه
ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل
لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او
كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت
حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر
قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط
واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما
صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره
واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم
جناح ان لا تكتبوها استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين
او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا
بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر
والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل

تعملون بلا تأنٍّ اذا كان يوماً ذا كواكب اشنعاً. ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر

تديرونها او على كان التامة **واشهدوا اذا تبايعتم** هذا التبايع او مطلقا

لانه احوط والاوامر التى فى هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها

للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها **ولا يضار كاتب ولا شهيد** يحتمل البناءين

ويدل عليه انه قرئ ولا يضارِر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف

والتغيير فى الكتبة والشهادة او النهى عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا

الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان **وان**

تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه **فانه فسوق بكم** خروج عن الطاعة لاحق

بكم **واتقوا الله** فى مخالفة امره ونهيه **ويعلمكم الله** احكامه المتضمنة لمصالحكم

والله بكل شئ عليم كرر لفظة الله فى الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى

حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل فى التعظيم

من الكناية **وان كنتم على سفر** اى مسافرين **ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة**

فالذى يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق

لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه الصلوة والسلام

رهن درعه بالمدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق

بالارتهان مقام التوثق بالكتب فى السفر الذى هو مظنة اعوازها والجمهور على

اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن

بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف **فان امن بعضكم بعضا** اى بعض

الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان **فليؤد الذى اؤتمن**

امانته اى دينه سماه امانة لايتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذيمن بقلب الهمزة

والذتمن بادغام الياء فى التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم

وليتق الله ربه فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات **ولا تكتموا الشهادة** ايها

الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم **ومن يكتمها فانه اثم قلبه**

اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه
ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم
الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزايه وفاق سائر ذنوبه وقرئ
قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه
لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على من
انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء
تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب
على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما
بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثله
والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحيا والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك
فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون
على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين
او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا
ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان
وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق
بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر
من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق
بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين
واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين
ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا

اجبنا

اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر لنا غفرانك ونطلب غفرانك واليك
المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها
الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها
ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهو يدل على عدم وقوع
التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت
من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها وتخصيص الكسب بالخير
والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت
اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اى لا
تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطا من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع
المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك وان
كان خطا فتعاطى الذنوب لا يبعد ان يفضى الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى
وعد التجاوز عنه فضلا ورحمة فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا
بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلوة والسلام رفع عن امتى الخطا والنسيان
ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اى يحبسه فى مكانه يريد به التكاليف
الشاقة وقرئ ولا تحمّل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا
مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذى حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به
ما كلف به بنى اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة
فى اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التى لا تفى
بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص
عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا
واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل
علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه

على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى انه عليه الصلوة والسلام لما دعى بهذه الدعوات
قيل له فعلت وعنه عليه الصلوة والسلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن
بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل
وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وهو يرد
قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى يذكر فيها
البقرة كما قال عليه الصلوة والسلام السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو
انما فتح الميم فى المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل
على انها فى حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم
واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرك
الميم فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها
والابتداء بما بعدها على الاصل الحى القيوم روى عن النبى صلعم انه قال ان اسم الله الاعظم
فى ثلاث سور فى البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى آل عمران الم الله لا اله الا
هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق
بالعدل او بالصدق فى اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو فى موضع الحال
مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى
واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان
ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن
ذكوان والكسائى التورية بالامالة فى جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا
قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم
ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد

جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة
ليعم ما عداها كانه قال وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او الزبور او القران و
كرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا
منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله
من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع
من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل
منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة
في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في
الارض ولا في السماء اي كل شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر
عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى
ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال
على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه
وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز
الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان
ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين
اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات احكمت عباراتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب
اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل
بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة
ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا
في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها
وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات

وأما قوله الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة
اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة
واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه تعريفه
لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف فلا اثر في معنى المعرفة او عن اخر من
فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه
فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم
بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه
على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما
على التعاقب فالاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب
ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف
على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة
وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل
على ما هو المراد يقولون امنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او
خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما
يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى
ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الاية
بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته
او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه
جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء
فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور
ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا
عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه الصلوة والسلام قلب ابن ادم
بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا

ببلاء يا نزيغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب
على الظرف واذ في موضع الجر باضافة اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من
لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او
مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال
من الله وانه متفضل بما ينعم به على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم
لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا
على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمآل ان الله
لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب
واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة
كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران
او اليهود او مشركوا العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من رحمته او من طاعته
على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى
اهل وقودها كداب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك
او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره داب هؤلاء كداب
في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين
من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم
حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم
والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل
لليهود فانه عليه الصلوة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل
بهم ~~ما نزل بهم~~ ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا
لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل
قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة

وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على أن الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه
وبئس المهاد تمام ما يقال لهم أو استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم أو ما مهدوه
لأنفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش أو لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين
التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون
المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريب ألف أو مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة
وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في أعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا إليهم
فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين أو يرى المؤمنون المشركين
مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله
به في قوله إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء
وقرئ بهما على البناء للمفعول أي يريهم الله أو يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل
من فئتين والنصب على الاختصاص أو الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة
معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما أيد أهل بدر إن في ذلك أي التقليل
والتكثير وغلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية
أيضا يحتملها ويحتمل وقوع الأمر على ما أخبر به رسول الله صلعم لعبرة لأولي الأبصار
أي لعظة لذوي البصائر وقيل لمن أبصرهم زين للناس حب الشهوات أي المشتهيات
سماها شهوات مبالغة وإيماء على أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله تعالى أحببت
حب الخير والمزين هو الله تعالى لأنه الخالق للأفعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء
أو لأنه يكون وسيلة إلى السعادة الأخروية إذا كان على وجه يرضيه الله أو لأنه من أسباب
التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فإن الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين
المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والأنعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة ألف دينار
وقيل ملء مسك ثور واختلف في أنه فعلال أو فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد
كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة

وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى
ماذكر والله عنده حسن المآب اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات
الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير
ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما
يستقذر من النسآء ورضوان من الله قرأه عاصم بضم الرآء برواية ابى بكر فى جميع
القرآن ما خلا الحرف الثانى من المائدة وهو رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله
بصير بالعباد اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسىء او باحوال الذين اتقوا فلذلك
اعدلهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله
لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا امنا
فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوبا ومرفوع وفى
ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة او الاستعداد
لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات
السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل
اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن
وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة
واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان المغفرة
اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد
منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعآء فيها
اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين
قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو
بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة

بالاقرار **واولوا العلم** بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك فى البيان والكشف
بشهادة الشاهد **قايما بالقسط** مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال
من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا
له اسحاق ويعقوب نافلة او عن هو والعامل معنى الجملة اى تفرد قايما او احقه
لانها حال موكدة او على المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج فى
المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القايم بالقسط على البدل من هو او الخبر
لمحذوف **لا اله الا هو** كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به
بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله **العزيز الحكيم** فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز
لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل
شهد وقد روى فى فضلها انه عليه الصلوة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة
فيقول الله تعالى ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى
الجنة وهى دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله **ان الدين عند الله الاسلام**
جملة مستانفة موكدة للاولى اى لا دين مرضى عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد
والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد وقرا الكسائى بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل
ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ
انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى
قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما **وما اختلف الذين اوتوا الكتاب** من اليهود
والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم
انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او فى التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا فى امر عيسى
من بعد ما جاءهم العلم اى بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج
بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر **ومن يكفر بآيات الله**
فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم **فان حاجوك** فى الدين وجادلوك فيه بعد

ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أأسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله تعالى فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين ومنع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلعم وكتاب الله القرآن او التورية لما روي انه عليه الصلوة والسلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ

لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى التولى والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد
الزايغ والطمع الفارغ وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم
الا اياما قلايل وان اباءهم الانبيا يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب
اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق
بهم فى الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روى ان اول راية ترفع يوم
القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى
النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط
وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون فى النار ولا قبل دخولها
فاذا هى بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان
قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم كدخولها
عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف
بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف
فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية
تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطى منها ما تشاء وتسترد فالملك
الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها
من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما بالنصر
والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شئ قدير ذكر الخير وحده
لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى ما لم يتضمن خيرا
كليا او لمراعاة الادب فى الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه السلام
لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه
صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فجاء
فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها

لكان

لكانّ بها مصباحًا في جوف بيت مظلم وكبّر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور
الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر
من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعا واخبرني جبرئيل
ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون
الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت ونبه على ان الشر ايضا
بيده بقوله انك على كل شيء قدير **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج
الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب** عقب ذلك بيان قدرته على
معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على
ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في
مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب والزيادة
والنقص واخراج الميت من الحي وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها وامانتها
وانشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف **لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء** نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون
حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وساير الامور الدينية
من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة
عن موالاة الكفار **ومن يفعل ذلك** اي اتخاذهم اولياء **فليس من الله في شيء** اي
من ولاية الله في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان قال
تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب **الا ان تتقوا منهم
تقاة** الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن
لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا
وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جايز كما

كن وسطا وامن جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا
لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي
المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه
بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه
يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما
في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا
عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه
لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات
باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب
بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها وجزاء اعمالها
من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر
نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما
عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان
تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة
ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رؤوف بالعباد اشارة الى انه تعالى
انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب
فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى
الشيء لكمال ادركت فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال
الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله
لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك
فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص
على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم

بالجفا وزعما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك
بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته
واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت
في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده صلعم
انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول
فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى
عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي
كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية
والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين
انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل
على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحاق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلعم
وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب
او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازار بن ابي يوذ بن زربابل بن سالتان
ابن يوحنا بن اوشا بن امون بن ميشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا
ابن يوزام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عوبد بن سلمون
ابن باعز بن نحشون بن عميناذب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب
وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين
او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من
بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة
من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال
الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة
عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ

وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكان لعمران بن
يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هارون فظن ان المراد وزوجته وبرده كفالة زكريا
فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابنى خالة من الاب
روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت
الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر
مشروعا فى عهدهم فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا
معتقا لخدمته لا اشغله بشىء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل منى انك
انت السميع العليم لقولى ونيتى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى
الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه
فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والجبلة وانما
قالته تحسرا او تحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره
والله اعلم بما وضعت اى بالشىء الذى وضعت وهو استئناف من الله تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت
على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ
وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اى وليس
الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها
بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس وانى سميتها مريم عطف
على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه
وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم
بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة وانى
اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم
الرمى بالحجارة وعن النبى ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل

من مس الشيطان غير مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة **فتقبلها ربها** فرضي بها في النذر مكان الذكر **بقبول حسن** بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن **وانبتها نباتا حسنا** مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها **وكفلها زكريا** شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا **كلما دخل عليها زكريا المحراب** اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس **وجد عندها رزقا** جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس **قال يا مريم انى لك هذا** من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفع اشتباه الامر عليه **قالت هو من عند الله** فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة **ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من

كلام الله. روي ان فاطمة اهدت لرسول الله رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها
وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا
فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب. فقال الحمد لله الذي جعلك
شبيهة بسيدة نسا بني اسرايل. ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا
وبقي الطعام كما هو فاوسعته على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان
او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها عند الله
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما
راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال
هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع
الدعا مجيبه فنادته الملايكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي
كان جبريل وحده وقرا حمزة والكساي فناديه بالامالة والتذكير وهو قايم يصلي
في المحراب اي قايما في الصلوة ويصلي صفة قايم او خبر او حال اخر او حال عن الضمير الذي
في قايم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا حمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول
او لان الندا نوع منه وقرا حمزة والكساي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل
عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك
لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي
كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فايقا
للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي
روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من
الصالحين ناشيا منهم او كاينا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى
يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجبا او استفهاما
عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون
سنة ولامراته ثمان وتسعون وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات

عقر

عقم من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشا اي يفعل ما يشا من العجايب مثل ذلك
الفعل وهو انشا الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر
والعقر يفعل ما يشا من خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر اي الله على مثل هذه الصفة
ويفعل ما يشا بيان له او كذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما
يشا بيان له قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر
وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم
الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء
لحق النعمة وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من
الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثنا منقطع
وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرى رمزا كخدم جمع رامز ورمزا
كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني
فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة
وهو موكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد
التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى
ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرى بفتح الهمزة جمع بكر كسحر
واسحار واذ قالت الملايكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على
نسا العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت
معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة
لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفا الاول تقبلها
من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعباده واغناوها برزق الجنة عن الكسب
وتطهيرها عما يستقذر من النسا والثاني هدايتها وارسال الملايكة اليها
وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبريتها مما قذفتها
اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي

واركعي مع الراكعين أمرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة
عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان
الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم
ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع
والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي
لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل
اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على
سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع
معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل
ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او
يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ
قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون
على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب
المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع
واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم
يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته
وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر
افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن
غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون
عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها
على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب

وجيها

وقوله تعجباً يعني الاستفهام اما مجازي او حقيقي وقوله لم يمسسني بشر نفقوية ولا ينافيه لا نزعم وقوله يخلق ما يشاء ولو بغير مادة وسبب كعيسى صلى الله عليه وسلم بلا اب وكون القايل جبرئيل عليه الصلوة والسلام القرينة عليه ذكر الملائكة عليهم الصلوة والسلام قبله وكون القايل هو الله وقد حكاه جبرئيل عليه الصلوة والسلام نفسه التفات ان حكى بلفظه ويكون الله حكى ما حكى عنه والداعي اليه انه تعالى لم يكلم غير الانبياء بل غير خاصتهم عليهم الصلوة والسلام

وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حال مقدرة من كلمة وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية وَمِنَ الصَّالِحِينَ حال ثالثة من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ القائل جبريل او الله وجبريل حكى لها قوله تعالى إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقرأ نافع اني بالكسر فَأَنْفُخُ فِيهِ الضمير للكاف اي لذلك المماثل فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق

منهم اناه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوى الا بالدعا واحيي الموتى باذن الله كرر
باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحيا ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم
بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها
ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات
او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدى من التورية عطف على
رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا
ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله انى قد جئتكم باية او معطوف على معنى
مصدقا كقولك جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذى حرم عليكم اى فى
شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت وهو يدل على
ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود
نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص
فى الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم اى جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهو قولى ان الله ربى وربكم
فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبى والساحر او جئتكم
باية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير
لقوله قد جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم
ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات
الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع فى
الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة
النظرية باعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة
العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك
بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلم
قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك

ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجيا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز
ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله
فى نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او فى او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب
عيسى لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى
من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها نحن انصار الله اى انصار دينه
آمنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم
ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الشاهدين
بوحدانيتك او مع الانبيا الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد صلعم فانهم شهداء
على الناس ومكروا اى الذين احس عيسى منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله
غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث
انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تع الا على سبيل المقابلة والازدواج
والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله
ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى انى متوفيك اى مستوفي اجلك
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي
او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى
عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السما واليه ذهب النصارى
ورافعك الى الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم
او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة
او السيف فى غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم
تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الى مرجعكم الضمير لعيسى
ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من

ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم تفسير الحكم وتفصيل
له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء وزاد رويس ضم الهاء والباقون بالنون والله لا يحب الظالمين
تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك
وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة
وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم
الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه
وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما
للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اى انشأه بشرا كقوله
تعالى ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر
لا لتراخي المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اى هو الحق وقيل
الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي
على طريق التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى
من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأى والعزم
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم
نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس
لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب
منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار
فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة
قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد
عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان
ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين
آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال

اسقفهم يا معشر النصارى انى لأرى وجوهًا لو سألوا الله تع ان يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلعم وبذلوا له الجزية الفى حلة حمرا وثلاثين درعًا من حديد فقال عليه السلم والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولأضطرم عليهم الوادى نارًا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته **ان هذا** اى ما قص من نبأ عيسى ومريم **لهو القصص الحق** بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره فى شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل على المبتدأ **وما من اله الا الله** صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيداً للرد على النصارى فى تثليثهم **وان الله لهو العزيز الحكيم** لا احد سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية **فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين** وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد فساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى فساد العالم **قل يا اهل الكتاب** يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها **الا نعبد الا الله** اى ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها **ولا نشرك به شيئا** ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد **ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** ولا نقول عزير ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا. روى انها لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك **فان تولوا** عن التوحيد **فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور

عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عناد هم
وتجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد
عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل
وساير الانبيا والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر
لم تغن عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم
وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم
كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية
حدثتا بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة
وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها
على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى
اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية
والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم
من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم
على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة ها وقرا نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع
بالمد اقل مدا وقيل بالهمز من غير الف بعد الها والباقون بالمد والهمز والبزي يقصر
المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا
مائلا عن العقائد الزايغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام
والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به
عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان
اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي
والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب

وقرئ والنبي بالنصب الخ في عبارته تسامح اي وهذا النبي كما في الكشاف وعلى قراءة الرفع هو معطوف على الموصول قبله الذي هو خبران وعلى قراءة النصب معطوف على الضمير المفعول والتقدير للذين اتبعوا ابراهيم واتبعوا هذا النبي ويكون قوله والذين امنوا عطف على قوله للذين اتبعوه وليس بلغو لشموله لمؤمني امة موسى وعيسى وغيرهما وعلى الجر هو عطف على ابراهيم اي ان اولى الناس بابراهيم وبهذا النبي للذين اتبعوه وفيه انه كان ينبغي ان يثنى ضمير اتبعوه ويقول اتبعوهما الا ان يقال هو من باب والله ورسوله احق ان يرضوه وايضا فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وقوله والذين امنوا ان كان عطفا على الذين اتبعوه يكون فيه ذلك ايضا وان كان عطفا على النبي فلا فائدة فيه الا ان يقال انه من عطف الصفات بعضها على بعض فتامل سنمات

من امته الخ عدل عن تفسيره بمطلق من اتبعه فيكون ما بعده من ذكر الخاص بعد العام لانه اشرف لكونه خلاف الظاهر وقوله لموافقتهم له علة لكونهم اولى وقوله على الاصالة اشارة الى ان اتحاد الشريعتين لا يقتضي ان يكون الشرع هو الاول لان هذا شرع جديد وان وافق شرع ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما يوافق قول المجتهد قول اخر حتى لا يلزم انه مقلد له وشرع مبني للمجهول وقال في اكثره اذ يجب علينا الايمان بالقران الذي لم يجب عليهم وكذا في شرعهم ما لا يجب علينا سنمات

عطفا على الهاء فى تبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم **والله ولى المؤمنين** ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم **ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم** نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان **وما يضلون الا انفسهم** وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او وما يضلون الا امثالهم **وما يشعرون** وزره واختصاص ضرره بهم **يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله** بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلعم **وانتم تشهدون** انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق **يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل** بالتحريف وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتَلبَسون بفتح البا اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه الصلوة والسلم كلابس ثوبى زور **وتكتمون الحق** نبوة محمد صلعم ونعته **وانتم تعلمون** عالمين بما تكتمونه **وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار** اى اظهروا الايمان بالقران اول النهار **واكفروا آخره لعلهم يرجعون** واكفروا به آخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطايفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى ورد فى التورية لعل اصحابه يشكون فيه **ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم** ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم **قل ان الهدى هدى الله** يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه **ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم** متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين

يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله ان الهدى هدى الله
اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل عن الهدى
وقرأ ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع مؤيدا للوجه الاول اى الان يؤتى احد
دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى
على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو
ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما
زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله
ابن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان
تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده
وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود
اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده باسكان الهاء
وقالون باختلاس كسرة الها وكذا روى عن هشام والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت
عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع
واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الادا المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا
بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اى ليس علينا في شأن من ليسوا اهل الكتاب
ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم
يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل
لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا
سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلعم انه قال عند
نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة
الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى

فان

فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيامة فان من سخط على غيره واستهان اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلعم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في نزاع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن اخطب يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان

نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما
بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم
بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي لاحد ان يسجد لغير الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله **ولكن كونوا ربانيين** ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب
الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين
له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون
من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى
على تقدير وبما تدرسون على الناس **ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا** نصبه
ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي
في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر
باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا
يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف
ويحتمل الحال وقرا ابو عمرو على اصله برواية الدوري باختلاس الضم **ايامركم بالكفر**
انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله **بعد اذ انتم مسلمون** دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم
المستاذنون لان يسجدوا له **واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به** ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء
كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى
بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ
اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على
حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان

اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمننّ ساد مسدّ جواب القسم والشرط
ويحتمل الخبرية لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء
رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمننّ به ولتنصرنّه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه
وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لمّا بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله
لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون
والالف جميعا قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي
يشدّ وقرئ بالضم وهو اما مبالغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشدّ به
قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه
للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد
وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك
هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على
الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير
دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة
عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل
لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة
وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف
على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله
وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي
موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما
هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع
قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدّى
بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل علينا على المنزل على سائر

الرسل لا انه المعترف له والصابر عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب

ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا

اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين

في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال

الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان

غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا

للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات

استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال

بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف

على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو

على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم

الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف

من جاءه الحق وعرف ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون

على الكفر ممنوعون عن الهدى مايوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس

المومنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه

خالدين فيها اي في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام

عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد

واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله

غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على

ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة

فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان

بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا

والقرآن او كفروا بمحمد صلعم

بالاصرار

الايمان شرعا هو اما فعل القلب فقط او اللسان فقط او فعلهما
جميعا او هما مع سائر الجوارح فعلى الاول هو اما التصديق فقط
والاقرار ليس بركن بل شرط لاجراء الاحكام الدنيوية وهو مختار
الماتريدي وقال الامام الرضي وفخر الاسلام ان الاقرار ركن
احط فانه قد يسقط لما فيه شائبة العرضية والتبعية او التصديق
بشرط الاقرار وهو مذهب الاشعري واتباعه ولا دلالة في قوله
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا الاية على ان الاقرار
باللسان خارج عن حقيقة الايمان المصطلح عند اهل الشرع انما دلالتها
على انه خارج عن الايمان بمعنى التصديق بالله ورسوله وليس هذا مما
يقبل النزاع والرابع مذهب المحدثين وبعض السلف والمعتزلة
والخوارج وفيه اشكال ظاهر وجوابه ان الايمان يطلق على ما هو الاصل
والاساس في دخول الجنة وهو التصديق مع الاقرار وعلى ما هو
الكامل المنجي بلا خلاف وهو التصديق والاقرار والعمل وفي التصديق
المجرد خلاف فعند بعض مشايخنا منج وعند البعض لا والمذهب
عندنا ان الايمان فعل العبد بهداية الرب وتوفيقه وهو الاقرار
باللسان والتصديق بالقلب وهو الركن الاعظم والاقرار كالدليل عليه

من كليات ابي البقا الكفوي

بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كفروا ارتدوا ولحقوا
بمكة فازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد صلعم ريب المنون او نرجع اليه وننافقه
باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على
الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم
وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على
الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
تغليظا في شانهم وابرازا لهم في صورة حال الآيسين من الرحمة لما كان الموت
على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء
ما يملاؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف
ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء
الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب
به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو
ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين
في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه
الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق
لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي
هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او مما يعمه وغيره كبذل
الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيل الله روي انها لما نزلت
جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا فضعها حيث اراك الله
فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة
بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله فحمل عليه رسول الله صلعم اسامة بن زيد
فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل
على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب

والمنفق وقرئ بعض ما تحبون وهذا يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما
تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب وغيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم
بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم
وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله لا هن
حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها فيل كان
به عرق النسا فنذر ان شفي لم يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل
فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان
يقول ان ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي من
قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم الله عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا
وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتان بان قالوا
لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر
الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول موافقة
ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن
محرما روي انه عليه الصلوة والسلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه
دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل
نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما الزمهم الحجة
فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح
قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته
حتى تخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية
والزمتكم تحريم طيبات احلها لابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى

ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بجزلت اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تع ويدل عليه انه قرئ على البنا للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازم ولازب وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه الصلوة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد به اول بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم مبتدأ محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصما وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة

وقوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلوة والسلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة
عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الامن مدى الدهر والامن من العذاب
يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند ابي حنيفة من
لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج
ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم
في رواية حفص بالكسر وهي لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له
وقد فسر رسول الله الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال
ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها
بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين
والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني
عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال
عليه الصلوة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد
امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية
وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه
كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة
وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين
بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم
السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد
عن الشهوات والاقبال على الله تعالى روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلعم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس
ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية
الدالة على صدق محمد صلعم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب
بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل

فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كانت في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلعم واصحابه فقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم

هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله
وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان
الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجي اليه في مجامع
اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب
والاجتناب عن المحارم كقوله تع فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو ان
يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات
اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب
واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تودة وتخمة والياء الفا ولا
تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت
فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى
وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام
او بكتابه لقوله عليه الصلوة والسلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث
ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي
وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه
ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب تفرقكم الجا
يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله
عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال الغل
اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم
بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين
لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها
الله بالاسلام والف بينهم برسول الله صلعم وكنتم على شفا حفرة من النار
مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم

في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانب واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم اياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تع كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني ودنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه الصلوة والسلم سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه الصلوة والسلم اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه الصلوة والسلم من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من

قوله والاظهران النهي فيه مخصوص الخ التخصيص المذكور ماخوذ من التشبيه وقيل انه شامل للاصول والفروع لما ترى من اختلاف اهل السنة فيها كالماتريدي والاشعري وانما النهي عن الاختلاف فيما ورد فيه نص من الشارع او اجمع عليه

قوله نصب بما في لهم من الفعل الخ اي الاستقرار واذكر مقدرا وفيه وجوه اخر ذكرها السمين وغيره فقيل العامل فيه عذاب وضعف بان المصدر الموصوف لا يعمل وقيل عظيم واورد عليه انه يلزم تقييد عظمته بهذا اليوم ورد بانه اذا عظم فيه ففي كل عظيم ففي غيره اولى وبانه ليس المراد التقييد

معنى الفعل وباضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور
وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة
وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلعم بعد
ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم
او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلايل والايات فذوقوا العذاب امر اهانة بما
كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله
يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المومن وان استغرق عمره
في طاعة الله لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن
قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المومنين وثوابهم هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون
تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة
بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق
عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق
كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد
كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله
غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت
للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم
خير امة او خبر ثان لكنتم وتومنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يومن به
لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يومن به وانما
اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة

لانهما نقتضي كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق
فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي
لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على
سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم
عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم
لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان
وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا
بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير
وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل
التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين
او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع
سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم
المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر
فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء
ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم
حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر
وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم
وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا
ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة

قوله ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز اي عطف على قوله نفى اضرارهم وقرر ذلك عطفه عليه بكلمة ثم للدلالة
على ان هذا الاخبار وان لم يكن متراخيا عن الاخبار المعطوف عليه بالزمان لكنه متراخ عنه رتبة لان الاخبار بكونهم
محرومين عن النصرة مستمرين على العجز والخذلان اعظم وانفع من الاخبار بانهزامهم وتوليتهم الادبار وان كان الظفر به
في قوله ثم لا ينصرون متراخيا بالزمان عن الخبر به في قوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار

استينا فلبيان نفي الاستوا والقائمة المستقيمة العادلة من قمت العود فقام وهم
وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في
تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح
وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه الصلوة والسلم
اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد
يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصايص ما كانت في اليهود
فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون
اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من
الصالحين اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا
رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك
كفرا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا
حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم
واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون
مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون
مثل ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحياة
الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر
فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك
عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته
ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم
يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث

وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا فى الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلوة والسلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم فى الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدى الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اى فى كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفى صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلة او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا قل موتوا بغيظكم

اوليس وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ١٢

الشعار ما يلى الجسد من الثياب لمماسة الشعر والدثار ما كان من الثياب فوق الشعار يريد انهم اصدقائى وبطانتى واقرب الناس الى

لم يجدوا الى التشفى سبيلا المراد بالتشفى شفاء الصدر بنيل المراد وعض الانامل عادة النادم العاجز فلذا فسره بما ذكر شهاب

دعا عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله صلعم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلم رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما

فاولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي ورأيت كأني أدخلت يدي
في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال
رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا
حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم فقالوا بئس ما صنعنا نشير
على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي
لنبي ان يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد
يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم
وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا
اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا
وتضعفا روي انه عليه الصلوة والسلام في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما
بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلاث مائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم
عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله والاسلام في نبيكم وانفسكم فقال
ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسوله
والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة
ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي
فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر
تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي
وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم
لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم
به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع
الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت
على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا

عن الغنايم وخالفوا امر رسول الله لم تنزل الملائكة ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة
آلاف من الملائكة منزلين انكار أن لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بأنهم كانوا
كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله
يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر
منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد
لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل
مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحالة التي لا ريث فيها
ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في
حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء
لقوله عليه الصلوة والسلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم
بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله
جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به
ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه
على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا
على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر
عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط
على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر
ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم
بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة
غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا
منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف
على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله تع مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب

عليهم

عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنت عبد مأمور

بإنذارهم وجهادهم ويحتمل أن يكون معطوفاً على الأمر أو شيء بإضمار أن أي ليس

لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وأن

يكون أو بمعنى إلا أن أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسر به

أو يعذبهم فتشتفي منهم روي أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته

فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت

وقيل همّ أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بأن فيهم من يؤمن فإنهم ظالمون

قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً فله الأمر

كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة

وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر إلى الدعاء عليهم يا أيها

الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافاً مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل

التخصيص بحسب الواقع إذ كان الرجل منهم يربي إلى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى حتى

يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة

واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي أعدت

للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات

معدة للكفار وبالعرض للعصاة وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون أتبع الوعيد

بالوعد ترهيباً عن المخالفة وترغيباً في الطاعة ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل

عزة التوصل إلى ما جعل خبراً له وسارعوا بادروا وأقبلوا إلى مغفرة من ربكم إلى

ما يستحق به المغفرة كالإسلام والتوبة والإخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا

واو وجنة عرضها السموات والأرض أي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة

في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لأنه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات

وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض أعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على

على أن الجنة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة

للمتقين او مدح منصوبا او مرفوع في السرآء والضرآء في حال الرخا والشدة او الاحوال
كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون
في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل وكثير والكاظمين الغيظ اي الممسكين عليه
الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها
وعن النبي صلعم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين
عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلعم ان هؤلآء في امتي قليل
الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل
الجنس ويدخل تحته هؤلآء والعهد فيكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة
فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة
الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك
ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة
ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد
وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة
ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه الصلاة والسلام
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم
يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها
ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين
والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين
جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون
مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا
بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى
وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية

هؤلآء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما
فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ
الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين
ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة
كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ع ما عاين
الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس
وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه
مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين
والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا
تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد
بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شأنا
فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان
وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون
في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي
اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم
بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح
الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر
مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا
يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا
امر الرسول صلعم وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلآء تارة
ولهؤلآء اخرى كقوله ع فيوما علينا ويوما لنا . ويوما نسآء ويوما نسر والمداولة

كالمعاودة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها
يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا
عطف على علة محذوفة اى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة
فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به
محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك و القصد
فى امثاله ونقايضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على
طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشئ موجودا
ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم
شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدايد والله لا يحب
الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه
تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا
لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب
ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص
الشئ قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ولما يجاهد والفرق بين لما ولم ان فيه توقع
الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم الله بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت
النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع
على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون
الموت اى الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم
يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلعم مشهدا لينالوا ما نال
شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل
ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اى فقد رأيتموه
معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب

وتبينوا

ونبئوا انهم جبنوا وانهزموا عنها آ وعلى تمنى الشهادة فان فى تمنيها تمنى غلبة
الكفار **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل
افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقا
عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل
الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقا
بعد وفاته روى انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله صلعم بحجر فكسر ربا
ونبح وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو
يرى انه قتل النبى فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ النا
وجعل الرسول يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا
عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا من ابى سفيا
وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال
انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت
وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك
مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت **ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا** بارتداده بل يضر نفسه **وسيجزى الله الشاكرين** على نعمة الاسلا
بالثبات عليه كانس واضرابه **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** الا بمشية الله
او باذنه لملك الموت فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضا
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحر
وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل **كتابا** مصدر مؤكد اذ المعنى
كتب الموت كتابا **مؤجلا** صفة له اى موقتا لا يتقدم ولا يتأخر **ومن يرد ثواب الدنيا
نؤته منها** تعريض بمن شغلتهم الغنايم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم
واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون
وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم **ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها** اى من ثوابها

١٢٧

بيلي

كاين

وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكاين اصله
اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس
وقرا ابن كثير وكاين ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في
لعمري فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت
من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم
وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال
ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب
كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم
من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما
خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل
ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه
ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة
والسلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا
ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين
الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم
الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو
ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان
قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولان الاصل في المسند اليه التعريف فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجا
الى الله تعالى النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرة
وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله يا ايها الذين امنوا

ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل
ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في
مطاوعة الكفار والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم
ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا
به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في
قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان
يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل
لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم
فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في
كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على
اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر
واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان
ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر
للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى
والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم
بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ
تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف
رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف
الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ها هنا وقال الآخرون لا
نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب
وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز

بسبب اشراكهم اي فالباء سببية وما مصدرية
والهمة تفسير لما وحجة تفسير لسلطانا لان بها يتقوى
على الخصم فالنون زايدة والتسليط الزيت
او دهن السمسم وقيل النون اصلية وقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر اي يدخل جحرا وهو
شاهد لما فيه انتفاء المقيد لانتفاء قيده
اللازم وهذا كقولهم السالبة لا تقتضي
وجود الموضوع فحاصله انه سلب لا يقتضي
وجود الموضوع وهو في وصف مفازة
واوله لا يفزع الارنب اهوالها اي لا ضب
بها حتى ينجحر ولا حجة حتى ينزلها فالمراد
نفيهما جميعا

للغنيمة ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم
ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصايب ويمتحن ثباتكم على
الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو
فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم
اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر
والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا
تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول صلعم
الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم
وجماعتكم الاخرى فاثابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم
غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول
او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر
في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت و ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى
لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة
لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم
كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم لكيلا تحزنوا على ما
فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم
وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى
اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط
من يد احدنا فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو
المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي
امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن
يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرا حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطايفة
المؤمنون حقا وطايفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم

او

او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى
لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اى
يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن
المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اى لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر
من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابى بقتل
بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا
من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اى الغلبة
الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله على الرفع على الابتداء يخفون فى انفسهم
ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون
للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى فى انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض
وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد صلعم
او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راى ابن ابى
وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب فى اللوح
المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها
فى سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله ما فى صدوركم ليمتحن ما فى صدوركم ويظهر سرائرها
من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف
اى لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما
فى قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوسواس والله عليم بذات الصدور بخفياتها
قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك
لتمرين المومنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما

كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة بمخالفة النبي صلعم فمنعوا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب والمذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء

ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والتنبيه والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد المشورة فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذ في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة

نابة وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يُغَلّ على البنا للمفعول والمعنى
وما صح له ان يوجد غالاً او ان يُنسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة
يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى
كل نفس ما كسبت تُعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم توفى
ما كسب لكنه عمّم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان
كل كاسب مجزياً بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب
مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع
بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع
ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله
شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات
والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على
حسبها لقد منّ الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم
مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها لمن منّ الله على انه خبر محذوف
مثل منّه او بعثه ~~عامة لزيادة انتفاعهم بها~~ وقرئ اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على
حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفَسِهم اي من اشرفهم لانه عليه الصلاة
والسلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اي القرآن بعد ما
كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول صلعم
في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع
والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا
وقلتم ولما ظرف المضاف الى اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال

الكم قتلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين قلتم من اين هذا اصابنا وقد
وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر
بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من
المدينة وعن على باختياركم الفدآء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على
النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان
جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كاين بقضايه او تخليته
الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز
المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا
داخل فى الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم
وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة
او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم
عليه ليس بقتال بل القآء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه
دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخذالهم وكلامهم هذا
فانهما اول امارات ظهرت منهم موذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة
منهم لاهل الايمان اذ كان انخذالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون
بافواههم ما ليس فى قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم
بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق
وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات
الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا
او جر بدلا من الضمير فى بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم
لاخوانهم اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا
حال مقدر بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا فى القعود ما قتلوا كما لم نقتل

وقرأ هشام ما قتلوا بتشديد التاء **قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين**

اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة فكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا** نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد وقرأ هشام بالياء وبالتاء ايضا كالباقين على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين **بل احياء** اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء **عند ربهم** ذوو زلفى منه **يرزقون** من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء **فرحين بما آتاهم الله من فضله** وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة **ويستبشرون** يسرون بالبشارة **بالذين لم يلحقوا بهم** اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم **من خلفهم** اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة **الا خوف عليهم ولا هم يحزنون** بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه عليه الصلوة والسلم قال ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح

يستبشرون كرره للتاكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون
الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه
كقوله تع للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرا الكسائى بالكسر على انه استيناف معترض
دال على ان ذلك اجرلهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره
مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب
على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود
من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون
روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحا ندموا وهموا بالرجوع
فبلغ ذلك رسول الله صلعم فندب اصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرجن معنا الا
من حضر يومنا بالامس فخرج صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى على ثمانية
اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم
الاجر والقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعنى
الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلق عليه الناس
لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس
من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعنى ابا سفيان
واصحابه روى انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت
فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج فى اهل مكة حتى نزل مر
الظهران فانزل الله الرعب فى قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون
المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود
وقد قدم معتمرا فسئله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين
يتجهزون فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افتريدون ان
تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده

لاخرجن ولو لم يخرج معي احد لخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم
الوكيل **فزادهم ايمانا** الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد
نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت
به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده
وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان
يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا
ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف
وكثرة التامل وتناصر الحجج **وقالوا حسبنا الله** محسبنا وكافينا من احسبه اذا
كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل
حسبك **ونعم الوكيل** ونعم الموكول اليه هو **فانقلبوا** فرجعوا من بدر **بنعمة
من الله** عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه **وفضل** ربح في التجارة فانهم
لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا **لم يمسسهم سوء** من جراحة وكيد
عدو **واتبعوا رضوان الله** الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراتهم وخروجهم
والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب
في الدين واظهار الجراة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع
ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطية رايه حيث
حرم نفسه ما فازوا به **انما ذلكم الشيطان** يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان
والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز
ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس
يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم
ابو سفيان واصحابه **فلا تخافوهم** الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على
الثاني **وخافون** في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي **ان كنتم مؤمنين** فان الايمان
يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** يقعون

فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام

والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا

اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل

المفعول والمصدر وقرا نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ما خلا قوله

فى الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاى فيه والباقون كذلك فى الكل

يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الاخرة نصيبا من الثواب فى الاخرة وهو يدل على

تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية

حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم

يرد لهم حظا فى الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا

الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد وتعميم للكفرة بعد

تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى

لهم خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل

منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين

كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن

الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان

خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط ولكنها وقعت متصلة

فى الامام فاتبع وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائى ويعقوب بالياء على ان الذين

فاعل وان مع ما فى حيزه مفعول وفتح سينه فى جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة

والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول

ليرعى كيف شاء انما نملى لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما

كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى

ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة

والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا

وتداركوا به ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اى
ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى
اللام لتأكيد النفى
يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لا يترككم
مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه باحوالكم
او بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم
كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم
وقرأ حمزة والكسائى حتى يميز هنا وفى الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها
والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله
يجتبى من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب فيطلع على ما فى القلوب من
كفر وايمان ولكنه يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له
ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا
على الغيب وتعلموهم عباد الله مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا
ما اوحى به اليهم روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا
ومن يكفر فنزلت وعن السدى انه عليه الصلاة والسلام قال عرضت على امتى واعلمت
من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه
ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا
يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراآت فيه
ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون
هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله
الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم
هو خيرا لهم بل هو اى البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه
الصلوة والسلام ما من رجل لا يؤدى زكوة ماله الا جعل الله سبحانه له شجاعا فى عنقه

القراءة

يوم

يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيل الله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما يعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه الصلوة والسلام كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره هنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا ان لا

تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة
الخاصة التي كانت لأنبياء بني اسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل
نار سماوية فتأكله أي تحيله الى طبعها بالإحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن
أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين تكذيب وإلزام
رسلا جاؤوهم قبلي كزكريا ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم
فلو كان الموجب للتصديق هو الإتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لا
لما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات أخر واجترؤوا على قتله فإن كذبوك فقد كذب
رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه
واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته
والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة
متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر
وبالزبر وهشام وبالكتاب بإعادة الجار للدلالة على أنها مغايرة للبينات بالذات
كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقةٌ الموتَ
بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وإنما توفون أجوركم
تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا يوم القيامة يوم قيامكم
عن القبور ولفظ التوفية يشعر بأنه قد يكون قبلها بعض الأجور ويؤيده قوله عليه الصلاة
والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار بعد عنها
والزحزحة في الأصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وأدخل الجنة فقد فاز بالنجاة
ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلعم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل
الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه
وما الحياة الدنيا أي لذاتها وزخارفها إلا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس
به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة فهي له

متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اى والله لتختبرن فى اموالكم بتكليف
الانفاق وما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد
عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن فى الدين واغراء الكفرة على المسلمين
اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها
حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعنى
الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التى يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه
اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشىء نحو امضائه واذ اخذ الله
اى اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس
ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش
بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير
للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء
الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه
بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس
ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبى صلعم انه قال من كتم علما من اهله الجم بلجام
من نار وعن على ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين
والمفعول الاول الذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى
لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة
من العذاب اى فائزين بالنجاة منه وقرأ ~~نافع وابن عامر و~~ ابن كثير وابو عمرو ولا
يحسبن بالياء وفتح الباء فى الاول وضمها فى الثانى على ان الذين فاعل ومفعولا

لا يحسبن محذوف فان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل لا يحسبن الذين يفرحون
بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم
تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روى انه عليه
الصلاة والسلام سأل اليهود عن شئ مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيها واروه
انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا
بانهم روا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون
بنفاقهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة ولله
ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقابهم
وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لآيات لاولى الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه
وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة
ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه
متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشئ كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير
العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي
صلعم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اى
يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام
من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث
حسب طاقتهم لقوله عليه الصلوة والسلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء فهو حجة للشافعى في ان المريض يصلى مضطجعا
على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا
واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلوة والسلام لا عبادة كالتفكر لانه
المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلوة والسلام بينما رجل مستلق
على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم

اغفر

اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله

ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة

الى المتفكر فيه او الخلق على ارادة المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى

~~المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق~~ والمعنى ما خلقته عبثا

ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان

وسببا للمعاش ودليلا يدل على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة

السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض

فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة

على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من

تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك

والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار

بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر

موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم

في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا انا

سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه

عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم

تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول صلعم وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما

تعدى بالى لتضمنها معنى الانتهاء وباللام لتضمنها معنى الاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اى بان آمنوا فامتثلنا

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا فانها مستقبحة

ولكن مكفرة عن مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في

زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار

جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى ما وعدتنا على تصديق

رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف

الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال وتعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على محذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك **ولا تخزنا يوم القيامة** بان تعصمنا عما يقتضيه **انك لا تخلف الميعاد** باثابة المومن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف **فاستجاب لهم ربهم** اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام **اني لا اضيع عمل عامل منكم** اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول **من ذكر او انثى** بيان عامل **بعضكم من بعض** لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت **فالذين هاجروا** الى الاخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشاير للدين **واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي** بسبب ايمانهم بالله ومن اجله **وقاتلوا** الكفار **وقتلوا** في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير **لاكفرن عنهم سيآتهم** لامحونها **ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله** اي اثيبهم بذلك ثوابا من عند الله تفضلا منه فهو مصدر موكد **والله عنده حسن الثواب** على الطاعة قادر عليه **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد** الخطاب للنبي والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين

عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع
قليل خبر مبتدا محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفى جنب ما اعد
الله للمومنين قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه
فى اليم فلينظر بماذا يرجع ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا لانفسهم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله
النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال الضبى ابو الشعر
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا . جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال
من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر موكد والتقدير انزلوها نزلا وما
عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من
اهل الكتاب لمن يومن بالله نزلت فى عبد الله بن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران
واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى
لما نعاه جبريل الى رسول الله صلعم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا
يصلى على نصرانى لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف
وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل
يومن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم
اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه فى قوله تع اولئك
يوتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء
واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة
الحساب تستدعى سرعة الجزا يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما
يصيبكم من الشدايد وصابروا وغالبوا اعداء الله فى الصبر على شدايد الحرب واعدى
عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته
ورابطوا ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال
عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه الصلاة والسلام

وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر
ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه
لكي تظفروا بغاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتبة
التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر
على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلعم
من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة
التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم
الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم
من شخص واحد وخلق منه امكم حوا من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس
واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة
منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة
تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة
لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة
التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل
منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف
مبتدأ تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم
بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ
عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة

بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ
محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ
قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه صلعم انه قال الرحم معلقة بالعرش
تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا
مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه
من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس
وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من
باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على
الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورده في الآية اما للبلغ على الاصل
او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل
ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او
لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا
من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت
فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث
وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم
وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اى ولا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا
حلال وذا حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تع فليأكل بالمعروف انه الضمير
للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا
وقالا وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى ان خفتم
ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان
الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدة

ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا
ايضا ان لا تعدلوا بين النسآء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفا بحقه لان المتحرج من الذنب
ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تع لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم
وما كانوا يتحرجون من تكثير النسآء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية
اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا
فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجرآء لهن مجرى غير العقلا
لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التا على ان لا مزيدة
اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين
وثلاث ثلاث واربع اربع وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان
كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير
منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شآء من العدد
المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة
ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت
باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا
فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف
او خبره تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين
الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن
ذلك اي التقليل منهن واختيار الواحدة او التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا
يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام
المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر
عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قرآءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا
كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة
قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيهن كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزو

الاربع وآتوا النسآ صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال جمع صدقة
كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله
كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة
ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء
او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل
المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من
انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله
شرعه والخطاب للازواج وقيل للاوليآ لانهم كانوا يأخذون مهور موليّاتهم
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او مجرى مجرى اسم الاشارة
كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق كأن ذلك وقيل للايتآ ونفسا تمييز
لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل
العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا
لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء
والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما
او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء
ما تحمد عاقبته روي ان ناسا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها
فنزلت ولا تؤتوا السفهآ اموالكم نهي للاوليآ عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم
فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاوليآ لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم
للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي
امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهآ استخفافا بعقلهم واستهجانا
لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها
وتنتعشون وعلى الاول يأول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام
قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم

فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلوة والسلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يونس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهو مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع المال اليه وان لم يونس منه الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في المال المتعلق بالصبي وعنه عليه الصلوة والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل

على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تع فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة رسول الله صلعم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله في اولادكم فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبالغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا

اولادهم بقوا خلفهم ضعافا فاشلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا
للورثة فلا يسرفوا في الوصية وكونها في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين
حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع
وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب
لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا
قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ
والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون
لاولادهم بالشفقة وحسن الادب والمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع
الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا
او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم ملء
بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي برزة انه قال عليه الصلوة والسلام يبعث
الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم قال الم تر ان الله يقول ان
الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم اليا مخففا وقرئ
به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته
فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم
ويعهد اليكم في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر
بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف
للتفضيل فلا يحرمن بالكلية فقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان
كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر
او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين

فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اى ان
كانت المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على كان التامة واختلف في البنتين فقال
ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو
الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة
العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة
لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس
رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي
الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما
السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا السدس مما ترك ان كان له للميت ولد
ذكر او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقى من ذوى الفروض
ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما
لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان
الباقى للاب كانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها حيث معهما
احد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس
فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف
وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها
من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم ياخذون
السدس الذى حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة
من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او من الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب
الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائى
فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها من بعد وصية يوصى بها او دين متعلق
بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من

وصية او دين وانما قال باو التى للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان
فى الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهى
متاخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين
انما يكون على الندور وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد آباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم
فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان
روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر فى الجنة سال ان يرفع اليه
فيرفع بشفاعته او من مورثكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء
وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ
الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه فى معنى يامركم
ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف
ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم
او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم
ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين
فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا
فى الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوى الواحدة
والعدد منهن فى الربع والثمن وان كان رجل اى الميت يورث اى يورث منه من
ورث صفة لرجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه وهو من
لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد
والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد
ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل والرجل الميت وكلالة يحتمل المعانى الثلاثة
وعلى الاول خبر او حال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل

مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة . ولا من حفى حتى تلاقي
محمدا . فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها
المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل
وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او
اخت اي من الام ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام
وانه ذكر آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام
وان ما قدرها هنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة
لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما
يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين
غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون
القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال عن فاعل يوصي المذكور في هذه القراءة
والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش
عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده
انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما
دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله
عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت
في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة
التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ
نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا وكذا خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير

فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال
مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذا خالدا وليستا صفتين لجنات
ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتى يأتين الفاحشة
من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة
الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن
اربعة من رجال المومنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن
فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفى ارواحهن الموت او
يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل
ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب
الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزانى او يجعل الله
لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح واللذان يأتيانها
منكم يعنى الزانى والزانية وقرا ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف
والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان
تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر
ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة
على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات
وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة انما التوبة على الله اى ان قبول التوبة
كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء
بجهالة متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من
عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اى
قبل حضور الموت لقوله تع حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان
الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله تع قل
متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع

توبة اليأس مقبولة ام لا

ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم
سلطان الموت او يزين او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفا بما وعد
به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة
حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف
التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة
للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هولاء وعدم توبة هولاء
وعدم توبة سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المومنين وبالذين يعملون
السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك
اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعد لهم لا
يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهي العدة وقيل اصله اعددنا
فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان
الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها
بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما
ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث
فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم في
مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما كره عليه ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن
من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب
مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن
بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان
ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء
من اعم عام الظرف والمفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين

بفاحشة أو لا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة
مبيّنة هنا وفى الاحزاب والطلاق بفتح اليا والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن
بالمعروف بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما
هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح
للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج
مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اى احدى الزوجات جمع
الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا اى من
القنطار أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اى تأخذونه باهتين
وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب
بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التى تحته
بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا
عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل
الباطل ولذلك فسر ها هنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض
انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر
واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما
اوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار
اليه النبى بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا
ما نكح اباؤكم ولا تنكحوا التى نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة
وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين
الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهى وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح
ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله ولا

عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم
الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف
فانه لا مؤاخذ عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهى اى ان نكاحهن كان
فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروات ولذلك سمى
ولد الرجل من زوجة ابيه المقتى وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت
ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر
الى الفهم كتحريم الاكل من قوله تع حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده فى
النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول
من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة
وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها
من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى
والبعدى وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة
منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمرضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار
المرضعة ووالد الطفل الذى در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخته من الرضاع من هذا الاصل
ليس بصحيح فان حرمتهما فى النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم
اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة
لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج
والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده
فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتى بصلتها صفة
لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان
من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان

قوله من اللاتى سبين ولهن ازواج اى يعنى ان الاية مخصوصة بذوات الازواج المسبيات بدليل سبب النزول لان ملك اليمين لا يزيل النكاح بالاتفاق كما لو باع جارية مزوجة او انتقل تملكها عمن زوجها بارث او هبة لكن هل مجرد السبى محلل لذلك ام سبيها وحدها فعند الشافعى رحمه الله مجرد السبى موجب للفرقة ومحلل للنكاح وعند ابى حنيفة رحمه الله سبيها وحدها حتى لو سبيت معه لم يحل للسابى

ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فانى لست منك ولست منى على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم او بصدده قوى الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على انه جعله شرطا والامهات والربائب سنا ولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطى بشبهة او ملك يمين وعند ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين فى موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل وقول على اظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد فى جميع القرآن غير هذا الحرف لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد

اصبنا سبيا يوم اوطاس ولهن ازواج كفار فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله ❊ وذات حليل انكحتها رماحنا ❊ حلال لمن يبني بها لم تطلق ❊ وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم يحل للسابي واطلاق الاية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر موكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فاتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر موكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او من مقام او من فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روى انه عليه الصلوة والسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي به اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع

بالمرأة وتمتيعها بما تعطى فجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح
حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله
الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المومنات فى موضع النصب بطولا او بفعل
مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات او ومن لم يستطع
غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات
يعنى المومنات وظاهر الآية حجة للشافعى فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق
حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك
فراشهن على ان النكاح هو الوطى وحمل قوله من فتياتكم المومنات على الافضل كما
حمل عليه فى قوله المحصنات المومنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز
نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المومنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاة
المحذور فى نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله
اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم
فى الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب
والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض
انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن
اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن
العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية واتوهن اجورهن اى ادوا اليهن مهورهن
باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم
بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا
الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات
غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء فى السر فاذا احصن بالتزويج
وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان
اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعنى الحرائر من العذاب

من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهذا يدل على ان حد العبد نصف
حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اى نكاح الاما لمن خشى العنت منكم
لمن خاف الوقوع فى الزنا وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة
وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا
شرط اخر لنكاح الاما وان تصبروا خير لكم اى وصبركم عن نكاح الاما متعففين
خير لكم قال عليه السلم الحرائر صلاح البيت والاما هلاكه والله غفور لمن لم يصبر
رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفى
عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى
الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد ـ اردت لكيما يعلم الناس انه
سراويل قيس والوفود شهود ـ وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق
لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا
طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصى ويحثكم
على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم فى وضعها والله يريد
ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعنى الفجرة
فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو
متبع له فى الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع
الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير
مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنفية السمحة السهلة
ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات
ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس ثمان ايات فى سورة النسا هى خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها

قوله كاحلال نكاح الامة اخرج ابن ابى شيبة عن مجاهد انه قال وسع الله على هذه الامة جواز نكاح الامة والنصرانية واليهودية ولم يرخص لغيرهم والشرعة بالكسر الشريعة والسمح الجواد وهى السمحة والسهل اللين والمراد بالحنيفية المائلة الى الصواب كما قرره

قوله يعنى الفجرة اى الفسقة لانهم يدورون مع شهوات انفسهم من غير تحاش عنها فكانهم بانهماكهم فيها امرتهم الشهوات باتباعها فامتثلوا امرها واتبعوها فهو استعارة تمثيلية واما المترخص فلم يتبع الشهوات وانما اتبع الشرع وتحليل الاخوات لاب لانهم لم يجمعهم رحم وبنات الاخ والاخت قياسا على بنات العمة والخالة بجامع ان امها لا تحل فكانوا يريدون ان يضلوا المسلمين بما ذكر ويقولون لم جوزتم تلك ولم تجوزوا هذه ووصف عظيما لان المراد به الاستحلال

١٤٦

الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا
والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن
تراض غير منهى عنه او اقصد كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة
عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى يحل بها تناول مال الغير
لانها اغلب واوفق لذوى المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود
بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون
تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة
ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده
ما روى ان عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى عليه السلم او
بارتكاب ما يؤدى الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس
وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية
بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما
تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم
رحيما اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد
رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل
او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه
وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب
فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه
ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلى
وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس
نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر والاقرب
ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته

بعناطع وعن النبي صلعم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف
المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن
عباس رضه الكبائر الى سبعماية اقرب منها الى سبع وقيل اراد بها هنا انواع الشرك
لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب
وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكباير الشرك واصغر الصغاير
حديث النفس وبينهما وسايط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت
نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب
على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا يرى انه
تع عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم يعد على غيره خطيئة فضلا ان يواخذ عليها
وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ
نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه
خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضى بما
قسم الله له وانه تشه لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم
يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ
وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب
ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام
ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على
بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص
كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اى لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من
خزاينه التي لا تنفد وهو دليل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله
من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله من فضله

وسلم فسأل الذين وشهد إذا كان أمرا مواجها به وقبل السين والواو في بغير
همز وحمزة في الوقف على أصله والباقون بالهمز إن الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه
كل إنسان فيفضل عن علم وتبيان روي عن أن أم سلمة قالت يا رسول الله يغزو
الرجال ولا نغزو وإنما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا
موالي مما ترك الوالدان والأقربون أي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها
ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل أو ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على أن من
صلة موالي لأنه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والأقربون استئناف
مفسر للموالي وفيه خروج الأولاد فإن الأقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين
أو ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالي
صفة كل والراجع إليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عاقدت
أيمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله وأولوا
الأرحام بعضهم أولى ببعض وعن أبي حنيفة رض لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على
أن يتعاقلا ويتوارثا صح وورث أو الأزواج على أن العقد عقد النكاح وهو مبتدأ
ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم أو منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه أو معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة
مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم
فحذف العهود وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الأخرى
إن الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله
بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير
ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية
وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوهما والتعصيب
وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما أنفقوا من أموالهم في نكاحهن

كالمهر

كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة
بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلعم فشكى فقال الرسول
الله صلعم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله
خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قايمات بحقوق الازواج حافظات
للغيب لمواجب الغيب اى يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال
وعنه عليه السلم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك
واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله
بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتو
له او بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب
عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية
لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف
والشفقة على الرجال واللاتى تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة
الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن فى المضاجع فى المراقد فلا تدخلوهن
تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت
اى لا تبايتوهن واضربوهن يعنى ضربا غير مبرح ولا شاين والامور الثلاثة مرتبة
ينبغى ان يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى
فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب
كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت
ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سياتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن
ازواجكم او انه تعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما
خلافا بين المراة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما واضافة
الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل
كقولهم نهارك صايم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام

متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر واصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح
للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب
للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات
البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما
ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول
للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة
بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما
ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله
بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه
ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى
والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال
بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد
او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلم الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق
القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار
وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف
وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر
او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا
يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع
عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون

الناس

الناس بالبخل وقرأ حمزة والكسائى ها هنا وفى الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهى لغة
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم اَحقا بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله
ومن كان كافرا لنعمة بالبخل والاخفا والاية نزلت فى طايفة من اليهود كانوا
يقولون للانصار نصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا
صفة محمد صلعم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين
وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق لا على ما ينبغى
من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون ومن
يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك
وزينه لهم كقوله تع ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه
الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان فى النار
وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اى وما الذى عليهم او
اى تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق فى سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل
بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب
الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة وتنبيه على ان المدعو
الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان
ها هنا والتعليل ثمه وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة
لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب اصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة ويقال لكل
جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم
جزاؤه وان تك حسنة وان يكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او
لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ

ابن كثير ونافع حسنةٌ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير
وابن عامر ويعقوب يضعِّفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده
على سبيل التفضل زائدا على ما وعد اجرا عظيما جزاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه
تابع للاجر مزيد عليه فكيف حال هولاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل
امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقايدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف
مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هولاء
شهيدا تشهد على صدق هولاء الشهداء لعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك مجامع
قواعدهم وقيل هولاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المومنين
لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين
كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اى يود الذين
جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى
بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون
الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال
اى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه
بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم
فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا
نافع وابن عامر تسّوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي
تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر
حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع
مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا
وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت
وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن

قربان الصلاة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد
وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى
وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة **ولا جنبا** عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة
في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث
والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر **الا عابري سبيل** متعلق بقوله ولا جنبا
استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك
اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير
عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها
فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رض
وقال ابو حنيفة رض لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق
حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي
ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه **وان كنتم
مرضى** مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن
الوصول اليه **او على سفر** لا تجدونه فيه **او جاء احد منكم من الغائط** فاحدث بخروج الخارج
من احد السبيلين واصل الغائط الموضع المطمئن من الارض **او لامستم النساء**
او ماسستم بشرتهن بشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل
او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن
الجماع اقل من الملامسة **فلم تجدوا ماء** فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه
كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية
له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث
لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات او بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله
بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر
او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء **فتيمموا صعيدا طيبا**

فامسحوا بوجوهكم وايديكم اى فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت
الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان
يعلق باليد شئ من التراب لقوله فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من
بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد
اسم العضو الى المنكب وما روى انه عليه السلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس
على الوضوء دليل على ان المراد هاهنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا
غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر
اى الم تنظر اليهم او القلب وعدى بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب
حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها
على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلعم وقيل
يأخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل
سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وبما يريدون بكم فاحذروهم
وكفى بالله وليا يلى امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء
تزاد فى فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى من الذين هادوا
بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم
او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته
يحرفون الكلم عن مواضعه اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن
مواضعها التى وضعها الله فيها بازالتها عنها واثبات غيرها فيها او يؤولونها على ما
يشتهون فيميلونها عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع
كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى مدعوا
عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع
كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون غير مفعولا
او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا

انظرنا

انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب
حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع
لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى
ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا فى الدين استهزاء به وسخرية ولو
انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان
خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى
مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم
وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو
الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله م قليل التشكي
للهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب
آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل
ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء او ننكسها الى ورائها
فى الدنيا او فى الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس
فى ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها
فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه
وهى اذرعات الشام يعنى اجلاء بنى النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه
الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن
الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا اصحاب السبت او نمسخهم مثل مسخهم او نلعنهم
على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة
الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان
المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا
قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة

وكان امر الله بايقاع شيء او وعيد او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع
لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم
على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما
دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا
والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم
يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات
الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب
التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج
الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله
فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق
بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق
الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلعم فقالوا هل على هؤلاء
ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما
عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي
من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي
عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل
التزكية نفي ما يستقبح فعلا وقولا ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم
بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل
في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء
عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم الم
تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في
يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد صلعم

وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون
قريشا على محاربة رسول الله صلعم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم
الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل
اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير
فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود وغيره ويقولون
للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم
دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا
يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة
انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما
يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا
بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى
انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا
وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ
فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله صلعم
واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس
كلهم كمالهم ورشدهم فوبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر
الرذائل فكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم
الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا
يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم
ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم
من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم

سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم
من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى
كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب
كما قال ليذوقوا العذاب اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد اخر والعذاب
فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لالة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا
يمتنع عليه ما يريد حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم
على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج
مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودايما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى
النعمة الدايمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل
ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات
وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع
المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى على يده واخذ منه وفتح
فدخل رسول الله صلعم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع
له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر عليا رضى الله عنه بان يرد ويعتذر
اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل اى ان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم
بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم
ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذى يعظكم به فما منصوبة
موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور
به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم
وما تفعلون فى الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول

واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء
والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب
طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تع ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين
وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال
الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول
بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تع
اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص
عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله
وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت
بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب ذلك
ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى
الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى
الطاغوت روي عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلعم ودعاه
المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلعم فحكم لليهودي
فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلعم فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما
فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض
بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق
والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك
لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه
الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تع اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم

واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف
لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد ان الاول غير محسوس
والسد محسوس ويصدون في موقع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة
كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تع بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم
الرضى بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على
يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك
وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن
الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من
النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم
لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل
لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ
منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك
مقتضى شفقة الانبيا وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها
ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي
يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه
في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض
بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول
لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك
كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت
جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص
واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب

تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التايب وان عظم جرمه
ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا
لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا
منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اى فوربك ولا مزيدة لتوكيد القسم لا لتظاهر لا في
قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تع لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك
فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في
انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك
في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان
مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا
من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك
او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا
عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا
الايمان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل
عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا
قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة
لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم
ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية ايضا مما نزلت في شان
المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا
في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال
حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسوال مقدر

١٥٤

كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذن لو ثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب
وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب
الغيب قال عليه السلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها مرافقة
اكرم الخلايق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل
وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل
المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم
تارة بمراقى النظر فى الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج
العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هى عليه ثم الشهداء الذين ادى
بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله
ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته ولك ان تقول
المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او
واقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان
القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشئ
من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة
وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله فى ارضه واما ان يكون بامارات
واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا فى معنى التعجب
ورفيقا نصب على التميز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق
او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى ان ثوبان مولى رسول الله صلعم اتاه
يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بى من وجع غير انى اذا
لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة
فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت

فى

في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك بل فنزلت ذلك اشارة الى
ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم
ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى
الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين
امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما
يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة
جمع ثبة من ثبت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين
جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في
الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن
قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلعم المؤمنين منهم
والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ
وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من
ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن
اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي
اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله
كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير
على معنى من كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا
ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول
من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في
ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن ثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين
تضريبا وحسدا كان لم تكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاته
يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل بعاض الجملة

١٥٥

قال صاحب الكشاف يبيعون في الآية بمعنى يشترون ... يشترون في آية البقرة بمعنى يستبدلون ... يشترون بمعنى يبيعون ... وقال ... بمعنى ... بمعنى يشترون وفي ... اي يستبدلون ... بمعنى ... استعمال اللفظ المشترك في معنييه ... اختلف فيه العلماء

بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله تعالى يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة

على نبيه صلعم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى
صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان
اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما
عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر
مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد
الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف
لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل
لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلاة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم
كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ منهم
صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر
او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد
خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب
ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية
منه على الفرض اللهم الا ان تجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون
الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا
عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ~~ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله~~ ولكن قالوه
في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن
اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من
اجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا
يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها

قوله وقع موقع المصدر على ان
يكون صفة مصدر محذوف اي يخشون
الناس خشية مثل خشية الله والتقدير فريق منهم يخشون الناس
خشية هي كخشية الله وان وقع موقع الحال من فاعل يخشون
يكون المعنى يخشون الناس في حال كونهم مثل اهل خشية او في حال كونهم
اشد خشية من اهل خشية الله فقوله كخشية الله سواء جعل صفة لمصدر محذوف
او حالا من فاعل يخشون يكون في محل النصب وعلى الثاني يكون قوله او اشد
خشية معطوفا على قوله كخشية الله حالا مثله من فاعل يخشون بخلاف ما اذا جعل
قوله كخشية الله واقعا موقع المصدر فان قوله او اشد خشية ح لا يكون معطوفا
على قوله كخشية الله لان المعطوف عليه اذا وقع موقع المصدر يكون المعطوف ايضا واقعا
موقعه ويكون ايضا خشية وقوله او اشد خشية لا يصح ان يكون صفة للخشية واقعا
موقعها كائنا من جنسها لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده على التمييز لا يكون ما بعده
من جنس افعل اي من جنس الموصوف بافعل فاذا قلت خشي فلان اشد خشية بنصب
خشية يكون اشد منصوبا على انه حال من فلان الخاشي وعبارة عنه ولا يجوز ان يكون
منصوبا على انه صفة لمصدر محذوف وهو الخشية لاستلزامه ان يكون اشد عبارة
عن الخشية ويكون للخشية خشية اخرى بحكم ان مميز افعل لا يكون من جنس صاحب افعل
بل يكون امرا مغايرا لها ومن المعلوم ان الخشية ليس لها خشية اخرى فلا يجوز ان
يكون واشد منصوبا بالعطف على ما هو في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف
شيخ زاده

او على انه كلام مبتدأ وأينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم فى بروج مشيدة فى قصور
اوحصون مرفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا
ظهرت وقرئ مشيدة وصفالها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة
من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان
على النعمة والبلية وهما المراد فى الاية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله تع
وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشومك كما قالت اليهود منذ
دخل محمد صلى الله عليه وسلم المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض
حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن
فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله تع او حديثا ما كبهائم لا افهام
لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيه فيعلموا ان القابض والباسط هو الله
ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله اى تفضلا منه فان كل ما يفعله
الانسان من الطاعة لا يكافى نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه السلم
ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة
من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاجتلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله تع كل
من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان والسيئة امتحان
مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى
الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفوا الله اكثر والآيتان
كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد
ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك
الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فى زور كلام
وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله
لانه فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روى انه عليه السلم قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله

اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اى امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذى تقول اى زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما من المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحائفهم للمجازاة او جملة ما يوحى اليك لنطلعك على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله فى الامور كلها سيما فى شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القران يتاملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ ولو كان من عند غير الله اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن والخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلعم او اخبرهم الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول

والى اولى الامر منهم الى رايه والى راى كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه على اى وجه
يذكره الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون
اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى
الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه
من الرسول واولى الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط
وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال
الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه
بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك
وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم
الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله تعالى ناصرك لا الجنود روى انه عليه الصلوة والسلام
دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون
لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اى لا نكلفك
الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك
في شأنهم الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعنى قريشا وقد فعل بان القى
في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم
وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها
عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء للمسلم قال عليه الصلوة والسلام
من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها
وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها
محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا
مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال ، وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت
على اساءته مقيتا ، او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه

واذا

واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه فى السلام ويدل على وجوب
الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهى النهاية
واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين
ما قال الله تع وتلا الاية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك
لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل والترديد
بين ان يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى تمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث
السلام مشروع فلا يرد فى الخطبة وقراءة القران وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها
والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء
بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب
او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى رضى الله عنه ان الله كان على كل شئ حسيبا
يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيامة اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او مفضين اليه او
فى يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيامة والقيامة كالطلاب والطلابة وهى
قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه فى اليوم او الجمع فهو حال من اليوم
او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا
منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم فى
المنافقين فما لكم تفرقتم فى امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم
وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلعم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة
فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم
وقيل نزلت فى المتخلفين يوم احد او فى قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة
والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها

ما كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير
اى فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقرأ حمزة والكسائي باشمام
الصاد الزاى والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم الى النار
واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا
ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو كان
نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم
حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما
امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى
جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم
عاهدوكم ويفارقون محاربيكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلوة والسلام
وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن
لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة
اى او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور باخذهم وقتلهم
من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة
قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم
وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف
حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات
او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج
جاؤا رسول الله صلعم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم

وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم
يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان
يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا
الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والى
قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا
اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفى التعرض واولئكم جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم ووضوح
كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم فى قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له
وليس من شأنه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال
او المفعول له اى لا يقتله فى شىء من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او
على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء
منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص
او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار
مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة
والآية نزلت فى عياش بن ابى ربيعة اخى ابى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان
قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه
تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق الكريم من الشىء ومنه حر الوجه لاكرم موضع
منه سمى به لان الكرم فى الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس
مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله صلعم
يأمرنى ان اورث امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن

فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو
عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلعم كل معروف صدقة وهو متعلق
بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه
فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو
لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة اي ان كان المومن المقتول من قوم كفار محاربين او هو
في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة
بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة
الى اهله وتحرير رقبة مومنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة
فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا
او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام
شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له
اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب الله
عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله
صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مومنا متعمدا
فجزاوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد
العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المومن عمدا ولعله اراد به التشديد
اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تع واني لغفار لمن
تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويويده انه
نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله
فامرهم رسول الله صلعم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله
ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة
على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم
في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا

تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين هنا وفي الحجرات من التثبت ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلعم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلعم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة

بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب
القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد
السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل
ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله
الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل
المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر
لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة
على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز
ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت
عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ
فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة
والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع
منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون
الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار
والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلوة والسلم رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين
توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى
ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي
انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة
اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم
في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا
به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة

تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفا فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعايد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفى الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلعم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلوات الله وسلامه عليهما الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثنا منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنها او عن المكنى فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتدا السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على رغم
اى هو اسم مكان يتحول اليه او يسلكه
انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة فى الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله وألحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع

عليه رسولك فمات واذا ضربتم فى الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم فى
السفر وان عائشة رضى الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلعم وقالت يا رسول الله قصرتَ
واتممتُ وصمتَ وافطرتُ فقال احسنتِ يا عائشة واوجبه ابو حنيفة رضى الله عنه لقول عمر
رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رضى الله عنها
اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر وظاهرهما
يخالف الاية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لا ينفى جواز الزيادة
فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتى السفر
قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب نفوسهم واقل
سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابى حنيفة وقرئ تُقصِروا من اقصر بمعنى قصر
ومن الصلاة صفة محذوف اى شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة
من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
شرطية باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر فى قوله تعالى
فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن
على جوازه ايضا فى حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة
ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة تعلق
بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول
كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم
معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو
وليأخذوا اسلحتهم اى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة
الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعنى المصلين فليكونوا اى غير المصلين من ورائكم
يحرسونكم يعنى النبى ومن يصلى معه فغلب المخاطبون على الغايب ولتأت طائفة اخرى
لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلى مرتين

بكل طائفة مرة كما فعل صلعم ببطن نخل وان ربد ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة
ركعتين فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا
الى وجه العدو وتاتى الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم
ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلعم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلى بالاولى ركعة
ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتاتى الاخرى فيصلى معه ركعة ويتم الامام صلاته ثم تعود
الى وجه العدو وتاتى الاولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتاتى
الاخرى فتؤدى الركعة بقراءة وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن
بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظيره قوله تع والذين تبوؤا الدار
والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة
واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان
ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان
تضعوا اسلحتكم رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا
مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ
الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر
على الكفار بعد الامر بالحزم لتتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم
وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا
على الله تع فاذا قضيتم الصلاة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها
كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا
اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلاة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها
واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات
لا يجوز اخراجها عن اوقاتها فى شىء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة
وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن

١٦١

صفة صلوة الخوف عند الحنفية

وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب
الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم
من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان تكونوا
ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون
ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان
الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في
جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق
حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود
فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلعم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا
ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلعم ان يفعل بما اراك الله
بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن
للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله
كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان
وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة
وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه ان الله
لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة
هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط عليه الحائط فقتله يستخفون من الناس
يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو
معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون
يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة

الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شئ ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم
عنهم في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذاب الله
ومن يعمل سوا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد
بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله
بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة
والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله وان
اساتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة
صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا
ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البرئ وتبرئة النفس
الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الاخر ولولا
فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي لهمت طائفة منهم من بني ظفر
ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه
الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد
وباله عليهم وما يضرونك من شئ فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا
منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شئ في موضع النصب على المصدر اي شيئا
من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات
الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل
اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم لقوله تع واذ هم نجوى او
من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى
من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل
وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح
بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف

نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامور ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر في
زمرة الخير كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من
حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان
من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على
حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا وقرا حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء ومن يشاقق
الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر من بعد ما تبين له
قبل الاسرار وظهر له الحق فيما حكم به النبي صلعم وذكر غير ما هم عليه اشارة الى ان السبيل كناية
الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من
اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره
ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والاية تدل
على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين
وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال
من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها
غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك
اتباع سبيلهم ممن عرفه اتباع غير سبيلهم وتحقيقه في مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله
صلعم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت
به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله
هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها
عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة
اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون
من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه
انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكرنا فانه يتيمن فانه شديد

ومن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصينا الكلام فيه

الاثم لبيد صرورة فانه عني الفراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او
لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تع
ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن
حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم
وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ
انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل
وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة وان يدعون
وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها
فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب
للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية
للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا
جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا
على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل
فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا
غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول
انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا
عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن
والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة
فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء
ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب
ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت
العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا
بالفعل او القوة ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج

فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك
وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله تع التي هي الاسلام واستعمال الجوارح
والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء
مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان
نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على
ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس
ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما
يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر
الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا
ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان
جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق
ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني
مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا
جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه
بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا
باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني
ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم
النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل
عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان

الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او اجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر
فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء
قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه
اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات
بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في
موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او
انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور
تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص
شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي
ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر
يدخلون الجنة هنا وفي غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل
وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة
البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة
لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او
من الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة
الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة
من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين
يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او
من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب
في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابراهيم عليه السلم

بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه
لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء
لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروه ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت
سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلم فاشتم
رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى
الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار
منها من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل
السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا
احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك
في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبى صلعم فقال اخبرنا
انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال
ويحوز الغنيمة فقال عليه السلم كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه
فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره
في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله تعالى
الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغنانى زيد وعطاؤه او استيناف معترض
لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز
ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى
عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى
النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من
فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك
في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على
ايامى فقلبت همزته ياء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث
وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا

يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعاً في ميراثهن

واكلوا ويحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة

في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء

والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا

عطف عليه اى يفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما

فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا

باضمار فعل اى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا

حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد

لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة

فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعاً

لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما

صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون

ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به

وظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف

وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة

ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو

اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول

للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها

حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل

يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة

وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة

خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها

الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا

بين النسا لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلعم يقسم بين نسايه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلعم من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلوة من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصايص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشا يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به

وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلعم من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزل ضرب رسول الله صلعم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل

اثبتوا على الايمان بذلك وودوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما امنتم بلسانكم او آمنوا
ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب بالاول القرآن
والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي أنزل بفتح النون والهمزة
وكسر الزاي ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر
بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان
الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد
عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم او قوما تكرر منهم الارتداد
ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت
بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم
ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر
لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا
في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر
على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون
عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه
وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة
اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ عاصم نزل فالقائم مقام فاعله
ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان
من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير
مرجو ويؤيد الغائر وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها

انكم اذاً مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر
ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا
منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني
القاعدين والمقعود معهم واذاً ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر
بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ
بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم
ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكا
او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن
معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا في ما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب
فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم
فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة
فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم
وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا في ما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر
الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله
يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ
او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم
والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون
اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره
على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين
والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يراءيه
عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضر
من يراه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب

وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك

حال من واو يراءون كقوله ولا يذكرون اى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون

او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل

الشئ مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون

قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال

المعجمة بمعنى اخذوا تارة فى دبرة وهى الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين

الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل

الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله

له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين

فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم

سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه

ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار هو الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك

لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله

عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب

واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها

السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء

وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا

يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم فى

حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون

بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم فى الدارين وسوف يؤت الله

المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفى

به غيظا او يدفع ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضر وانما يعاقب

المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر

ونفى

ونفى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر
شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي
الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه
فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء
منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما
بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء
لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه
قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم
اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على
مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض
الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين
الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله
وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في
الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في
الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى
هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد
وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف نؤتيهم اجورهم
الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر
وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم
رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء

نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام
وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التورية او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله
فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد
سألوا موسى عليه السلام اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا
آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا
عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة
او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم
بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها
وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز
حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا
ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور
مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان
موسى وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في
زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال
وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان واخذنا منهم
ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا
ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف
ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم
لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من
صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في
كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا

البه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر
في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا
لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او
على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون
تكرير ذلك الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم
على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله
اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان
يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة
وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم
يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه
فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب
وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله عليه شبهه فلما
خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان
النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه
المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى
الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول
من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة
انا قتلنا على ان ثمه مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك
الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون
فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن
صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء رفع الى السماء وقال بعضهم صلب
الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يتر

الحظ فيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من
علم الا اتباع الظن استثناء اى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم
بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه
يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه
يقينا كقوله كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت
الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات
لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته اى وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن
جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود
والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق
روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا
في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا
اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به
اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد
من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة
حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات
ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة
يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله
فبظلم من الذين هادوا اى فباى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما
ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او
صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا
وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن

لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام رض واصحابه والمؤمنون اى منهم او من المهاجرين
والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلاة نصب على
المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبيا اى
يؤمنون بالكتب وبالانبيا وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على
انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفع لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون
بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبيا والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع
لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل
الصالح وقرا حمزة سيؤتيهم بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره
في الوحي كسائر الانبيا واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما
لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقون اشراف الانبياء ومشاهيرهم
وآتينا داود زبورا وقرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب
بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اى من قبل
هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى
مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلعم بان اعطاه مثل ما
اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او
على الحال ويكون رسلا موطيا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم
وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات
المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين
وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر
وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريد حكيما فيما دبر من امر النبوة

وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسوال الكتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد النبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال عن الفاعل وعلى الثالث حال عن المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هولاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا صلعم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك وعليه يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فامنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمها الا فيما لا بد منه ولانه يودي الى حذف الشرط وجوابه وان

تكفروا فان لله ما فى السموات والارض يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لا يتضرر بكفركم
كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو يعم ما
اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فى تدبيرها يا اهل الكتاب
لا تغلوا فى دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير
رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق
لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو
روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحا لانه كان
يحيى الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اى الآلهة ثلاثة الله
والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله
او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون
بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما
سبق انما الله اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد
اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما
فى السموات وما فى الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله
وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه
قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح
لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كى لا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله
من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية
نقله الواحدى رحمه الله فى اسباب النزول عن الكلبى رحمه الله
غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلعم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم
قالوا عيسى قال واى شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون
عبدا لله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة
المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساق

لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف
اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه
وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها
بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح
~~الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا~~
مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين
حول العرش ومن اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبيا وذلك لا يستلزم
فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث
لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين
استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال
فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم
والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اى قد جاءكم
دلايل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله
صلعم فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه ثواب قدر بازاء
ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زايد عليه ويهديهم
اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق
الجنة فى الآخرة يستفتونك اى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روى ان جابر
ابن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلعم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى
مالى فنزلت وهى اخر ما نزل فى الاحكام قل الله يفتيكم فى الكلالة سبق تفسيرها

فى اوايل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال عن المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اى المرء يرث اختها ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم فى الكلالة ان فسرت بالميت وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفايدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اى يبين لكم ضلالكم الذى من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شىء عليم فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات عن النبى صلعم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرى من الشرك وكان فى مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المايدة مدنية وهى مائة وثلاث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التى عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب

احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها
الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية
والحق بها الظبا وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوها مما يماثل الانعام في الاجترار
وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى
عليكم لقوله تعالى حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير
في لكم وقيل من واوفوا وقيل استثنا وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول
وانتم حرم حال عما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد
من تحليل وتحريم يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة
وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج
واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها
لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه وبالنسئ ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع
هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها
على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها
مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع
جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل ولحاء شجر وغيرهما ليعلم به انه هدي
فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في امين وليست صفة له لانه
عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه
والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ
روي ان الاية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب
انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية
منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد
بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الاتي بعد الحظر

على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفا على القا حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا
واحللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم
وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسماعيل
عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت
بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم
عند عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن
جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد
والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم اليا جعله منقولا من المتعدي الى مفعول
وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب
فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير
تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه
في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم
باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة
بنحو خشب او حجر حتى تموت والموقوذة من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت
من علو او في بير فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل
السبع وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته
لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الا
مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما
ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت
يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على
اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان
تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا

قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني
ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه
وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم
يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد
الازلام زلم كجمل ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول
في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي
الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم
اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية
وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين
كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من
ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية
لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص
على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت
عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية
ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير
فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان
تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى
فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم
غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى
القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان
يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم
كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه

الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا
قياس على حرمته **وما علمتم من الجوارح** عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على
تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح
كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير **مكلبين** معلمين اياه
الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب
يكون اكثر فيه وآثر اولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وانتصابه على الحال من علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم **تعلمونهن** حال ثانية
او استيناف **مما علمكم الله** من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام
من الله تع او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع
الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد
ولا ياكل منه **فكلوا مما امسكن عليكم** وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي
ابن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال
بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون
لا يشترط مطلقا **واذكروا اسم الله عليه** الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند
ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته **واتقوا الله** في محارمه
ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق **اليوم احل لكم الطيبات وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم** يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود
والنصارى واستثنى علي رض نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية
ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم
في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم
ولا آكلي ذبايحهم **وطعامكم حل لهم** فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو
حرم عليهم لم يجز ذلك **والمحصنات من المؤمنات** اي الحرائر العفايف وتخصيصهن
بعث على ما هو الاولى **والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** وان كن حربيات

وقال ابن عباس لا تحل المحصنات اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها
لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء
بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنى ولا متخذى اخدان مسرين به والخدن
الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الاخرة
من الخاسرين يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا
ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة اى اذا اردتم القيام كقوله تع فاذا قرأت القرا
فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على
ان من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة
او اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشئ والقيام اليه قصد له وظاهر الاية
يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى
انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رض صنعت شيئا لم تكن تصنعه
فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين
وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام
المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم
امروا الماء عليها ولا حاجة له الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور
على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم
او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى مرافقكم ولو كان كذلك لم يبق
لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى يفيد الغاية
مطلقا واما دخولها فى الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من
خارج ولم يكن فى الاية وكان الايدى متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى
من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة
وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها
احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت

المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل
والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا
رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى
اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رض مسح ربع الراس لانه عليه السلام
مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رض مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى
الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده
السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الامة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره
الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القران والشعر كقوله تع عذاب يوم اليم وحور
عين بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك
وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من
المسح وفى الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم
مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم
من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام فى بيان انواع الطهارة ما
يريد الله ليجعل عليكم من حرج اى ما يريد بالامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا
عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير
للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد فى الموضعين محذوف
واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم
فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته
عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين او ليتم
برخصه انعامه عليكم بعزايمه لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها
مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب
باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان التهما مايع وجامد

وموجبه ما احدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلعم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين رأوا رسول الله صلعم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والآية اشارة الى ذلك او الى ما روي انه عليه السلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين

فتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك
ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله
يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلعم منزلا وعلق سلاحه بشجرة
وتفرق الناس عنه فجآءه اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه
جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمد رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك
يقال بسط اليه يده اذا بطش به ~~وبسط اليه يده اذا بطش به~~ وبسط اليه لسانه اذا
شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم وردّ مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى
الله فليتوكل المومنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه
ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفا بما امروا به روى ان بني اسرائيل لما فرغوا
من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحاء ارض الشام وكان
يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفا بما
امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان
بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا
شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن
نون من سبط افرآيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة وآتيتم
الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير
واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول
لاكفرن عنكم سياتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب
الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط
المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا

هذ ره بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما
نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا
قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة
قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة
فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن
مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء
عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا
وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلعم والمعنى انهم
حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها
فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روى ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم
بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او
خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم
لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل الاستثناء
من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وامنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر
بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو
عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى
ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا
وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة
الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية
ويعقوبية وملكائية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس

قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلعم واية
الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر
به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح
الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلعم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما
واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام
طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من
انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم
طريق هو اقرب الطرق الى الله تع ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم
ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب
اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لعقيدتهم قل فمن يملك من الله شيئا
فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في
الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء
كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض
وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في
امره والمعنى انه تع قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن
اصل كخلق ما بينهما وينشئ من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه
اما من ذكر وحده كما خلق حواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون
او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة
ال عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا
المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم

انه سيعذبكم بالنار اياماً معدودة بل انتم بشر ممن خلق من خلقه الله يغفر لمن يشاء
وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس
لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقاً وملكاً له
واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر
مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبيناً
لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من
الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا
ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جاءنا
فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى
اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى
ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء
ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم
بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكون اليه واذ قال موسى لقومه
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث
في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكاً اي وجعل منكم او فيكم
وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل
لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم
سماهم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت احداً من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء
ومسكن المومنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل
الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون مسكناً لكم ولكن ان

آمنتم والطعتم لقولهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا
ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا
ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا من دينكم
بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا
الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين
لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس
على ما يريد وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا
طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اى يخافون الله ويتقونه
وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع
الى الموصول محذوف اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون
بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون
من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة
ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اى باغتوهم وضاغطوهم
فى المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم
فى المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما
بذلك من اخبار موسى عليه السلام وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تع فى نصر
رسله وما عهدا من صنعه لموسى فى قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
اى مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على
التاكيد والتأبيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا
انا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل
تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب انى لا املك الا نفسى واخى قاله شكوى
بثه وحزنه الى الله تع لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون
عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه

ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي
او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين
عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما
نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال
فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم
اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا
غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روى ان موسى عليه السلام
سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحاء واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض
في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة
فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون
اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل
الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة
اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المسا
فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل
فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان
موسى وهارون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما
وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هارون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا
بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين
خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم
نبا ابني ادم قابيل وهابيل اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الاخر فسخط
منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد
بهما ابني ادم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على

بالحق

بالحق صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير فى اتل او من
نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبا او حال
منه او بدل على حذف مضاف اى اتل عليهم نباهما نبا ذلك الوقت والقربان اسم ما
يتقرب بها الى الله تع من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اى يعطى
وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا
قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردا قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا
فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية فى قربانه
وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه
ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين فى جوابه اى انما اتيت من قبل نفسك بترك
التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من
تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما
يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما
انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى
منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو
الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال
ما انا بباسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان
يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفى بالباء انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون
من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة
والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسطك
يدك الى ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى
باثم قتلى وباثمك الذى لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال اى ترجع
ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام
الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لى فالمراد بالذات ان لا

يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة
فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت
على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله
لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ
بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه
كيف يواري سوأة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول
ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره
ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير
في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما
يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى
يا ويلتي احضري فهذا اوانك فالويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل
هذا الغراب فاواري سوأة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري
عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ
بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين
على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه
للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله
ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ
عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل
ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا
اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته
اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء
الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص

او فساد فى الارض او بغير فساد فيها بالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء فى استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون اى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهما محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت فى مصر ويسعون فى الارض فسادا اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون فى الارض فسادا ان يقتلوا اى من غير صلب قصاصا ان افردوا القتل او يصلبوا اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف فى انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رض النفى بالحبس واو فى الاية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق ذلك لهم خزى فى الدنيا ذل وفضيحة ولهم فى الاخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تع ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على

بعد القدرة لا تسقط الحدود ان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان

توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله

وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات

وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة

وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله

والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال ومثله

معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه

لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجراء

مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما

تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل

لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان

يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما

قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا

ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما

وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق

والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار

وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ

ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف

في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد

بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى

كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك

ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر

بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على

فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي
عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم
يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه
حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي او لكل احد
يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة اتباعا على
ترتيب ما سبق او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر اي صنع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا
وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين
والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا
عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون
والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين
خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او
لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول
محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم ياتوك
اي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في
البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم
وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي
سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه
في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه
او استئنافا لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان
لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان

شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط
منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلعم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم
فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم
وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم
واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من
احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر
رسول الله صلعم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته
وفضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا فى دفعها اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة
لهم فى الدنيا خزى هوان بالجزية والخوف عن المؤمنين ولهم فى الآخرة عذاب عظيم
وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا
فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اى الحرام كالرشى من سحته
اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب
فى المواضع الثلثة بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ
المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلعم اذا تحاكموا
اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم
وهو قول الشافعى رض والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا
لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة
رضى الله عنه يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك
لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل
الذى امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك
وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص
عليه فى الكتاب الذى عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة

الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله فى زعمهم وفيها
حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن
فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المونث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك
ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل
فى حكم التعجب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او
بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدى الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام
يحكم بها النبيون يعنى انبياء بنى اسرائيل وموسى من بعده ان قلنا شرع من قبلنا
شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين
مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء
واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم
وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون
طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم
بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين
وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل
ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهى للحكام ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم
ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتى ولا تستبدلوا باحكامى
التى انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به
منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم
بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وفسقهم بالخروج عنه وظلمهم بالحكم
على خلافه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت
الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه فى المسلمين لاتصالها
بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى وكتبنا عليهم
وفرضنا على اليهود فيها فى التورية ان النفس بالنفس اى ان النفس تقتل بالنفس

والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي
على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس
بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستأنفة ومعناها
وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن
والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس
وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرأ
نافع والاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع والجروح قصاص اي
ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على
انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه
فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه
وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها
شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون
وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور
عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا
لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع
النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله
وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف
او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى
الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة
بالامر كقولك امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتملة على
الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها
على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر وانزلنا

اليك الكتاب بالحق اى القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة
فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير
ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هو من عليه وحوفظ من التحريف
والحافظ هو الله تعالى او الحفاظ فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك
ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع
لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم
ايها الناس شرعة شريعة وهى الطريق الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب
الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح
واستدل به على انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء
محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه
ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرايع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها
مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون
فى العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق
والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد
ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء
الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف
على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم
ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك
عن بعض ما انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل
الاشتمال اى احذرهم فتنتهم ~~بدل الاشتمال اى احذرهم~~ او مفعول له اى احذرهم مخافة
ان يفتنوك • روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه
فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم

وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم فتقضي لنا عليهم لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك
فابى ذلك رسول الله صلعم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما
يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها
على ان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم
كما في التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون
لمتمردون في الكفر المعتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة
في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني
قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلعم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية
من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف
حذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير
الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم
وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله
حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون
ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا
عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي
اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم
على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم
وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلم لا تراءى ناراهما او لان الموالين لهم
كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار
او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه
يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
ويعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر

وتكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلعم ان لي موالي
من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال
ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية مواليّ فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح
لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل
والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقون
على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول
فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة
والكسائي على انه كلام مبتدأ وبدون واو قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير
واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابي عمرو
ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى فكأنه قال عسى ان يأتي الله بالفتح
الذين آمنوا او يجعل بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من
الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان
بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون
بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه
لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم
وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا
بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ
كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما
من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين
آمنوا من يرتدد منكم عن دينه قراءة على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام
والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد
ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلعم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم
ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي

قوله ذو الحمار كان له حمار يقول له قف فيقف وسر فيسير وكان ينبي بعض الامور على الحمار وكانت النساء
يتعطرن بروث حماره وقيل يعقدن روثه بخرقهن فسمي ذو الحمار بالحاء المعجمة والعنسي بفتح العين وسكون
النون منسوب الى عنس وهو يزيد بن مذحج بن ادد بن زيد بن يشجب كذا ذكره المحقق التفتازاني
وفي القاموس كان له حمار اسود معلم يقول له اسجد لربك فيسجد له ويقول ابرك فيبرك وعنس
لقب يزيد بن مالك بن ادد ابو قبيلة من اليمن عصام

ليلة قبض رسول الله صلعم من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر

في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة

رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب

من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من

عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو

اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلعم خالدا فهرب بعد القتال

الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة ابن حصين

وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك

بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث

ابن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر

غسان قوم جبلة بن الايهم تنصروا وساروا الى الشام فسوف يأت الله بقوم يحبهم

ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل

الفرس لانه عليه السلم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل

الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة

الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم

ومحبة الله تع للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في

الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين

عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على

اما لتضمين معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين

خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه

وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من

الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون

بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف

المنافقين فانهم يرجون في جيش المسلمين خايفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون
شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك
اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل
عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه
من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة
ولرسوله وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا
فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون
في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اى يؤتون الزكاة في حال ركوعهم
في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رض حين ساله سائل وهو راكع
في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي
للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر
وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا
يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة
ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون
اى فانهم هم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكانه
قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما
لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل
الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد
وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد
رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من
هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار
على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق

على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن
موالاة من ليس على الحق راساً سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب
كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان
حقاً يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلاة
اتخذوها هزواً ولعباً اي اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع
للصلاة روي ان نصرانياً بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمداً رسول الله
قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها في
البيت فاحترق هو واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق
والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون
يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة
الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان
اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي
ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل
واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان
بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان
آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون
ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم
ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله
صلعم عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين
سمعوا ذكر عيسى لا نعلم ديناً شراً من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك الذي
المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتاً عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر
فوضعت هنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن
بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف

مضاف اى بشر من ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف
اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى
بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار
اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم
خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول
ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم
وقرأ عابد الطاغوت وعبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت
على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن
قرأ عبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل
من اطاعوه فى معصية الله وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء
والباقون بفتح الباء ونصب التاء اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل
مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن
سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد
من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال
واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلعم او فى عامة المنافقين
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم
ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلى دخلوا
وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا
لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه
ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا
منهم اى من اليهود او المنافقين يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله
عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما
يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر

للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن
قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي
افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ
من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروٍ
وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية
لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم
وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل
والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك
كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده • ونظيره من المجاز
المركب شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد
او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى
النار في الاخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله
دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود
فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى
ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو
مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب
سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف
اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن
عازوراء فانه قال ذلك ولما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا
صلعم واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون
من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم

ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء
في الشناعة واستجلاب العقاب وقرا نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء
والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة
لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلعم
بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن
لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلعم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم
فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل
ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان
من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به
ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
ومن اقامتها الايمان بمحمد صلعم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها
آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها
وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم
فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون
رفع على الابتدا وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا
والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب
وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه
لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح
منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى
معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا
وانت بما عندك راض والراي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط

قوله وانما جي بيقتلون موضع قتلوا الخ يعني ان
كذبوا على اصله وعدل في تقتلون الى المضارع لقصد
الاستحضار ولم يقصد الزمخشري وجه الاستمرار الذي ذكره
هناك وهو انهم بعد يحومون حول قتل محمد صلعم لان هذا اخبر عن
اسلافهم وانما يستقيم ذلك في المخاطبين كما في تلك الاية
ولم يقصد ذلك في التكذيب لمزيد الاهتمام بالقتل ثم
ذكر الاستمرار وادخل المخاطبين فيه لان ما صدر عن
اسلافهم كانه صدر منهم لانه تعضانهم واقتفائهم اثرهم ولا
منافاة بين استحضار الحال الماضية والاستمرار لانه
لما قدر انه شوهد تلك الحال واستمرارها فيهم عبر عنها
بالمضارع لذلك فلا يقال الظاهر او تنبيها للمنافاة
بينهما لكن الظاهر المغايرة بينهما لان المراد اما حكاية الحال
الماضية او الاستمرار اي فريقا تقتلون بعد لانكم
حول محمد صلعم واقتصر العلامة هنا على حكاية حال اسلافهم
لقرينة ضماير الغيبة وترك تلك الاية على الاحتمالين
لقرينة ضماير المخاطبين ليكون توبيخا وتعبير الحاضرين
بفعل ابائهم ولذا عقب هذه الاية بقصة عيسى صلعم قتلا

بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر انّ معًا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل انّ بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتدا وقيل والصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوّز بالياء جوّز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتدا وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر انّ او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اى من آمن منهم او النصب على البدل من اسم انّ وما عطف عليه وقرئ والصابيين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جئ بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية فعلوا استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة اى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على انّ ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او انّ بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن سماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله تعالى عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله

بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الافعال فقد حرم
الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه
النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار
وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق
الحق ويحتمل ان يكون تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله نبه على انهم قالوا
ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية
منهم والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين
بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من
حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة
ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى
وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من
دام على الكفر ولم ينقطع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد
والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم
يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن
مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات
كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصى وجعلها حية تسعى
على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب فقد خلق آدم من
غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن

الانبياء

الانبيا كانا ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما
من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم
نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكاينة
الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر
كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يوفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله
وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للايات عجيب واعراضهم عنها اعجب قل
اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى ع وهو وان ملك
ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصايب
وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطية لنفي
القدرة راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة
فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو
السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا
اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا
له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا
تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وايمتهم الذين ضلوا قبل مبعث
محمد صلعم في شريعتهم واضلوا كثيرا اتباعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل
عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة
الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم
اي لعنهم الله تع في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود
فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا ودعا عليهم عيسى ع ولعنهم فاصبحوا خنازير
وكانوا خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي
للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم الله عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه وعن مثل منكر فعلوه وعن منكر

ذلك اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظايره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستانفة واقعة موقع الجواب عما نشا من الكلام كانه قيل باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهايل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل ومبني عنه قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مفيد لعبارته لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الاخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي وتعلق النهي به لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما تعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المضي المعتبر في الصيغة انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين اولا تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى

من تفسير ابي السعود رحمه الله

ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع
لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل
الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلعم والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة ان سخط
الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله
والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لان
كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت
الاية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان
يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم
لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف
كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق
وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين
قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم
بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع
والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون
وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم
عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم
من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية
لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم
فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين
من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة

وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع
الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير
والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته
فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة
وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها
عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول
فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع
روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلعم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر
ابن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ
عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين
رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلعم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر
وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين
بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث
على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله
بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد
به ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل
وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلعم وصف القيامة
لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا
على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك

ولا يقربوا النسآء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبّوا

مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال لهم اني لم أومر بذلك ان لانفسكم

عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل

اللحم والدسم وآتي النسآء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالاً

طيباً اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالاً مفعول كلوا ومما

حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون مفعولاً وحلالاً حالا عن الموصول

او العايد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام

لم يكن لذكر الحلال فايدة زايدة واتقوا الله الذي انتم به مومنون لا يؤاخذكم الله

باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه

ذهب الشافعي رض وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رح

وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم

الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا

حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم

عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته

فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير

بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافاً للحنفية لقوله عم من حلف على يمين وراى غيرها

خيراً منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط

ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف

صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة

مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون

وقرئ اهاليكم بسكون اليآء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع

اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف

على طعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص و

ردآء وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة فى قدوة وكاسوتهم بمعنى كمثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى
محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط
الشافعى رح فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث
مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين فمن لم يجد اى واحدا منها فصيام ثلاثة ايام
فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رض فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات
والشواذ ليس بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اى المذكور كفارة ايمانكم
اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او
بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اى
مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرايعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او
نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها
فى اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات
محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه
مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطى لعلكم
تفلحون لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تع اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الاية
بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان
على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه
الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم
فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلاة واغلظهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على
انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة
والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم

قوله وجعله سببا يرجى منه الفلاح ضمير جعله للاجتناب
والسببية من لعل لانها بمعنى كى ووجه المبالغة فيه باعتبار ظاهر
الترجى وافادته انه ذنب عظيم بعد ارتكابه لا يقطع بالفلاح
بمجرد الاقلاع عنه بل يرجى له ذلك

والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحفظا للنفس عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات صونا لها عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه

[illegible] بقول ابن عباس [illegible] وقال ابو يوسف [illegible] محمد بن الحسن [illegible] وقال ابو حنيفة [illegible] نصف صاع [illegible]

[illegible]

فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك
الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا
يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون
الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام
خمس يقتلن في الحل والحرم والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور
وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف
في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون
كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه
حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد
والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت في من تعمد
اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء
مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه
جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق
المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرا الباقون على اضافة
المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل
ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل
ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة
وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته
وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم
واللفظ للاول وفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من
الضمير في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم
يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه

كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس والامام هديا حال من الجزاء او من جزاء ان نون

لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف

هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة

رضي الله عنه يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان

نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام

وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند

الشافعي رح او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد

فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام

كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل

بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق

متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق وبال امره ثقل فعله وسوء

عاقبته هتكه حرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه

الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم

او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما

يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر

على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه

السلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة رض لا يحل منه الا السمك وقيل يحل

السمك وما يوكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه

اكله متاعا لكم تمتيعا لكم على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم

عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال

وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه

او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه

تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان

على جهة المدح او المفعول الثانى قياما للناس انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل فى فعله ونصبه على المصدر او على الحال والشهر الحرام والهدى والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الحرام الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شىء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد فى ايجاب القيام بما امر اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا فى التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى الخبيث والطيب حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردى من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب فى صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولى الالباب اى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسئلوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشىء على ان اصله

شيئ كهيّن اوشيئ كصديق مخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ورد

عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى

انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله

صلعم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجب ولو وجب لما استطعتم فاتركوني ما

تركتكم فنزلت وقيل اى عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها

والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رض

انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا

أُسأل عن شيئ الا اجبت فقال رجل اين انا قال في النار وقال اخر من ابي قال حذافة

وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك

لم يعد بعن ولا اشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف

الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها

حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام

ردّ وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر

بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان

شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم

وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا

نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى قالوا قد حمى

ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة

وما بعدها ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه

واكثرهم لا يعقلون اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم والامر من الناهي ولكنهم يقلدون

كبارهم وقيل ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء

ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه

اباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان اباؤهم

يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال
اى احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح
بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم اى احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك
نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال
اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من راى منكم
منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل
كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه نفى
ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب والنهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد
المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد
وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد
ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين امنوا شهادة
بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد فى الوصية واضافتها
الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم
الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل
منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان
فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى من
اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او اخران من غيركم عطف على اثنان
ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم
ضربتم فى الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما
تقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله
او اخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة على انه ينبغى ان يشهد اثنان منكم

فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم
ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم اي ارتاب
الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص
القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من اعراض الدنيا اي
لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا
محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله باقامتها وعن
الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف
الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا
وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر
فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان
آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ
حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما
او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة
للذين او بدل منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه
على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين
الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان
المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته
او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع
نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا
بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين

فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين
الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير
الدعوى اذ روى ان تميما الداري وعدي ابن بدا خرجا الى الشام للتجارة وكانا
حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشا
مرض بديل فدون متاعه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما
بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال
منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا
الى رسول الله صلعم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلعم بعد صلاة
العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا
قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله
صلعم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان
وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او
تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما تحملوها من غير
تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين
على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير
لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله
لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين
والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم
يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا
خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة
اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السوال
لتوبيخ قومهم كما ان سوال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم
لنا بما لست تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابونا واظهروا

قوله اي اجابة اجبتم الخ اي ماذا يتعلق بقوله اجبتم على انه مفعول مطلق لكونه بمعنى اي اجابة وماذا كله
استفهام وهذا الوجه ارجح الوجوه ولذا قدمه وتقديره بماذا اجبتم على ان يكون السوال عن الجواب لا الاجابة والتقدير
باي شيء اجبتم فحذف حرف الجر وانتصب ضعيف لان حذف حرف الجر وانتصاب مجروره لا يجوز الا في الضرورة
كقوله تمرون الديار ولم تعوجوا وكذا التقدير مجرورا والمقصود وان كان واحدا في المال لكن الاعتبار والتعبير
مختلف واما تقدير بماذا اجبتم به كما قيل على انه مبتدا والذي خبره واجبتم صلة والعايد محذوف اي به كما قاله العرفي
فضعيف انه لا يجوز حذف العايد المجرور الا اذا جر الموصول بمثل ذلك الحرف الجار واتحد متعلقا بهما كما تقرر في النحو

لنا وما لم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكي عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم

وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة

وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك الموصوف بصفاتك

المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص والندا وقرا ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر

الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك بدل من يوم

يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال

الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طايفة وسموهم

سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك

وهو ظرف لنعمتى او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام

الذى يحيى به الدين او النفس حياة ابدية وتطهر من الاثام ويؤيده قوله تكلم الناس فى

المهد وكهلا اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء

والمعنى الحاق حاله فى الطفولة بحال الكهولة فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على

انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ

تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص

باذنى واذ تخرج الموتى باذنى سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرا نافع

ويعقوب طايرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بنى اسرائيل عنك يعنى

اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا

منهم ان هذا الا سحر مبين اى ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرا حمزة والكسائى

الا ساحر فالاشارة الى عيسى واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على السنة رسلى

ان آمنوا بى وبرسولى يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة قالوا آمنا

واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب

باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع

ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل

هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى
هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي
تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان
اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها
تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال
ان كنتم مومنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعائكم الايمان قالوا نريد
ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها
وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم
ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين
اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم
لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل
العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا
واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روى انها نزلت
يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا
واخرانا بمعنى الامة والطائفة واية عطف على عيدا منك صفة لها اى اية كائنة
منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين
خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله انى منزلها عليكم
اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد فمن يكفر بعد منكم
فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير
للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اى
اى من عالمى زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل
ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت

بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
مثلة وعقوبة ثم قام فتوضا فصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا
ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا
من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي
كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت
تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون
حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا
مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى
دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل
لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان
هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن
حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل
الحال انهم رغبوا في حقايق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصل لكم
الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال
والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تع انه انزله سهل ولكن فيه خطر وخوف
عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له
فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة
اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره

كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كان عبدهما ولم يعبد الله او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر لمضمر او مفعول له مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء كقوله اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزل الايات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب

الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم غير اولى العقل اعلاما بانهم فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبى صلعم من قرا سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

سورة الانعام مكية

غير ست ايات او ثلاث من قوله قل تعالوا وهى مائة وخمس وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمدا او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التصيير التضمين وكذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات

اسبابها والاجرام الحاملة لها أو لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى
واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة
عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى
لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى
ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون
نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشيا اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن
حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد
سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا
البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه
ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون
بربهم الاوثان اى يسوونها به هو الذى خلقكم من طين اى ابتدا خلقكم منه فانه
المادة الاولى وان ادم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف
ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت
والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل
الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل
نكرة خصت بالصفة وكذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك
استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اى
مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا
قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم
وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة
فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى
دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج
اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق

باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية
كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او
ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان
وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير او
شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس
وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية
من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن
الآيات كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا
به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف
يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب
بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من
قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون
وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت
مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والآلات
ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول
المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب
وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا
مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار
فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا
آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود ويخلق مكانهم

اخرين بعد بهم بلاده فقدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في
رق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا
انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز
فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا
انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان
لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا
لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك في من قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل
للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل
عليه ملك وتارة ~~يقولون لولا انزل عليه ملك~~ وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل
ملائكة والمعنى لو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما
مثل جبريل في صورة دحية الكلبي فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك
في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب
محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون
ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة وللبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ
برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم
ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل
بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف
اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض
فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير
للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا
وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير له وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث

لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة
ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب
والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيامة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم
النظر اى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم او فى يوم
القيامة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه
عليكم لا ريب فيه فى اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو
الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اى
وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم
مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد
واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف
على لله ما سكن فى الليل والنهار من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله وسكنتم فى مساكن
الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اى ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين
عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون
وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله
وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه
الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر
حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجره
على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو
يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا
يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو
فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان
الثانى من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط
قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لان النبى سابق امته فى الدين ولا تكونن من المشركين

وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم مبالغة

اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض

بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب

عنه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد

قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه

وذلك الفوز المبين اى الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا

كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شئ

قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله تع فلا راد لفضله

وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى امره

وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شئ اكبر شهادة نزل حين قال قريش

يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة

فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى

سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد

ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تع اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة واوحى

الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف

على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين

او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن

تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون

ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما

هو اله واحد اى بل اشهد ان لا اله الا هو واننى برئ مما تشركون يعنى الاصنام الذين

آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة فى التورية والانجيل كما

يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا

يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة

قوله وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل لما لم يصح عطفه على اكون اذ لا وجه للالتفات ولا معنى لقوله امرت ان لا تكونن اوله بوجهين تقدير قيل لي وعطفه حينئذ على امرت اى قيل لي لا تكونن من المشركين بمعنى امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك فالواو من الحكاية عاطفة للمقول المقدر وقيل انه معطوف على مقول قل على المعنى اذ هو فى معنى قل انى قيل لى كن اول من اسلم ولا تكونن فالواو من المحكى والوجه الذى ذكره المص وهو عطف النهى على قل فامره بان يقول كذا ونهى عن كذا وجه ثالث وقيل على هذا الوجه ان سلاسة النظم تابى عن فصل الخطابات التبليغية بعضها عن بعض بخطاب ليس منها وقيل يجوز ان يعطف على انى امرت داخلا فى حيز قل والخطاب لكل من المشركين ولا يخفى تكلفه وتعسفه قوله والشرط معترض الخ ما تقدم على اداة الشرط شبيه بالجواب معنى فهو دليل عليه وليس اياه خلافا للكوفيين والمبرد ولا يكون الشرط غير ماض الا فى الشعر كما قرره النحاة ولم يخالف فى لزوم مضيه الا بعض الكوفيين والتزم المضى طلبا للتشاكل كيلا يظهر فيه تاثير الاداة ثم ان النحاة صوروه ومثلوه بما اذا تقدم الجزاء بجملته وبما اذا تقدم بعضه عليه كقوله يا بثين عليك ولك اهل ثنائه وادعيه ان هو لست ذكرت مزيدا كما فى شرح التسهيل وما نحن فيه من القبيل الثانى والصحيح عند النحاة انه دليل الجواب والجواب محذوف وجوبا لوجود ما هو قائم مقامه كالاشتغال بدليل عدم جزمه وتصديره بالفاء واحترز بقيد نفيهما تغير التقدم بين الكلام على الجزم ثم طرأ التوقف وفى التأخير بنى الكلام من اوله على التوقف فقوله جوابه محذوف جار على الاصح والتقدير اخاف عذاب يوم عظيم وقيل صرت مستحقا لعذاب ذلك اليوم ثم انه لما كان تعريضا وكان المراد تخويفهم اذا صدر منهم ذلك لم يكن فيه دلالة على انه يخاف هو مع نبوته والعصمة كما لا يتوهم مثله فى قوله لئن اشركت ليحبطن عملك فلا يرد ما قيل ان فيه ابحاثا من وجوه الاول ان الجواب هو اخاف قدم على الشرط فلا حاجة الى تقدير جواب اخر اما عند الكوفية فظ لان جواب الشرط يجوز تقديمه عليه عندهم فهو جواب فى المعنى واللفظ غايته انه لا يجزم ولا يصدر بالفاء لتقدمه واما عند البصرية فهو وان لم يكن جوابا فى اللفظ لكنه جواب فى المعنى ولا يقدر معه جواب اخر للاستغناء عنه بهذا المقدم الثانى انه لا انتظام كان يقال انى اخاف ان عصيت صرت مستحقا للعذاب عذاب يوم عظيم ولو قدر الجزاء بعد مفعول اخاف صار كبيت الفرزدق الثالث انه اعترض ههنا بان الآية دلت على ان النبى صلى الله عليه وسلم يخاف على نفسه الكفر والمعصية وليس كذلك لعصمته عم ثم اجيب بان الخوف معلق بالعصيان الممتنع الوقوع امتناعا عاديا فلا يدل الا على انه يخاف لو صدر عنه الكفر والمعصية وهذا لا يدل على حصول الخوف وهذا الجواب لا يتمشى على ما ذكره المص بل على ما قلنا لانه قال على تقدير العصيان والكفر يكون الجواب هو استحقاق العذاب لا الخوف لانا نقول لا منافاة بينهما فالخوف اما على حقيقته او كناية عن الاستحقاق فتدبر وقيل معنى اخاف خوفه على امته وانت غنى عن هذا كله لما مر تقريره شهاب عليه الرحمة

بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله **او كذب بآياته** كأن كذبوا القرآن والمعجزات
وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ
غاية الافراط في الظلم على النفس **انه** الضمير للشان **لا يفلح الظالمون** فضلا عمن لا احد
اظلم منه **ويوم نحشرهم جميعا** منصوب بمضمر تهويلا للامر **ثم نقول للذين اشركوا**
اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء **الذين**
كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ
ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها
ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم **ثم لم تكن فتنتهم الا**
ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها
من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا
به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم
ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقوله
من كانت امك والباقون بالياء والنصب **والله ربنا ما كنا مشركين** يكذبون ويحلفون
عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا
بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله **انظر كيف كذبوا**
على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير
ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا
بالنصب على النداء او المدح **وضل عنهم ما كانوا يفترون** من الشركاء **ومنهم من يستمع**
اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل
واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلعم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي
جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما
حدثتكم **وجعلنا على قلوبهم اكنة** اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء **ان يفقهوه**
كراهة ان يفقهوه **وفي آذانهم وقرا** يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة

٢٠١

قوله وانما ذكر او لانه عدل عن قول الكشاف جمعوا بين امرين منا فيين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه
وكذبوا ما ثبت بالبرهان الصحيح لما في التناقض من الخفاء وكما فيه من الحجة فالنكتة في العطف باو عنده للتنافي
بينهما وعند المص كون احدهما كافيا في المطلوب والظاهر ان هذا لا ينافي كون او بمعنى الواو لانه يكفيه
للعدول عن الظاهر فتامل **قوله** فضلا عمن لا احد اظلم منه يعني ان ذكر عدم فلاح الظالمين يدل على
ان الاظلم المذكور قبله لا يفلح بالطريق الاولى مع انه اكمل افراده فيدخل فيه دخولا اوليا **قوله**
منصوب بمضمر في اعرابه وجوه منها انه منصوب بمضمر يقدر مؤخرا والتقدير كان كيت وكيت وترك
ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف والتهويل وجوز نصبه باذكر مقدرا وغيره مما فصل في الدر المصون

للتغاير الاعتباري او وجهان لبيان التوبيخ والخلاف في ذلك سهل **قوله** تزعمونهم شركاء اشارة الى ان
المفعولين محذوفان تقديره كما ذكره **والزعم** يستعمل في الباطل والكذب قال ابن عباس رضه كل زعم في القرآن
فهو بمعنى الكذب وخص القرآن لانه يطلق على مجرد الذكر والقول ولكن يستعمل في الشيء الغريب الذي يبقى
عهدته على قائله فحذف المفعولان لانفهامهما من المقام **قوله** ليفقدوها قيل يرد عليه انه حينئذ ينكشف
الحال عندهم ويعلمون انه لا منفعة لهم في آلهتهم بل مضرة فلا احتمال للتفقد وهذا غريب فان تنبيح الكشاف
والقاضي متفقة على ان العبارة ليفقدوها من الفقدان وهو متعلق بيحال بينهم وبينها ليفقدوا فيظهر لهم
فقدانهم اياها في تلك الساعة خيبة ظنهم وخسرانهم في تجارتهم لا من التفقد ليرد عليه ذلك ولو سلم فيجوز
ان يتفقدوها لغاية حيرتهم وفرط دهشتهم فان الغريق يتشبث بكل حشيش لا يجد به نفعا او بمعنى ليتفقدوها
يحمل السؤال على التفقد لاظهار خيبتهم وخسرانهم لا لانهم يتفقدونها ليطلبوا منها الشفاعة مر الشهاب

٢٠١

وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك
يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها
الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين
فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز
ان تكون حتى الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له
والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى
الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به وينأون
عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلعم وينأون عنه فلا يؤمنون
كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره
لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اى لو رايتهم
حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون
مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين
استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى
او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم المتمنى وقوله وانهم
لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على
الجواب باضمار ان بعد الواو واجراءها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف
ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة
الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم
فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا الى الدنيا بعد الوقوف والظهور
لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا
عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه فى
الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ

وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم
او جزائه او عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال
ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب
والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم
النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية
لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع
من المجيء قالوا يا حسرتنا اى تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحياة
الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة يعنى فى شانها والايمان بها وهم
يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون بئس
شيئا يزرونه وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو
تلهى الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم
ان هى الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها
ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو
وقرا ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اى الامرين خير وقرا نافع وابن عامر
وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على
الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى
قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء فى انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا
يكذبونك فى الحقيقة وقرا نافع والكسائى لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او
نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم بآيات الله يجحدون
آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم
او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روى ان
ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا

فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك
ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر
حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من نبا المرسلين اى من قصصهم
وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه
الى جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها اية وفي الارض صفة
لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن
وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه
البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض ومن فوق السماء لاتى بها
رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان
حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على
الهدى بان ياتيهم باية ملجية ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص
على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون
انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى
الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون
للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اى اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من
الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما
اقترحوه او اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل
مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض
تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها
وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها

قوله ولقد جاءك من نبا المرسلين من قصصهم القصص هنا كالنبا لفظا ومعنى ويصح ان يكون جمعا
وفاعل جاء قال الفارسي هو نبا ومن زائدة وهو على مذهب الاخفش المجوز لزيادة من في الاثبات
وقبل المعرفة ...

قوله ولكن لم يتعلق به مشيته وذلك لان جميع الحوادث مستندة اليه ابتداء ...

وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون

كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من

شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه

امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا

او مجملا ومن زائدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه

وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها

فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها

موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال

علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث

اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون

حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح

لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه

قل أرأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب

لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت

الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول

محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم وارأيتم وارأيت

وافرأيت وشبهها اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يحذفها

اصلا والباقون يحققونها وحمزة اذا وقف وافق نافعا ان أتاكم عذاب الله كما أتى

من قبلكم او أتتكم الساعة وهولها ويدل عليه أغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم

صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه

بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون

اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون

وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون

قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء التفريط التقصير واصله ان يتعدى بفي وقد ضمن هنا معنى اغفلنا وتركنا فمن شيء ٢٠٣

في موضع المفعول به ومن زائدة والمعنى ما تركنا في الكتاب شيئا يحتاج اليه من دلائل الالوهية والتكاليف ويبعد جعل

من تبعيضية والتقدير ما فرطنا في الكتاب بعض شيء وان جوزه بعضهم هذا ما ارتضاه ابو حيان والزمخشري

وعدل عنه المص لانه لا يتعدى فجعل التقدير تفريطا فحذف المصدر واقيم شيئا مقامه وتبع فيه ابا البقاء اذ اختاره

هذا وقال ان المعنى عليه لا على غيره فلا يبقى في الآية حجة لمن ظن ان الكتاب يحتوي على ذكر كل شيء ونظيره لا يضركم

كيدهم شيئا اي ضيرا واورد عليه انه ليس كذلك لانه اذا اسلط النفي على المصدر كان منتفيا على جهة العموم

ويلزمه نفي انواع المصدر ونفي جميع افراده وليس لشيء لانه يريد ان المعنى حينئذ ان جميع انواع التفريط منتفية

عن القرآن وهو مما لا شبهة فيه ولا يلزمه ان يذكر فيه كل شيء كما لزم على الوجه الآخر حتى يحتاج الى التاويل فيقول العموم

من امر الدين والاشارة الى التاويل ولا حاجة اليه مع اختيار هذا الوجه كما ان نفي تعديه لا يضر من قال انه مفعول

به على التضمين كما من حاشية مولانا الشهاب

الاستفهام مجاز عن الامر بجامع الطلب قال الفراء العرب تقول ارأيتك كذا وهم يريدون اخبرني

كما تقول ارأيتك ان فعلت كذا ماذا تفعل اي اخبرني فان اريد هذا المعنى تركت التاء على لفظ واحد في كل حال

فيقال ارأيتك ارأيتكما ارأيتكم ارأيتكن لان الكاف ليس باسم حتى يكون لها محل من الاعراب ويكون

منصوب المحل على المفعولية كما زعمه الكوفيون بل هو حرف خطاب اكد به الضمير المرفوع على الفاعلية وهو التاء

لتاكيد الاسناد الى المخاطب ولتدل على احوال الفاعل من الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتانيث واستدل

على كون الكاف حرف خطاب جيء بها لتدل على احوال الفاعل وليس لها محل من الاعراب لعدم كونها اسما بقوله

لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فانك لو جعلت الكاف اسما منصوب المحل لكان مفعولا ثالثا والكلام مبني

على كون ارأيتك زيدا ما شأنه ارأيت نفسك زيدا ما صنع وهذا معنى باطل ولان الكاف لو كان منصوبا على

المفعولية والتاء اسم مرفوع المحل على الفاعل لوجب ان يطابق كل واحد منهما مراده من الافراد والتثنية والجمع

والتذكير والتانيث ويقال ارأيتماكما وارأيتموكم وارأيتنكن فثبت ان الكاف ليست ضميرا منصوبا على

المفعولية بل هو حرف خطاب اكد به ضمير الفاعل المخاطب لتاكيد الاسناد قوله بل الفعل معلق او المفعول

محذوف يعني لما لم يكن الكاف اسما منصوب المحل على المفعولية لا يخلو اما ان يكون ارأيت من افعال القلوب

غيره اوتنشوش من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك ومن زايدة
فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء
الضر والآفات وهما صيغتا تانيث لامذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا
ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم فى ذلك
الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم
واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء
ولم يتعظوا فتحنا عليهم ابواب كل شئ من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتى الضراء
والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روى
انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن
ووافقه يعقوب فى ما عدا هذا والتى فى الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم
ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
متحيرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من
دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار
والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة
يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على
قلوبكم بان يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اى بذلك
او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة
من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير
باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد
تصريف الايات وظهورها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او
جهرة بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة او جهرة هل
يهلك اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء

المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح اليا وما نرسل المرسلين الا مبشرين المومنين بالجنة ومنذرين
الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه
على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا
باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى
بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة
قل لا اقول لكم عندي خزاين الله مقدوراته او خزاين رزقه ولا اعلم الغيب ما لم
يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس
الملايكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرا عن دعوى الالوهية
والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم
على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي والجاهل
والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا
تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعا الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي
مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم
المومنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مومنا كان او كافرا مقرا به او مترددا
فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون
لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير المتقين
ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا
لو طردت هولاء الاعبد يعنون فقرا المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا
اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المومنين قالوا فاقمهم عنا اذا جيناك
قال نعم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة
وبعلي رض ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر
وقرا ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون

بيان حقيقة لام العاقبة

قوله واللام للعاقبة او التعليل اه اقول تحقيق المقام يستدعي نوع بسط في الكلام وهو ان ما يترتب
على فعل صدر عن فاعل مختار فهو من حيث ترتبه عليه فائدة ومن حيث وقوعه في طرفه غاية ومن حيث كونه
باعثا له حاملا عليه غرض بالنسبة الى الفاعل وعلة غائية بالنسبة الى الفعل ولا افعال الله تعالى فوائد
وغايات دون غيرهما ولهذا قيل افعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض وقد برهن عليه في الاصول
ثم انه قد شبه الغاية بالعلة الغائية من حيث انها عاقبة الفعل ومؤداه فيستعمل في الاولى
اللام الموضوعة للثانية على سبيل الاستعارة التبعية كاللامات الداخلة على فوائد افعال الله
المسماة بالحكم والمصالح وكيت هذه اللام ما يسمونها لام العاقبة وذلك لان لام العاقبة
على ما ذكره شارح المقاصد انما يكون فيما اذا لم يكن للفاعل شعور بالترتب وقت الفعل او قبله
فيفعل لغرض ولا يحصل له ذلك بل ضده فيجعل كانه فعل الفعل لذلك الغرض الفاسد تنبيها
على خطائه ولا يتصور هذا في كلام علام الغيوب وترتب فوائد افعال الله عليها مع العلم
فبينهما مباينة وعلى ما ذكره ابن هشام هي لام الصيرورة والمآل ولم يعتبر فيها ما اعتبره شارح المقاصد
فهي على هذا وان جاز ان تقع في كلام الله لكن بينها وبين لام العاقبة الواقعة في كلامه نوع فرق من
ان ترتب الفائدة في الاولى بمجرد الافضاء لا بطريق السببية والافضاء بخلاف ترتب
وعلى ما ذكره الزمخشري هي لام التعليل لكنه على طريق المجاز قال في تفسير قوله تعالى ليكون لهم عدوا
ان هذه اللام لام التعليل ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لانه لم يكن داعيهم الى
ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني الا انه لما كان نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعي
الذي يفعل الفعل لاجله فهي على هذا ايضا وان لم يمتنع ان تقع في كلام الله تعالى اذ لا يلزم من كون الداعي
فانه شيئا اخر لم يترتب عليه ان يعتبر ذلك في جميع الصور بل يكفي فيه ترتب ما لم يكن داعيا
الداعي ايضا لكن بينها وبين لام العاقبة المذكورة فرق من الحيثية المذكورة اذا عرفت هذه
فاقول لما كان النص المذكور منتهيا الى قولهم اهولاء من الله عليهم من بيننا بطريق الاتفاق لا بطريق
الافضاء والسببية جعل اللام للعاقبة لكن لا على ما قاله شارح المقاصد وجوز ان يكون للتعليل
على تضمين معنى الخذلان فانه يكون حينئذ سببا له في نفس الامر وان لم يكن هذا باعثا له لانها لعدم
افعال الله معللة بالاغراض او لان الظاهر ان الله تعالى لم يجعل الفتن لاجل ان يوجد منهم
المذكور والسر فيه ان اللام الداخلة على العلة الغائية تفيد ان مدخولها مسبب عما تقدم
الوجود الخارجي وسبب له بحسب الوجود العلمي وهي في الاية انما افادت الاول دون الثاني
واليه اشار صاحب الكشاف بقوله حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل
هذا الا مخذول مفتون فخذ عني هذا التحقيق فانه ينفعك في مواضع سنان افندي عليه

ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه

اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك

عليهم من شىء اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطرد هم

بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما

اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا

فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم

وقيل ما عليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تواخذ

بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم

فتبعدهم وهو جواب النفى فتكون من الظالمين جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم

على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف

احوال الناس فى امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا

هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله

عليهم من بيننا اى اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم

دوننا ونحن الاكابر والروساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص

هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه

واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين

بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون

باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون

ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة

وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله

بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان

كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا

والرحمة فى الاخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلعم فقالوا انا اصبنا ذنوبا

عطفا مما فلم يردعليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف بتفسير
الرحمة وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة
في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد
كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر
من افعال اهل السفه والجهالة ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك
والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول وغير نافع على اضمار مبتدا او
خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات
ايات القران في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين
سبيل المجرمين قرا نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم
فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب و
وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير
السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الايات
ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل
علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تدعون
من دون الله او ما تدعونها الهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع
اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم
وبيان لمبدا ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق
على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من
المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك
قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعدما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة
الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي او الحجج العقلية
او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به
الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما

تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقضي الحق اي القضاء
الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير
واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع
وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي
اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا
غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال
ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب
خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي
هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات
المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما
اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر
والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات
وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض
ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل
الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف
على محل من ورقة او رفعا على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل
ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس
والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم
والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه
في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف
بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك

الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الأجل الذي سماه

ومضى لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم إليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون

بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون

والحكمة فيه أن المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد كان أزجر

عن المعاصي وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه

احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت

وأعوانه وقرأ حمزة توفاه بالإمالة وهم لا يفرطون بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف

والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة أو نقصان ثم ردوا إلى الله إلى حكمه وجزائه

مولاهم الذي يتولى أمرهم الحق العدل الذي لا يحكم إلا بالحق وقرئ بالنصب على المدح ألا

له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو أسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار

حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما

استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وإبطال الإبصار فقيل لليوم الشديد يوم

مظلم ويوم ذو كواكب أو من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف

والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين أو إعلانا وإسرارا وقرأ

أبو بكر هنا وفي الأعراف خفية بالكسر لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على

إرادة القول أي يقولون لئن أنجيتنا وقرأ الكوفيون لئن أنجانا ليوافق قوله تدعونه

وهذه إشارة إلى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون

ومن كل كرب غم سواها ثم أنتم تشركون تعودون إلى الشرك ولا توفون بالعهد

وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على أن من أشرك في عبادة الله فكأنه

لم يعبده رأسا قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط

وأصحاب الفيل أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم

أكابركم وحكامكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم أو يلبسكم يخلطكم شيعا

فرقا متحزبين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا

المنبث نفضت لها يدى ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف
الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اى بالعذاب او بالقرآن
وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم
فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبإ خبر يريد انباء
العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في
الدنيا او في الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها
والطعن فيها فأعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ذكر الضمير
على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى
تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره
مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع
التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما
يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء
شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض
وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن
عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء اذ لك
ولان لا يراد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل
ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم
بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع
ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا
امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم
وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به
او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال
بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله

منسوخة باية السيف حملة على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا
حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك
وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه
والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله
ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل
الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها
الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به
اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم
الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى
هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا
انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على
اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذى
استهوته الشياطين كالذى ذهبت به مردة الجن فى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا
اذا ذهب وقرا حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد
اى مشبهين الذى استهوته فى الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب
لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق
المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى
الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين
من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك
لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم
اى للاسلام ولاقامة الصلاة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان
عبد الرحمن بن ابى بكر رض دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول
بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى

اليه تحشرون يوم القيامة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك
القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل
يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق
مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد
به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات
واحياءها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ
قال ابراهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ وقيل
هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج
ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او انه نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه
علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه
بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم
قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ أأزرا تتخذ اصناما
بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم
انى اراك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابراهيم ومثل
هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت
والمعنى نبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها
وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل
وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه
كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق
من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى

وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم
يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان
بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب
بالاستار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتديا
بالطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها
لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى
الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة
التأنيث هذا اكبر كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني
بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها
بما يختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما
احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي
يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد
قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بخلاف هشام بتخفيف النون
وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت
لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها
ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم وتهديدهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما
كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق مكروه من جهتها
افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما
اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه
كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز والقادر الضار
النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا

فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا
من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد
بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا
لم يظلم نفسه فقال عم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط
بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه
من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى اليه حجتنا
آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان اخبر تلك
ان جعل بدله اى اتيناها ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة
وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه
واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا
هدينا من قبل من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد
يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان
يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى
تلك الاية والتى بعدها والمذكورون فى الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان
وايوب بن اموص من اسباط عيص ابن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك
نجزى المحسنين اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفى ذكره دليل
على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان
مخصوصا بمن فى الاية الاولى وقيل هو من اسباط هارون اخى موسى كل من الصالحين
الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى واسماعيل واليسع
هو اليسع بن اخطوب وقرا حمزة والكسائى والليسع وعلى القراءتين علم اعجمى ادخل

عليه السلام كما ادخل على اليزيد في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء
الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو هاران ابن اخي ابراهيم وكلا
فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم
وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض
آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف
على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك
هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل
على عباده بالهداية ولو اشركوا اي لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم
لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك
الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق
والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها
اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل
هم الانصار او اصحاب النبي او كل من آمن او الفرس وقيل الملائكة اولئك
الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم
بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون
الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم
جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده
للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى
الوصل مجرى الوقف ويحذفها في الوصل خاصة حمزة والكسائي واشبعها
ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسرها بغير اشباع برواية
هشام قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم
كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو
اي التبليغ او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم

وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك
من عظايم رحمته وجلايل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش
بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة
في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما
قدروا الله وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتوراة وذمهم على تجزيتها
بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي
ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التوراة
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم فيها ان الله تع يبغض الحبر
السمين قال فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة
لانه كان من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلعم ما لم تعلموا انتم
ولا اباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين
كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم
بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب
ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون
حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او
فاعل يلعبون او منهم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب
انزلناه مبارك كثير الفايدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية
او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات

ولتنذر او علة محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها
قبلة اهل القرى ومحجهم ومجمعهم واعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها
او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اى لينذر الكتاب ومن
حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم
يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر
حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة
لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا
كمسيلمة والاسود العنسى واختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه
او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب
لرسول الله صلعم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم
انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل
خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن
كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال
ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين فى غمرات الموت شدائده
من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضى
الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا
وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد وقت
الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد العذاب المتضمن
لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على
الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا
وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب
والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن

الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى
وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على
الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير فى
فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى
مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة
وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء اى شركاء لله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم
وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه
الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن
عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد
تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم
او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق
الذى فى الحنطة والنواة يخرج الحى من الميت يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله
من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحى ومخرج ذلك من الحيوان والنبات
ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له ذلكم الله
اى ذلكم المحيى المميت هو الذى يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق
الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو
الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصباح سمى به الصبح
وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن
اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استيناسا به او يسكن فيه
الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه فى معنى الماضى ويدل عليه
قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ
به او به على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر

عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع
على الابتدا والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بها
الاوقات ويكونان على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر
حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك
التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم
بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا
بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او فى
مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما
ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
وهو الذى انشأكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اى فلكم
استقرار فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع
استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع
مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا
الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى
آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض
يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى انزل من السماء ماء من السحاب
او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شىء نبت كل صنف
من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفتنة بماء واحد كما فى قوله تعالى
يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء
خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب
نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان
اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل
خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان و

تحقيق معنى كون الاضافة لادنى ملابسة

قوله واضافتها اليهما للملابسة الاضافة تكون لادنى ملابسة مجازا وهل هى مجاز لغوى
او حكمى عقلى اضطرب فيه كلام اهل المعانى فقال النحرير فى شرح المفتاح فى تحقيق قوله تعالى
ابلعى ماءك اضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض
باتصال الملك بالمالك بناء على ان مدلول الاضافة فى مثله الاختصاص الملكى فيكون
استعارة تصريحية اصلية جارية فى التركيب الاضافى الموضوع للاختصاص الملكى
فى مثل هذا وان اعتبر اللام وبنى الاتصال والاختصاص عليها فالاستعارة تبعية
وقال فى اضافة كوكب الخرقاء حقيقة الاضافة اللامية الاختصاص الكامل فالاضافة
لادنى ملابسة تكون مجازا حكميا وقال الشريف قدس سره رادا عليه الهيئة
التركيبية فى الاضافة اللامية موضوعة للاختصاص الكامل المصحح لان يخبر عن المضاف
بانه للمضاف اليه فاذا استعملت لادنى ملابسة تكون مجازا لغويا لا حكميا كما توهم لان
المجاز فى الحكم انما يكون بصرف النسبة عن محلها الاصلى الى محل آخر لاجل ملابسة بين المحلين
وفيه كلام ليس هذا محله وقوله مشتبهات الخ فهى استعارة تصريحية تحقيقية وعلى الادنى
المجاز فى الاضافة من حاشية الشهاب
كوكب الخرقاء سهيل والخرقاء المرأة التى فى خلقها هوج وقلة رفق قال الشاعر
اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل اذاعت غزلها فى القرائب اضاف الكوكب
الى الخرقاء لان الحمقاء تضيع صيفها ولا تستعد للشتاء فاذا طلع سهيل سحرة
وهو مبدأ البرد فحينئذ تاخذ فى الاستعداد وتفرق فى قرائبها القطن لتستعين بهن
فى الغزل من المعول عليه فى المضاف والمنسوب اليه
قوله ذكر مع النجوم الخ بناء على ان الفقه شدة الفهم
والفطنة ومن قال انه الفهم مطلقا وليس بابلغ من العلم
قال انه تفنن حذرا من صورة التكرير وقال فى الانتصاف
الفقه انزل من العلم واذا قيل فلان لا يفقه كان اذم
من لا يعلم ولما كان علم الانسان بنفسه اقرب اليه من علم
العلويات انفى عنه الفقه دون العلم وهذا عكس ما ذكره المصـ
رحمه تبعا للكشاف شهاب

الاعذاق جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع
اذ ليس فعلان من ابنية الجمع **دانية** قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها
من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها
وجنات من اعناب عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء اى
ولكم او ثم جنات او ومن الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب
لا يخرج من النخل **والزيتون والرمان** ايضا عطف على نبات او نصب على
الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم **مشتبها وغير متشابه** حال
من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر
واللون والطعم **انظروا الى ثمره** الى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى
بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب **اذا اثمر** اذا
اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به **وينعه** والى حال نضجه او الى نضيجه كيف
يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل
جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه **ان فى ذلكم لايات لقوم
يؤمنون** اى لايات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث
الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون
الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه
عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه
فقال **وجعلوا لله شركاء الجن** اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله
وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله
او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان
خالق الشر وكل ضار كما هو راى الثنوية ومفعولا جعل لله شركاء والجن
بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه
قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين **وخلقهم** حال بتقدير قد والمعنى

وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرّفوا اى وزوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر يعني انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشأن وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شئ وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها

اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلعم وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال وليقولوا درست اى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا صلعم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى قديمات او ذات درس كقوله تعالى عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف

والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين
به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى
منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم
ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله
توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر
وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل
تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا آلهتهم التي
يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير
علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا
وعدوا وعداء وعدوانا روي انه كان عم يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين
عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا
لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم
من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص
العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى
ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله
جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على
الرسول صلعم في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها
بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها ان الآية المقترحة
اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب
وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة

الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او
مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة
الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور
وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة
الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون
ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام
القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير
الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام
افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم
ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما
من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب اي القرآن
المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان
القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله
يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عم لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم
وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل
وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد
فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم
فيكون من باب التهييج كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة
وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه
وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد
وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته
لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل ولا احد يقدر ان يحرفها شايعا ذائعا

كما فعل بالتورية على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله تع بالحفظ كقوله وانا
له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب
كلمة ربك اى ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم
وان تطع اكثر من في الارض اى اكثر الناس يريد الكفار والجهال واتباع الهوى وقيل
الارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر
لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او
جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون
يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل
الميتة وتحريم البحاير او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان
ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن موصولة
او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك
او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من
يضل اى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه
اى اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم
بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال
ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته
مومنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم
الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واى غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه
وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرا ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء
للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا
ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قراه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم

بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين
الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما
بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنى في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في
تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك
والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة
بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق
ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان
الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون
ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم
في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه
في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل
له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ
نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات
وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو
مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين
للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي
جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة
اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا
ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز
ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه
الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى

على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما
يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار
قريش لما روي ان ابا جهل قال تزاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله اعلم
حيث يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما
هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح
لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة
وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء
على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره
للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله
فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه
الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير
ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح
وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا
يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان
يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق
وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم
يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب والخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر
للتعليل وهذا اشارة الى الذي رضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما

لاعوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو
الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون
فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه
وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف
الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم
في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما
كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم
جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم
وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من
اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير
من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض
اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس
بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم
في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون
على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من
طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم
منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا
ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها
من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا
ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء
بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة ولكن لما جمعوا مع الجن

في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون
العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل
من الجن رسل الرسل اليهم لقولهم ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم
لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو
اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية
واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك
اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم واهلها غافلون تعليل الحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك
لانتفاء كون ربك او لان الشأن لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او
ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين
درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون
فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب وعقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب
على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم
ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد
وتأسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة
ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن
لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحوال الآخرة لآت لا محالة وما انتم
بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال
مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان
ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد
والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام

والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله
بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا يتأتى منه الا الشر كالمأمور به الذي لا
يقدر ان يتقضى فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى
اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق
عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة
وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرا
حمزة والكسائي هنا وفي القصص يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح
الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركوا
العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم
كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما
لالهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما
لالهتهم وان رأوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا
الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم
تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة
فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود والود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك
التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لالهتهم
شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول
الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو
ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص
ابي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين
ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين
اسماعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين

وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او
الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من
الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول
كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حُجُر بالضم وحرج اي مضيق
لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون
على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق
بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون
اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة
دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث
فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة وكذلك وافق عاصم في رواية
ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء
فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب
على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي
في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور
وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما
او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر
والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم
والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم
سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير
وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق
اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها

افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب
وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات
ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة
والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا
عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك
عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما
في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان
لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا
حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة فانها
فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد
ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية
وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا
في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن
الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش
للذبح او يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار
الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض
بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر
من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين اثنين
الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل
وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين

ربع الجزء الثامن

اي التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز
كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضان وذكر المعز
حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل
على ان الله تع حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل
اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها
ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت
تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم شاهدين حاضرين اذ وصاكم الله
بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك
الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد
كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا
وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على
طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون
بالتاء لتانيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله
او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا
اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير
او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما
بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم
فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون
والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة
الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك

غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحى الى تلك الغاية محرماً
غير هذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ
الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غير ها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذى ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذى ظفر اى مخلب
وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما
حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء
جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل
هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
فى الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم
على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين
حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا
يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا
يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على
اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شئ اى لو شاء خلاف ذلك
مشية ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا اباؤنا ارادوا
بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه
القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله
كذلك كذب الذين من قبلهم اى مثل هذا التكذيب لك فى ان الله منع من الشرك ولم يحرم
ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير فى اشركنا من غير تاكيد للفصل
بلا حتى ذاقوا باسنا الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح
الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون فى

ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن
سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة
الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه
وهى من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق
لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم
وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم واصله عند
البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل
وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل
الامر ويكون متعديا كما فى الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا
يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم
كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم فان شهدوا
فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم فى الشهادة
الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين
لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا
امر من التعالى واصله ان يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع بالتعميم اتل
اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية
منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اى شئ حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او
اتل ان لا تشركوا به اى لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر
بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها
النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة
او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا
يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اى واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع

النهى عن الاساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل
فقر ومن خشيته كقوله تع خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون
لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنى ما ظهر منها وما بطن
بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق
كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به اى بحفظه
لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن
الا بالفعلة التى هى احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا
وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان
بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره
عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا
قلتم فى حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوى
قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ذلكم
وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف
الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان هذا صراطى مستقيما
الاشارة فيه الى ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطى
بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل
اى الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى
متعدد لاختلاف الطبايع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله
الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال
والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخى فى الاخبار
او للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا

آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذى احسن على كل من احسن القيام به ويؤيده
ان قرئ على الذين احسنوا او على الذى احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما
احسنه اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر
محذوف اى على الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شئ وبيانا
مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال
والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بنى اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اى بلقائه
للجزاء وهذا كتاب يعنى القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى
المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هى المخففة ولذلك دخلت
اللام الفارقة خبر كان اى وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندرى ما هى ولا نعرف مثلها
او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا
وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون
فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به
فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض
او صد عنها فضل واضل سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا
يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون اى ما ينتظرون يعنى اهل مكة وهم ما كانوا
منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة
ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل او يأتى ربك
اى امره بالعذاب او كل آية يعنى آيات القيامة والهلاك الكلى لقوله او يأتى بعض آيات ربك
يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا
قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا

قوله والمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم كما جواب عن دليل الخصم بوجوه ثلثة الاول ان الحكم بعدم النفع مخصوص بذلك اليوم بالتخصيص الذكرى لانه المنصوص عليه دون غيره لا بتقديم الظرف فانه مقتضى نظم القرآن ولما كان مخصصا بذلك اليوم فلا ينفى نفعه قبل ذلك اليوم او بعده اقول لا يخفى ان هذا الجواب جدلى اذ للقائل ان يقول ان الايمان لما كان برهانيا لم يعتد بحصوله ولا بحصول ما يتفرع عليه من الاعمال فى وقت يصير الامر عيانا كوقت نزول سلطان الموت وظهور بعض اشراط الساعة وذلك هو المراد بقوله يوم يأتى بعض آيات ربك لانه على وفق الاحاديث الصحيحة الواردة فى باب قبول التوبة وعدم قبولها فلا معنى لكون الايمان الموصوف باحد الصفتين نافعا قبل ذلك اليوم او بعده ومشكل ويمكن ان يجاب عنه بان التخصيص بذلك اليوم مخصوص بالايمان الموصوف بالصفة الثانية لانه محل الاشكال ومحط الاعضال وعدم نفعه فى ذلك اليوم عدم انجاء صاحبه عن دخوله فى النار واما بعد ذلك اليوم فينفعه بانجائه عن الخلود فالمراد بذلك اليوم اوائل الحال هذا غاية ما يمكن ان يقال فى توجيه هذا الوجه وللبحث فيه بعد مجال ثم لا يخفى انه لو حذف من البين حديث التخصيص بذلك اليوم وقيل فى الجواب عن دليل الخصم يجوز ان يكون النفع المنفى بالنظر الى النفس الموصوفة بالصفة الاولى عدم الخلود فى النار وبالنظر الى النفس الموصوفة بالصفة الثانية عدم الدخول رأسا وذلك لا ينافى الخروج ولو بعد ازمنة متطاولة فلا يثبت مدعى الخصم لكان احسن هذا ما تيسر لى فى هذا المقام وتحقيق هذا يستدعى مجالا فوق مجال الوجه الثانى ان الترديد محمول على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها يعنى ان او لاحد الامرين فى سياق النفى يفيد العموم كالنكرة المنفية وذلك بان يلاحظ عطف او كسبت على آمنت ثم يسلط النفى عليه فيفيد عموم السلب لا سلب العموم فانه يستفاد من اعتبار دخول النفى على المعطوف عليه اولا ثم العطف على ذلك المنفى للنهى كما هو مبنى الوجه الاول من الجواب والمراد من الاعتبار ان الاعتبار موكول الى ما يناسب المقام فلم يلزم من الآية الكريمة عدم اعتبار الايمان المجرد فان قلت هذا الاعتبار لا يستقيم ههنا لانه اذا انتفى الايمان انتفى كسب الخير فى الايمان بالضرورة فيكون ذكره لغوا من الكلام وايضا الاشتراط باحد الامرين انما يحسن اذا امكن تحقق كل منهما بدون الآخر وههنا لا يمكن تحقق الكسب فى الايمان بدونه وان امكن الايمان بدون الكسب قلنا الكل مندفع بالتأمل فى كون المقصود الاشتراط باحد الامرين فان الاشتراط باحدهما يمكن تحقق احدهما فقط بدون الآخر بل وبالفرض عدم امكان تحقق كل منهما بدون الآخر وذلك لان التلازم بين شيئين لا يوجب كون الاشتراط باحدهما مغنيا عن الاشتراط بالآخر اما مغنيا او بدلا فانه بعد الاشتراط باحدهما قد يكون الاشتراط بالآخر بخصوصه مقصودا وان لم يتحقق بدونه فان اشتراط شئ يكون بسبب خصوصيته وتعلق بينهما يستدعى ذلك التعلق سبق الثانى على الاول وكونه ذاتيا بحيث يكون احدهما موقوفا والآخر موقوفا عليه فوجه اندفاع الثانى ظاهر واما اندفاع الاول اعنى حديث اللغو فلانه بعد ما كان النفى مشروطا باحد الامرين سبق الايمان او الكسب المذكور وان كان كل واحد منهما مستلزما للآخر يظهر وجه عدم نفع الايمان لنفس خلت عنهما ولا يضر بالمقصود كون الخلو عن سبق الايمان مستلزما للخلو عن الكسب لان غرضنا بيان عدم نفع ايمان نفس خلت عنهما وهذا حق بسبب اشتراط النفع باحدهما فلا يضر كون الخلو عن واحد مستلزما للخلو عن الآخر كل ذلك يظهر بالتأمل الصادق وبما ذكرنا حصل الغنية عما تكلفه بعض الفضلاء فى الاشتراط باحد الامرين من انه يجب اعتبار العمل الصالح سابقا بان يقال النافع هو العمل الصالح فى الايمان فان لم يوجد حال الايمان ولا يجوز ان يقال النافع هو الايمان فان لم يوجد فالعمل الصالح فى الايمان لان الايمان اذا انتفى انتفى العمل الصالح فيه بالضرورة وقد يجاب عن تمسك الخصم بان الآية من باب اللف التقديرى اى لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها فى الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه فتأمل الوجه الثالث ان او كسبت عطف على لم تكن آمنت لا على آمنت والمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حين يأتى بعض الآيات وكسبها فيه اى فى الايمان الحادث خيرا او لما لم يكن حينئذ لكلمة الانفصال موقع لجواز الجمع والخلو حمله على معنى الواو وبهذا على ما صح فى بعض النسخ وان كسبت بفتح الهمزة وفى بعضها بكسرها على الوصل اى لا ينفع الايمان الحادث لنفس كاسبة فيه خيرا والوصل حاصل المعنى منه من حاشية فاضل الروم سنان افندى المرحوم

حرر بعد سنه ١١٦٦

بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن **يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها** كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث **لم تكن آمنت من قبل** صفة نفسا **او كسبت فى ايمانها خيرا** عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا **قل انتظروا انا منتظرون** وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل **ان الذين فرقوا دينهم** بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق امتى على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائى فارقوا اى باينوا **وكانوا شيعا** فرقا تشيع كل فرقة اماما **لست منهم فى شئ** اى من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف **انما امرهم الى الله** يتولى جزاءهم **ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** بالعقاب **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها** قضية للعدل **وهم لا يظلمون** بنقص الثواب وزيادة العقاب **قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم** بالوحى والارشاد الى ما نصب من الحجج **دينا** بدل من محل الى صراط اذ المعنى وهدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه

الملفوظ قيما فيعل من قام كسيّد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم
باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان
قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا
حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او
قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة
او طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات
انفسهما وقرا نافع محياي باسكان اليا اجرا للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا
شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول والاخلاص امرت وانا اول المسلمين
لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو
جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار والدليل
له اي كل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في
ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف
بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم
السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنا
ليبلوكم في ما اتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات قريب او
لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف
ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى بيناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها
على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح
فيها عن رسول الله صلعم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك
لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك
بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة ⁖ ⁖ ⁖

سورة الاعراف مكية غير ثمان ايات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا محكمة
كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وايها مائتان وخمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص
والمراد به السورة او القران انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان
الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه
وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب وكانه قيل
اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن
انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى
للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر
عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما
انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا
قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد
القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلعم
وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان
فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال
او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال
استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير
فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين
ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاءهم
واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين

الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم
عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال
توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام
او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل
حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا
عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى
علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور
على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة
وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده
ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد
البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام
انه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ
خبر المبتدأ الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي
فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته فهو جمع موزون او ميزان وجمعه باعتبار
اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي
فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل
التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها
وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها
بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم
ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة
خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم

قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم قلنا للتاخير في الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من
الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا
يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل
الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك
دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف
به استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع انى خير منه ولا
يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال
بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد
غلط فى ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل
كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة وباعتبار الصورة
كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه
ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية
دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان
الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او
الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع وفيه
تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد
عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع
رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرنى الى يوم يبعثون اى امهلنى الى يوم القيامة
فلا تمتنى او لا تعجل عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه
محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى ووقت يعلم الله
انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتنى
اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى
بواسطتهم تسمية او حملا على الغى او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل

القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا
بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف
كقوله لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره
على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من جميع الجهات مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال
من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان
منه يوحش وعن ابن عباس رض من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا
وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين
ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا
يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا
ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء
لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما متوجه اليهم والى
الاخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره
قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل
سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما
كمسول ومكول فى مكيل من ذام يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام
فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط
وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة
لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا
آدم اى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا
هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا

من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وهو فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى البقرة كيفية وسوسته ليبدى لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان

ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما من خصف ويخصفان واصله يختصفان يخصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو فى موقع الحال اى متعادين ولكم فى الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى تقضى آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يوارى سوآتكم التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم

من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه
والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد
النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهى وتاكيد للتحذير من
فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم
لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم
عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة
الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى
الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء
والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله قل ان الله لا يامر
بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة
فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع
السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا
تعلمون انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله قل امر ربى بالقسط بالعدل وهو الوسط
من كل امر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته
مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد فى كل وقت
سجود او مكانه وهو الصلاة او فى اى مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا
الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة فان اليه مصيركم
كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة
بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل
كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى
بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل

يفسره ما بعده اى وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم
او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى
استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر يا بنى آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة
عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه
دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روى ان بنى عامر فى
ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون
به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه
وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال
على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا
يحب المسرفين اى لا يرتضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وساير ما يتجمل به التى
اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع
والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم
والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار قل هى للذين آمنوا فى
الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم
غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل ساير الاحكام لهم قل انما حرم ربى الفواحش
ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب
الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغى الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق
متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين
وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول
العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت ولا

يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على أن إتيان الرسل أمر جائز غير واجب كما ظنه
أهل التعليم وضمت إليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه فمن
اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم
والذين كذبوا بآياتنا منكم وإدخال الفاء في الخبر الأول دون الثاني للمبالغة في
الوعد والمسامحة في الوعيد فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ممن تقول على
الله ما لم يقله أو كذب ما قاله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الأرزاق
والآجال وقيل الكتاب اللوح أي مما أثبت لهم فيه حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أي يتوفون
أرواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا
جواب إذا أينما كنتم تدعون من دون الله أين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت
بأين في خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا
على أنفسهم أنهم كانوا كافرين اعترفوا بأنهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا
أي قال الله لهم يوم القيامة أو أحد من الملائكة في أمم قد خلت من قبلكم أي كائنين في جملة أمم
مصاحبين لهم من الجن والإنس يعني كفار الأمم الماضية من النوعين في النار متعلق
بادخلوا كلما دخلت أمة أي في النار لعنت أختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى إذا اداركوا
فيها جميعا أي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت أخراهم أي دخولا أو منزلة وهم الأتباع
لأولاهم أي لأجل أولاهم إذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء أضلونا سنوا لنا
الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لأنهم ضلوا وأضلوا
قال لكل ضعف أما القادة فبكفرهم وتضليلهم وأما الأتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن
لا تعلمون ما لكم أو ما لكل فريق وقرأ عاصم برواية أبي بكر بالياء على الانفصال وقالت
أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لأخراهم ورتبوه عليه
أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب

فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة أو من قول الفريقين إن الذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها أي عن الإيمان بها لا تفتح لهم أبواب السماء لأدعيتهم وأعمالهم أو لأرواحهم
كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتأنيث الأبواب
والتشديد لكثرتها وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لأن التأنيث غير
حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الأبواب بالتاء على أن الفعل للآيات
وبالياء على أن الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط أي حتى يدخل ما هو
مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الإبرة وذلك مما
لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمّل كالقمّل والجُمَل كالنُّغَر والجُمْل كالقُفْل والجُمُل كالنُّصُب
والجَمْل كالحَبْل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي
سم المخيط والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش أغطية والتنوين فيه للبدل عن الإعلال
عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواشٌ على إلغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين
عبّر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى إشعارا بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه
الأوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها
على أنه أعظم الإجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك
أصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه في أن يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف
نفسا إلا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه
طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل أي نخرج من
قلوبهم أسباب الغل أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التواد وعن علي رض إني لأرجو أن
أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الأنهار زيادة في لذتهم وسرورهم
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ
ابن عامر ما كنا بغير واو على أنها مبينة للأولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا

بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين
فى الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذى
اورثتموها بما كنتم تعملون اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى
الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة او المفسرة لان المناداة
والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما
لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده
بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرا الكسائى بكسر العين وهما لغتان
فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرا
ابن كثير فى رواية البزى وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرى
ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة
للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج
بالكسر فى المعانى والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالحائط والرمح
وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او
بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب
اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما
ارتفع من الشئ فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا فى العمل
فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء
او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون فى صورة الرجال يعرفون
كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى
من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون
ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اى اذا نظروا اليهم
سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو وعلى الوجه الاول من اصحاب على

الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا نعوذ بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين اى فى النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة
قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق وعلى الخلق
وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال
والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان
الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة
وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله
بعدما حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب
النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او بعض الملائكة اهؤلاء
الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف
عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اى صبوه وهو دليل على ان الجنة
فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله
علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم
بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا
فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه
ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة
على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا
على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق
بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله
الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتى تاويله
يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسى قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم

جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب
عطفا على فيشفعوا اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني
ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب
الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر
وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام اى في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة
ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق
الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني
في الامور ثم استوى على العرش استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش
صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها
عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه
بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار يغطيه به ولم
يذكر عكسه للعلم به ولان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل
ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة
على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث
وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب
مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر
فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم
بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين
لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم
على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن
سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة

والهيآت

والهيآت المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق
الارض في يومين اى ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب
موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها
رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اى مع اليومين
الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر
الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية
اى ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين
ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة
الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلعم
سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب
اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر
والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا
ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا
لفرط رحمته ان رحمت الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل
به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى امر قريب او
على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب
من القرب والقريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف
حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال
بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف

بُشْرًا جمع بشير وقد قرئ به وبَشْرًا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة و
بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلّت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله
سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير
باعتبار اللفظ لبلد ميت اي لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميْت فانزلنا به الماء بالبلد
او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء
واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره
فهي للسببية فيهما من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة
فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه
وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس
الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون
ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته
باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبّر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في
مقابلة والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على
الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يُخرِج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا
ونَكَدًا على المصدر اي ذا نكد ونكْدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرّف الآيات نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر
الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها
لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد
لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدّر بها ونوح بن لمك بن
متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال
يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيرِه

بالكسر على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم
يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤون
اي الاشراف فانهم يملؤون العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بيّن
قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرّض لهم
ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني
على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون
صفات لرسول او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف
وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان
المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة
على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقريرا لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة
بطشه او من جهته اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف
اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان
رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا
منها بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى
غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله
فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة
وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه
او حال من الموصول او من الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم
كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول
ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم
والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد

ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عمهم اخى عاد وانما
جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره استئناف بسؤال ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك
جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ
الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة
متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث تركت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا
قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين
او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة
عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس
وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه
بالامرين وقرأ ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا
فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عذاب الله
ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا آلاء
الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا
لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والا
عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء
من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني
فائتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه
قال قد وقع عليكم وجب او حق عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من
الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى
الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها

بجعل تم اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام
تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا
لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية
اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا
وضعفه ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم
من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين
كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على
ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام
فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين
حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام
وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم
وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية
بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم
باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم
فعلم القينتين: الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا الغماما فيسقي
ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما: حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال
مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية
احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال
قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها
اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض
ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله

فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن غابر بن ارم
بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي
او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا
صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله
هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة
ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا
في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط
واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها
بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر
فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض
ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها قصورا او من سهولة الارض بما تعملون
منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب
بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون
فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي
عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل
من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين
وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان
ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن
كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا
آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى
جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا

امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من
المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي انهم
بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله
اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا
فندعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم
اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه
الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم
لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا
مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب
صاحب اوثانهم ورباب بن صغر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع
راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاءوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون
ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار
فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا
الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها
فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم
يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تع الى ارض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت
قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلعم اهل قليب
بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل

قوله ما فعلها قبلكم احد فسّره به لان عدم السبق في فعل معناه ذلك وان كان يحتمل مساواة الغير فيها وقوله قط اشارة الى استغراق النفي في الماضي الذي افاده النظم وكون اختراع السوء وسن السنة السيئة اسوأ ظاهر اذ لا مجال للاعتذار عنه وان كان قبيحا كما هو عادتهم بقولهم انا وجدنا فتأمل وقوله والباء للتعدية في الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابو حيان التعدية ههنا قلقة جدا لان الباء المعدية في الفعل المتعدي لواحد بجعل المفعول الاول يفعل ذلك الفعل بما دخلت عليه الباء كالهمزة فاذا قلت صككت الحجر بالحجر كان معناه اصككت الحجر الحجر اي جعلت الحجر يصك الحجر وكذلك دفعت زيدا بعمرو عن خالد معناه ادفعت زيدا عمرا عن خالد اي جعلت زيدا يدفع عمرا عن خالد فللمفعول الاول تاثير في الثاني ولا يصح هذا المعنى ههنا اذ لا يصح اسبقت زيدا الكرة اي جعلت زيدا يسبق الكرة الا بتكلف وهو ان تجعل ضربك الكرة اول ضربة قد سبقها وتقدمها في الزمان فلم يجتمعا فالظاهر ان الباء للمصاحبة اي ما سبقكم احد مصاحبا وملتبسا بها وليس ينبغي بل المعنى على التعدية ومعنى سبقته بالكرة سبقت كرتي كرته لان السبق بينهما لا بين الضربين ومثله يفهم من غير تكلف

من حاشية الشهاب

التحتي عليهم **ولوطا** اي وارسلنا لوطا **اذ قال لقومه** وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل
فيكون لوط منصوبا بارسلنا الاول دون المقدر
منه **اتاتون الفاحشة** توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح **ما سبقكم بها**
من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي
والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقرر للانكار كانه وبخهم
اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ **ائنكم لتاتون الرجال شهوة من**
باتيانكم
دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ
نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موضع الحال
وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي
له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر **بل انتم قوم مسرفون** اضراب عن الانكار
الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء
او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل
انتم قوم عادتكم الاسراف **وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم** اي ما
جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه في من معه
من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا **انهم اناس يتطهرون** اي من الفواحش
فانجيناه واهله اي من آمن به **الا امراته** استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر **كانت**
من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور **وامطرنا عليهم**
مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوطا ابن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه
ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما
اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله تعالى عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم **والى مدين اخاهم شعيبا** اي وارسلنا اليهم وهم اولاد
مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم** يريد المعجزة

كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصى موسى التنين وولادة الغنم
المغنم التي دفعها اليه التوديع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصى آدم على
في المرآة التبع متأخر عن هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته
فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش
لقوله والميزان كما قال في سورة هود او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان
مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم
للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين
لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها
واهلها الانبياء واتباعهم بالشرايع او اصلحوا فيها والاضافة فيها كالاضافة في بل
مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا
لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى في شيء منها منعوه
وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن
دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله
يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما
يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط
على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال تصدونهم عطف
عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء
الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم
بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا
بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا
حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين

ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في
ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في
ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب
هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف
نعود فيها ونحن كارهون لها او انعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا
قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله
قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد
لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله
ندا وانه قد نبأنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره
والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا
خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود
بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون
منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا
حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير
الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم
انكم اذا لخاسرون لاستبداله ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة
الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادئها فاصبحوا في دارهم
جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها اي استوطنوا
كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا
لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة

فكرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا
عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح
والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا
في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون
كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه
من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا
يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء
كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء
والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون
بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في
قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات
وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر
والمعاصي افأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما
اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات
او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوامن اهل القرى
وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار
وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون
بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله تقرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج
العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا
بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون

من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن
قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه او لم يهد اي يغفلون
عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا
لانه في سياقه جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار
تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا
وتكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي
نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا
مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل
ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة
على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا
لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم
نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما
عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة
واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين
ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم
او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان
الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب
لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين

اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة
وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول كما قراه نافع
فقلب لامن الالباس كقوله ونشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او
للاغراق في وصف نفسه بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا
قايله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة
التمكن كقولهم رميت على القوس وجيت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرى حقيق
ان لا اقول قد جيتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى
الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال
ان كنت جيت باية من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك
ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك
في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو
فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا
وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني
اسرائيل فاخذه فعاد عصى ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين
اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للناظرين لا انها
كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت
ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون
ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في
سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في
ان تفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه
اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخر امره واصله ارجئه
كما قرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام

عن ابن عامر على الأصل في الضمير وأرجهي من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش
وإسمعيل والكسائي وأما قراءته في رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة
عنها وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل
وجعل جه كإبل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان أرجئه
بالهمز وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء
ساكنة ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحّار
فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما أرسل الشرط
في طلبهم قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين استئناف كأنه جواب سائل قال ما
قالوا إذ جاءوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص إن لنا على الإخبار وإيجاب الأجر كأنهم قالوا
لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم قال نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين عطف على
ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن
نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للأدب وإظهار الجلادة ولكن كانت رغبتهم
في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل أو تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال ألقوا كرما وتسامحا أو
ازدراء بهم ووثوقا على شأنه فلما ألقوا سحروا أعين الناس بأن خيلوا إليها ما
الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم وجاءوا
بسحر عظيم في فنه روي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي
وركب بعضها بعضا وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فألقاها فصارت حية
فإذا هي تلقف ما يأفكون أي ما يزورونه من الإفك وهو الصرف وقلب الشيء عن
وجهه ويجوز أن تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي أنها لما تلقفت حبالهم
وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع
عظيم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا
لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف هنا وفي طه والشعراء فوقع الحق

فتبين لظهور أمره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين صاروا أذلاء مبهوتين أو رجعوا إلى المدينة أذلاء مقهورين والضمير لفرعون
وقومه وألقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على أن الحق بهرهم
واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك أو أن الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى
ينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى وينقلب الأمر عليه أو مبالغة في سرعة
خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون أبدلوا الثاني من الأول
لئلا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله أو بموسى والاستفهام
فيه للإنكار وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق
الهمزتين على الأصل وقرأ حفص آمنتم به على الإخبار وقرأ قنبل قال فرعون وآمنتم
يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير ألفين وقرأ
الباقون بتحقيق الهمزة الأولى وتليين الثانية قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه
أي إن هذا الصنيع لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في المدينة في مصر قبل أن تخرجوا
للميعاد لتخرجوا منها أهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني إسرائيل فسوف تعلمون عاقبة
ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف من كل شق طرفا
ثم لأصلبنكم أجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لأمثالكم قيل إنه أول من سن ذلك فشرعه الله
للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته
قالوا إنا إلى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك أو إنا لمنقلبون
إلى ربنا وثوابه إن فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله أو مصيرنا
ومصيرك إلى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا إلا أن آمنا بآيات ربنا
لما جاءتنا وهو خير الأعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك
ثم فزعوا إلى الله تعالى فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء
أو صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين
ثابتين على الإسلام قيل إنه فعل بهم ما أوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى أنتما

ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام
بالواو كقول الحطيئة * ألم اك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء * على معنى
منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استيناف او حال وقرئ
بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تع فاصدق واكن والهتك معبوداتك قيل
كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك
قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اى عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه
المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل
بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر
والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم
وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض يحتمل العهد والجنس
قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا
باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى
انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم
او اولادهم وقد روى ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون
فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد
اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام
القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك لشؤم
كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده

فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها
وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون
ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق
القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم
بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة
وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندور
وعدم القصد بها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو
حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم
ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما
يصيبهم من الله تع او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة
للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف
وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تأتنا به اى اى شيء
تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك
قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في
به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم
الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل
الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل
نبات اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة
لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني
اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف
فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك
فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله
عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب

ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحرا واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت
الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد
وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا
قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام
الا وجدت فيه وكانت تمتلى منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلم
ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل
الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء
فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فيه وقيل
سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها
ايات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنين منها شهر
وكان امتداد كل واحد اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة
عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين
ولما وقع عليهم الرجز يعنى العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك
قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذى عهده
اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه
ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل
اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن
لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه
فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم
ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجاؤا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا
منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم فى اليم اى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل لجته
بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم

فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم
مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتمكنوا فى نواحيها التى باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى
على بنى اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله
ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا
بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور
والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان
وقرا ابن عامر وابو بكر هنا وفى النحل يعرشون بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه
وقوله وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة
بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله صلعم
مما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم
روى ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد ما هلك فرعون وقومه فصاموه
شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل
كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى
بقتالهم وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائى يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا
الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون
وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الايات الكبرى
عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعنى ان الله يهدم
دينهم الذى هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون
من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تع وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء
اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى
الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط

الكلي لا رب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب
لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه
على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان
قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا
صنيعه معكم في هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف
لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب
نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب
ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا
اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد هلاك فرعون بكتاب
من الله فيه بيان ما ياتون ويذرون فلما اهلك سال ربه فامره بصوم ثلاثين يوما فلما اتم انكر
خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله
ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة
في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم
واصلح ما يجب ان يصلح في امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع
من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه
واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما
روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم
ليس من جنس كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى
لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تع جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله تع ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك
ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل
السؤال لتبكيت قوم الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان

يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الهاً ولا تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا
تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن
عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابداً وان لا يراه غيره اصلاً فضلاً من ان يدل على استحالتها
ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار
ايضاً دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل
ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه جعله دكاً مدكوكاً
مفتتاً والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اي ارضاً مستوية
ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكاً اي قطعاً دكاً جمع دكاء وخر موسى صعقاً مغشياً
عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيماً لما رأى سبحانك تبت اليك من الجراءة والاقدام
على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه وانا اول من آمن بانك لا
ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهارون
وان كان نبياً كان مأموراً باتباعه ولم يكن كليماً ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التوراة
وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة
وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر
وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلاً لكل شيء
بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح
كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى
فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التوراة او غيرها فخذها على اضمار القول عطفاً
على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او
للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو
بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا
احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ

٢٣٨

قوله ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن اه قال العلامة في سورة مريم في قوله تعالى خير عند ربك
ثواباً وخير مرداً ان هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده
وتحقيقه ان تفضيل حرارة الصيف على حرارة الشتاء غير مراد بلا شبهة بل هو راجع على تفضيل كثرة الحرارة
او قوتها على كثرة البرودة او قوتها او باعتبار الاحساس وذلك لان معنى احر وابلغ حراً متقاربان
ولذا توصل في الممتنع بنحوه ففيه مجاز وايجاز وتفصيله ما قال بعض النحاة ان لافعل اربع حالات احدها
وهي الحالة الاصلية ان تدل على ثلاثة امور احدها اتصاف من هو له بالحدث الذي اشتق منه وبهذا كان
وصفاً الثاني مشاركة مصحوبه في تلك الصفة الثالث مزية موصوفه على مصحوبه فيها وبكل من هذين
المعنيين فارق غيره من الصفات الحالة الثانية ان يخلع عنه ما امتاز به من الصفات ويتجرد للمعنى الوضعي
الحالة الثالثة ان تبقى عليه معانيه الثلاثة ولكن يخلع عنه قيد المعنى الثاني ويخلفه قيد آخر وذلك ان
المعنى الثاني وهو الاشتراك كان مقيداً بتلك الصفة التي هي المعنى الاول فيصير مقيداً بالزيادة التي هي المعنى
الثالث الا ترى ان المعنى في قولهم العسل احلى من الخل ان للعسل حلاوة وان تلك الحلاوة ذات زيادة
وان زيادة حلاوة العسل اكثر من زيادة حموضة الخل قاله ابن هشام في حواشي التسهيل وهو بديع جداً الحالة
الرابعة ان يخلع عنه المعنى الثاني وهو المشاركة وقيد المعنى الثالث وهو كون الزيادة على مصاحبه فيكون
للدلالة على الاتصاف بالحدث وعلى زيادة مطلقة لا مقيدة وذلك في نحو يوسف احسن اخوته وقوله
لا بالاضافة اي ليس حسنه بالاضافة الى ما اضيف اليه بل مبالغة وزيادته بالاضافة الى مبالغة ما اضيف اليه
ظاهر وعليه ما قيل الاظهر حينئذ تشبيهه بقوله الاشج والناقص اعدلا بني مروان وفي البحر يمكن الاشتراك
فيهما في الحسن فيكون المأمور به احسن من حيث الامتثال وترتب الثواب عليه ويكون المنهي عنه حسناً باعتبار
الملاذ والشهوة فيكون بينهما قدر مشترك في الحسن وان اختلفا متعلقاً من حاشية مولانا الشهاب عليه الرحمة

في الجنس مطلقا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء سأوريكم دار الفاسقين
دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا
تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اورثت الذين
وتوبيخ قوله واورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون
في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها
وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي
بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها
لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرَّشَد
بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسُّقم والسَّقَم والسَّقام وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف
ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة
او ما وعد الله في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون
الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا
من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها
بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب
على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل
له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل
فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه فيصوت وانما نسب الاتخاذ
اليهم وهو فعله لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى
الم يروا حين اتخذوه الها ~~انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى~~

انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى
والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير مواضعها
فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر
يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها
وقيل معناه سقط الندم في انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا
لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب
وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب
لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او
من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم
امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم
الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم
والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التوراة كانت
سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل
كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما
بانه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب
الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء
بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف
لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم
التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا
قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين

معدودًا فی عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصیر قال رب اغفر لی ما صنعت باخی ولاخی

ان فرط فی کفهم ضم الیه نفسه فی الاستغفار ترضیة له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا فی رحمتك

بمزید الانعام علینا وانت ارحم الراحمین وانت ارحم بنا منا علی انفسنا ان الذین اتخذوا

العجل سینالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة فی الحیوة الدنیا

وهی خروجهم من دیارهم وقیل الجزیة وکذلك نجزی المفترین علی الله ولا فریة اعظم من

فریتهم وهی قولهم هذا الهکم واله موسی ولعله لم یفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذین عملوا

السیئات من الکفر والمعاصی ثم تابوا من بعدها من بعد السیئات وامنوا واشتغلوا بالایمان

وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحیم وان

عظم الذنب کجریمة عبدة العجل وکثر کجرائم بنی اسرائیل ولما سکت سکن وقد قری به

عن موسی الغضب باعتذار هارون او بتوبتهم وفی هذا الکلام مبالغة وبلاغة من حیث

انه جعل الغضب الحامل له علی ما فعل کالامر به والمغری علیه حتی عبر عن سکونه بالسکوت

وقری سکت واسکت علی ان المسکت هو الله تعالی او اخوه او الذین تابوا اخذ

الالواح التی القاها وفی نسختها وفیما نسخ فیها ای کتب فعلة بمعنی مفعول کالخطبة

وقیل فیما نسخ منها ای من الالواح المتکسرة هدی ورحمة ارشاد الی الصلاح والخیر

للذین هم لربهم یرهبون دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخیر وحذف المفعول

واللام للتعلیل والتقدیر یرهبون معاصی الله لربهم واختار موسی قومه ای من قومه

فحذف الجار واوصل الفعل الیه سبعین رجلا لمیقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روی انه تعالی

امره ان یاتیه فی سبعین من بنی اسرائیل فاختار من کل سبط ستة فزاد اثنان فقال لیتخلف

منکم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد کالب ویوشع وذهب

مع الباقین فلما دنوا من الجبل غشیه غمام فدخل موسی بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه یکلم

موسی یامره وینهاه ثم انکشف الغمام فاقبلوا الیه وقالوا لن نؤمن لك حتی نری الله جهرة

فاخذتهم الرجفة ای الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلکتهم

من قبل وایای تمنی هلاکهم وهلاکه قبل ان یری ما رأی او بسبب آخر او عنی به انك قدرت

على اهلاككم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاككم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ
منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من
العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة
العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا
حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم
إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل
خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء
هداه فيقوى بها ايمانه أنت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وأنت
خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق
طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده
اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل
او للمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول
منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء
في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فأثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة
منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لانافتها
ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون
الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون
بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلعم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة
الى العباد الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا
والرشوة ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف
الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة

والاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين
آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر
امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي
واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون
الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عم قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلعم مبعوثا الى كافة الثقلين وساير الرسل الى اقوامهم
جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق
المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو
وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت
مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما
انزل عليه وعلى ساير الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى
تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة
لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد
في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين
او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون العاملون
بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض
الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء
الصين رآهم رسول الله صلعم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا
بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على
الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحد من اثنتي عشرة
اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد

بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه
ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف
في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل
اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى
كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية
بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة
معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء
بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب
وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة
عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة
ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع
والرفع غير ابن عامر فانه وحده وقرأ ابو عمرو خطاياكم ~~وقرأ ابن عامر خطيئتكم بالجمع ورفع~~
~~التاء من غير الفعل على التوحيد وقرأ نافع كذلك الا انه على الجمع~~ فبدل الذين ظلموا منهم قولا
غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسألهم
للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم
او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر
قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون
في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف
المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ
يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا
ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه وتويد

الاول كان فى يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يُسبِتون من اسبت ولا يُسبَتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلقة بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه مبالغة فى ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرا حفص معذرةً بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسى ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بَيْئَس على فيعل كضيغم وابن عامر بِئْس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ بتخفيف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككِبْد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت فى ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بَيِّس كريّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبَيْس بالتخفيف كهَيْن وبائس على وزن فاعل بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم الله ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتى انسباءهم فتشم

ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيامة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عم بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلعم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم فى الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم فى الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات اى بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عهد رسول الله صلعم ورثوا الكتاب التوراة من اسلافهم يقرأونها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا ياخذون من الرشى فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى فى الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك

ولا يستبدلوا الادنى الذي المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب
بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة عطف على الذين يتقون
وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع
الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد
الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم
واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط
عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه
وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم
ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا
تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من
ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل
من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم اي نصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة
من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف
على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة اي كراهة ان تقولوا
انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء
لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد
عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين
بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل
والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح
والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق
المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر

عامة المفسرين وجمهور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين على اخراج ذرية آدم عليه السلام
من ظهره واخذ الميثاق عليهم في عصره وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال خلق الله آدم ثم مسح ظهره فاستخرج ذريته فقال
خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار
وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل فقال اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل اهل الجنة
حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى
يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار وذكر هذه القصة على البسط والاختصار والاقلال
والاكثار ابن عباس وابن داود وابي بن كعب والكلبي والحسن وعطاء وابو العالية وسعيد بن جبير
وابن جريج ومعمر وعبد العزيز بن يحيى والسدي وعوف ومقاتل ومجاهد وابو مسلم الخولاني وعطاء
بن السائب وعكرمة وابو قلابة وداود بن هند رضوان الله عليهم اجمعين قال ابو العالية جمعهم جميعا
يومئذ فجعلهم ارواحا ثم صورهم ثم استنطقهم واخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا قال فاني اشهد عليكم السموات السبع واشهد عليكم اباكم آدم ان تقولوا يوم القيمة لم نعلم
اعلموا انه لا اله غيري فلا تشركوا بي شيئا واني سارسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وانزل عليكم كتبي قالوا
نشهد انك الهنا لا اله غيرك فاقروا يومئذ بالطاعة ورفع اليهم اباهم آدم فنظر اليهم فرأى منهم
الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال يا رب لو شئت سويت بين عبادك فقال
اني احب ان اشكر ورأى فيهم الانبياء كالسرج وخصوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوة قال
وفي هذا الميثاق قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها وقوله هذا نذير من النذر الاولى وقوله وما وجدنا
لاكثرهم من عهد وفي رواية ابن جريج خرجت كل نفس خلقت للجنة نقية بيضاء وكل نفس خلقت
للنار مظلمة سوداء وهم امثال الخردل في صورة الذر فقال يا عباد الله اجيبوا يا عباد الله اطيعوا
فقالوا لبيك اللهم لبيك فاخذ عليهم العهد بالايمان به وبامره واختلفت الروايات في مكان ذلك
فقال ابن عباس رضي الله عنهما بدهناء الطائف وقال سعيد بن جبير بنعمان السحاب عند عرفات
وقال الكلبي بين مكة والمدينة والطائف وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى بحرا خلف
جبل عرفات وروي انه كان بعد ما رفع الى السموات على باب الجنة في صحراء عرضها مسيرة ثلثين الف
سنة وقال مقاتل ان الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فاخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم
مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر وهم الف امة فقال يا آدم هؤلاء ذريتك
آخذ ميثاقهم على ان يعبدوني ولا يشركوا بي شيئا وعلى رزقهم فقال نعم يا رب فقال الست بربكم
قالوا بلى ثم افاضهم افاضة القداح فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم اصحاب الميمنة وقال
للسود هؤلاء في النار ولا ابالي وهم اصحاب المشأمة ثم اعادهم جميعا في صلب آدم فاهل القبور
محبوسون حتى يخرج اهل الميثاق كلهم من اصلاب الرجال وارحام النساء فمن مات منهم صغيرا
دخل الجنة بمعرفته ومن بلغ العقل لم يغن عنه الميثاق الاول شيئا وكان العهد الاول حجة عليه
قال تعالى وما وجدنا لاكثرهم من عهد — من التيسير للامام النسفي

والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون اى عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود نبا الذى اتيناه اياتنا هو واحد علماء بنى اسرائيل او امية بن ابى الصلت كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلعم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روى ان قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلما بها بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقى هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته التى هى مثل فى الخسة كمثل الكلب كصفته فى اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف ساير الحيوانات لضعف فواده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص اى المذكورة على اليهود لعلهم يتفكرون تفكرا يودى بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الايات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان

قوله والشرطية فى موضع الحال اى على السفاقسى ان الشرطية تقع حالا مطلقا لكن فى الضوء ان الشرطية لا تكاد تقع بتمامها حالا فاذا اريد ذلك جعلت خبرا عن ضمير ذى الحال نحو جاءنى زيد وهو ان تساله يعطك فتجعل جملة اسمية مع الواو لان الشرط لصدارته لا يكاد يرتبط بما قبله الا ان يكون هناك فضل قوة نعم يجوز اذا خرجت عن حقيقتها بان عطف عليه نقيضه او لم تعطف ولا بد فى الاول من حذف الواو نحو اتيك ان تاتنى او لم تاتنى لانه تحول الى معنى التسوية كالاستفهام واما الثانى فلا بد فيه من الواو نحو اتيك وان لم تاتنى اذ لو حذفت التبس بالشرط الحقيقى وقال الطيبى ان الاية من القسم الاول ولذا تركت الواو لان المعنى حمل عليه او لم تحمل قلت المعروف فيه ترك الجواب وقيل الظاهر جعل الشرطية بيانا وتفسيرا للمثل كقوله كمثل ادم خلقه من تراب وفيه نظر لان التمثيل فى الخسة لا فى اللهث وعدمه فتدبر قوله اى مثل القوم ساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر ومثلا تمييز مفسر له ويستغنى بتذكيره وجمعه وغير ذلك عن فعل ذلك بضميره كما بين فى النحو واصل ساء التعدى لواحد والمخصوص بالذم لا يكون الا من جنس التمييز المفسر للضمير فيلزم صدق الفاعل والتمييز والمخصوص على شى واحد والقوم مغاير للمثل فهنا فلازم تقدير محذوف من التمييز او المخصوص اى ساء اصحاب اى اهل مثل او مثل القوم وقرئ باضافة مثل القوم ومثل بكسر فسكون للقوم ورفعه فساء للتعجب وتقديرها على فعل بالضم كقضو الرجل ومثل القوم فاعل او ما سواهم والموصول فى محل جر صفة القوم او هى بمعنى بئس ومثل القوم فاعل والمخصوص هو المخصوص فى محل رفع بتقدير مضاف اى مثل الذين الخ وقدر ابو حيان فى هذه القراءة تمييزا ورد بانه لا يحتاج الى التمييز اذا كان الفاعل ظاهرا حتى جعلوا الجمع ضرورة على تكمنة مذاهب فيه المنع مطلقا والجواز مطلقا والتفصيل فان كان مغايرا جاز نحو نعم الرجل شجاعا زيد والا امتنع فمراد المصرح ان تقديره ساء مثل القوم الذين كذبوا انفسهم الا ان قوله تعالى ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا لا يساعده كما قيل او مثل الذين وقيل التقدير ساء مثلا القوم هو فتدبر من حاشية مولانا الشهاب عليه الرحمه

وبالم لا يخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون
تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة
للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين
كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هدى الله بالمهتدي
تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه
المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين
على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين
لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات
والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع
او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما
يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا
كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات
فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين
فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم
فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم
عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي
فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق
وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة
على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد
منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي
امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول وغيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا

باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد والاستنزال
درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف
من الله تعالى بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى تحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف
على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان
وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلام من جنة جنون روي انه عليه السلام صعد على
الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت
الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا
نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا
التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي
امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية
او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع
حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فباي
حديث بعده اي بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع
والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل
اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا
به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له
ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله
وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون
حال منهم يسألونك عن الساعة اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها
بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها
ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي
وقت وهو من اوى لان البعض آو الى الكل قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على

غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السموات
والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تأتيكم الا
بغتة فجاءة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته
والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل
من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك
يعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك
قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم و
وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه اي تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله
كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند
الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري
عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى
لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم هم
المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من
نفس واحدة هو آدم عليه السلام وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله
جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى
جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا
خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة فمرت به
فاستمرت به اي قامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف فاستمرت وفارت من المور وهو المجيء والذهاب
او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء
للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من
الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما
له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه

مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام
وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب
وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليهما وقال اني من الله
بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان
اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث ~~وكان اسمه حارثا في الملائكة~~ وامثال
ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي
وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف
وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما
وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير
الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع
بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم
الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل
ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا
يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على عدم دعائهم ان الذين
تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي
قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا
يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب
عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص
والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون
عليه من مكروه انتم وشركاؤكم فلا تنظرون ولا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه

ان وليّ الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين
من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو
اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد
او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة
وامر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم
بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان
نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنخس
والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله
انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك
عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم
طايف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم
تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب
طيف على انه مصدر او تخفيف طيّف كليّن وهيّن والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون
عنها والآية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان
الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرأ نافع يمدونهم من امدّ
وقرئ يمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم
لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون
عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير
الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم باية من القرآن او مما اقترحوه
قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع

مايوحى الي من ربي لست بمختلق للايات ولست بمقترح لها هذا بصاير من ربكم هذا القران بصاير
للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة
الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرا القران مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما
خارج الصلاة واحتج به من لا يرى القراءة على الماموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام
في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للماموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما
هو مذهب الشافعي رض تضرعا وخيفة متضرعا وخايفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق
السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدو والعشيات
وقرئ والايصال وهو مصدر اصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن
ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملايكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه
وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين
ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلعم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول
يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرا سورة
الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال مدنية وايها ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال اي الغنايم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل
كما سمي به ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي
امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنايم بدر انها كيف
تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلعم لمن كان له غناء ان ينفله
فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ
والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلعم
بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رض وعن سعد بن ابي
وقاص رض قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت

246

واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القران
في صلاة وغير صلاة ثم صار سنة في غير الصلاة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه
القران وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه وقيل معناه واذا تلا عليكم
الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له كشاف
الغناء بفتح الغين المعجمة والمد النفع والشبان جمع شاب والوجوه السادات والردء
براء مهملة مكسورة ساكنة وهمزة العون والظاهر ان المراد به هنا الملجأ وتنحازون اي
تنضمون اليهم اذا رجعتم واصل الانحياز الانتقال من حيز الى حيز ومنه قوله تعالى او متحيزا
الى فئة شهاب
قوله لمن كان له غناء ضبطه المولى الشهاب بالغين المعجمة بمعنى النفع وضبط في بعض النسخ المقروءة
على المشايخ بالمهملة من عني عناء بمعنى تعب ونصب ووقع في الكشاف موقع غناء بلاء
من قولهم ابلى فلان في الحرب بلاء حسنا اي اظهر باسه حتى بلاه الناس وخبروه كما في الاساس
وهذا يؤيد ضبطه بالمهملة ويناسب السياق من قوله فتسارع شبانهم الخ لمحرره

بر رسول الله صلعم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسلونك الانفال اي يسئلك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامات وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان

وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السما فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ما كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلعم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلعم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن ~~اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن~~ اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلعم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ رحمة الله عليه وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني

انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس
وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك
فكره بعضهم قوله يجادلونك فى الحق فى ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقى العير عليه بعد ما
تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اى
يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم
اذ روى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثانى مفعولى يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم
بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعنى العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا
ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعُددهم والشوكة الحدة مستعارة
من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها فى هذه الحال او
باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون
ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق
الحق ويبطل الباطل اى فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم
انهم لما علموا ان لا محيص لهم من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث
المستغيثين وعن عمر رضى الله عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة
ومد يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال
كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فاستجاب لكم انى ممدكم بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة
القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين
او بعضهم بعضا من اردفته انا اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم
من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى متبعين ومتبعين بمعنى انهم

كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردّفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين
فادغمت التاء فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل وبالضم على الاتباع وقرئ
بآلاف ليوافق ما فى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا
على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقد روى
اخبار تدل عليها وما جعله الله اى الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم
فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد
الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا
منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر
او بما فى عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشئ
اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس
بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن
معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشى
وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا
يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله
يهاب النوم ان يغشى عيونا ٭ تهابك فهو نفار شرود ٭ وقرئ امنة كرحمة وهى لغة وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعنى الجنابة لانه
من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال
كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله
وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض
على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت
عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام
اى بالمطر حتى لا تسوخ فى الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة اذ يوحى ربك بدل ثالث

او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على
ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة
اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه
دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او
على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا
لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان
اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب
للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه
من الشق لان كلا من المتعاندين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم
وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما
اعد لهم في الاخرة بعدما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله
الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم
لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى
ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان
الكفر سبب العذاب الاجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف
الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم
الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله
حرض المؤمنين الاية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم
متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا
بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة ومنحازا
الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي

ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلعم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا
لغو لا عمل لها او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد
العدو على الضعف لقوله الان خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بدر والحا
ضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في
قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها
فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق
مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا
اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره
ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم
ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها
الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى
وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله
رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم
فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب لبابة بن ابي الحقيق
على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده
في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة
الايات وقد فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة
الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن
كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال
حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف

ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر وحفص بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الاية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستاثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤكد ذلك يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطية والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عم مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال له ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلاة

لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال

لا تعجبن الجهول حلته • فذاك ميت وثوبه كفن • او مما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تع بل احياء عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط او جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين

157

آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرايض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول
في الغنايم وروى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح
اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من ارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم
سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه
اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى
حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما
ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلعم هو الذى يحلنى فجاءه
فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال
عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفا التمام واستعماله في ضد
الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على
الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علما تميزون الحسن من
القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله تع ليبلوكم
فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابى لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضا الله عليهم وراعى
حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يوديكم اليه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المومنين واذلال
الكافرين او مخرجا من الشبهات ونجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم
من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر عنكم سياتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز
والعفو عنها وقيل السيات الصغاير والذنوب الكباير وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في
اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى
تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل
واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم
واستيلايه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح

من

من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك
بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا
في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم
فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا
منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم
من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من
ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى
ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا ويضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في
القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى
فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل النبي صلعم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رض على مضجعه
وخرج مع ابي بكر رض الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او
بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا
والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يصلح للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها
ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول
النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم
وقيل هو قول الذين ائتمروا في امره عليه السلم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا
ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا
سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير
الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام هذا القائل ابلغ في الجحود
روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عليه السلم ويلك انه كلام الله فقال
ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب
اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع

تتمة الحاشية مولى السنان بعد قوله هذا ما انساق اليه ذهني عند النظرة الاولى

ثم كررت النظر واطلقت الفكر فتقرر رأيي على انه سلك مسلكا غير ما ذهب اليه الزمخشري
وهو ان اللام في الحق ليس للجنس كما هو مبني كلام الزمخشري بل للعهد الخارجي وذلك لان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قال للنضر ويلك انه كلام الله اي لا اساطير الاولين قال اللهم ان كان هذا هو
الحق اي اراد الحق المعهود اي منزلا من عند الله لا اساطير الاولين كما قال محمد فاللام افاد
تخصيص المسند اليه بالمسند فان تعريف المسند كما يكون لتخصيص المسند بالمسند اليه وهو الشائع
الكثير يكون لتخصيص المسند اليه بالمسند وههنا كذلك وحينئذ يكون الفصل لتأكيد ذلك التخصيص
الذي افاده اللام وقد سبق مثله في قوله الا انهم هم المفسدون ان يرشدك الا ان هذا قوله يروي
انه لما قال النضر الخ وقوله حقا منزلا بدون حرف التعريف فيكون قوله وفائدة التعريف
عاما للوجهين لا خاصا بالثاني وانما اعرض عن مسلك الزمخشري لعدم ثبوت من قال بالقول
المذكور على وجه التخصيص حتى يكون قول النضر واردا بطريق المجاراة ولا وجه ايضا للتخصيص
باحد وجوه القصر فتأمل — سنان افندي

قال المولى الشهاب بعد ما نقل هذه التتمة ما نصه ولا يخفى انه ليس في كلامه ما يدل على العهد ولا على
الحصر وقوله منزلا ليس اشارة لذلك بل بيان لقوله من عندك واما ما تمسك به من انه
لم يثبت قول قائل على وجه التخصيص فليس بشيء فان قول النبي صلى الله عليه وسلم انه كلام الله
ليس معناه الا ذلك عند التأمل وكون الزمخشري قال ان التعريف للجنس لا وجه له بل ظاهر
كلامه انه للعهد اذ المجاراة تقتضيه فما اختاره تعسف ظاهر انتهى

وقوله هو الحق تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق — كشاف
اما التخصيص فمن تعريف المبتداء واما التعيين فمن كون المبتداء اسم اشارة — يمني حاشية كشاف

قوله والمراد بالاستغفار استغفار من بقي فيهم من المؤمنين ذكر في هذه الآية وجوها كلها لا تخلو الاول ان
عن كلفة فان المراد بالاستغفار من بقي فيهم كما قيل طلب المغفرة او توفيق الايمان ومجرد هذا الطلب مع عدم
الاجابة كيف يكون سببا لدفع العذاب والتوجيه بان الاستغفار لعظم مرتبته قد يدفع به العذاب
عن امثال هؤلاء الكفرة وان كان صادرا عن غيرهم غير مقرون بالاجابة تكلف بارد وايضا اسناد الاستغفار
الى ضمير الجميع حال كونه عبارة عن اهل مكة باعتبار صدوره عن البعض لا يخلو عن تكلف وايضا في كون
هذا الضمير عبارة عن الكل مع ان ضمير يعذبهم للكفار ضرب من التفكيك والانتشار الا ان يعمم هذا
ولا يخفى ما فيه من التكلف وكذا حال الوجه الثاني فان قولهم غفرانك غير مقرون بالاجابة مع ان
غفرانهم في الآخرة لا ينافي العذاب في الدنيا الا ان يراد المغفرة المقرونة بالتوفيق الى الحق لكنه يأباه
قولهم فامطر علينا حجارة من السماء بدل فاهدنا به ثم انه اشار حيث اورد كلمة لو الى امتناعه الى
ان مآل الوجه الثالث نفي الاستغفار عنهم وصرح به في الكشاف فقيل كان هذا من دلالة القرينة والمقام
لا من نفس الكلام والكلام متعين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم نفي كونه فيهم ثم قيل الحال قيد والنفي
في الكلام راجع الى القيد فيستفاد النفي من نفس الكلام ونقض بان وانت فيهم حال ايضا ثم قيل
الاستغفار عن الكفر سيأتي في التعذيب وقد ثبت انهم معذبون بمفارقة النبي عليه السلام ولقوله تعالى
وما لهم ان لا يعذبهم الله فينتفي الاستغفار واجيب بان كونه فيهم سبب في تحكم العادة وقضية الحكمة
تعذيبهم وقد تبين انهم معذبون ثم قيل كونه فيهم ليس مما استمر بل نزول الآية بعد حدوث التعذيب واجيب
بان الاستغفار عن الكفر يحتمل ذلك غايته انه احتمال بعيد ثم قيل ويمكن ان يقال بهم يستغفرون
للاستمرار فينتفي بالتعذيب ولو بعد حين بخلاف وانت فيهم فانه لمجرد الثبوت وهو يتحقق بالم يفارقهم
ولم يصبهم العذاب وهذا انما يتم اذا جعل واهلها مصلحون للاستمرار والدوام دون مجرد الثبوت
انتهى وانت خبير بان ماله الى تصحيح الوجه الثالث بضرب من التغيير فان مبناه كما نص عليه الزمخشري
على كون المنفي نفس الاستغفار ومبنى التوجيه على كونه استمراره لا نفسه فتأمل سنان افندي عليه الرحمة

على ان هو مبتدا غير فصل وفايدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي
يدعيه النبي صلعم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير
الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما
كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب
استيصال والنبي صلعم بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما
استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا
لم يعذبوا كقوله تع وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا
يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد
الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلعم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام
الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن
ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك
الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه
كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان
صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء
صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية تصفيقا تفعلة من الصد
او من الصدى على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم
ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه
صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلعم ان يصلي يخلطون عليه ويرون
انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام
يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر
رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان رضي الله عنه استاجر

ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في
اصحاب العير فانه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا
ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن
انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم
فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض
الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما
لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون
اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى
جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن والفساد من الصلاح
واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله
صلعم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه
ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه
كمال الخاسرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث
او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم
قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول صلعم
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم
ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنت الاولين الذين تحزبوا
على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر
فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون من الجهاد
والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه
بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا

قل للذين كفروا اي ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم
به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراة ابن مسعود اي ان انتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين
منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا
فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف
لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله
وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله تعالى وتبقى عليه
حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات
المتروكة في حال الردة وقبلها من الكشاف

ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اى الذى اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم
الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر
والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على
المعطوفين وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه
يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلعم يصرف الى ما كان يصرفه
اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة رض سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة
الباقية وعن مالك رض الامر فيه مفوض الى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى
ظاهر الاية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ
قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول
صلعم وذووا القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه عليه السلام قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال
عثمان وجبير بن مطعم رضى الله عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك
الله منهم ارايت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام
انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا فى اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش
والغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد
باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم فالعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل
كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا
من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا
انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا امر
به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا
محمد من الايات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر
فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على

نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة
بالحركات الثلاث شط الوادى وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو
ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو
كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا
والركب اى العير او قوادها اسفل منكم فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب
وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف
شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة
الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة
القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم
وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس
الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد
ليقضى الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حى عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها
ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة
او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام
والمراد بمن هلك ومن حيى المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله فى علم الله وقضائه وقرئ
ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيى بفك الادغام للحمل على المستقبل
وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتماله
على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان
او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك
فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم فى الامر
امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع

انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم
قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن
مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلعم
ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال
ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر
قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل
كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض
دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل
به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك
وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان
المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا
في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم
من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه
عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من
الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا
جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة
من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان
النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا
ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة
حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة
وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل
لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب
فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين

مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون
عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على
تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم
في معاداة الرسول صلعم وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار
لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة
عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم
انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى
اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا
ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة
وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم
فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجير لكم من بني
كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا
في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما
بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني
هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله
اني اخاف ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ
رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون
من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين
لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف
لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حين تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم
ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل
من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى

ولو ترى فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف
ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه
قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله تع وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم
والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة
او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم او استاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون
ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون
ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت
النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك اى الضرب والعذاب بما قدمت
ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد
عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير
ذنوبهم ~~لا ان يعذبهم بغير ذ~~ لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه
ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل
العبيد كدأب آل فرعون اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى
دأبوا فيه اى داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم
فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوى شديد العقاب لا يغلبه فى دفعه شئ
ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا
اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم
فى صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول صلعم ومن تبعه منهم والسعى فى
اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث
وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة
للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله
سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة

على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى
لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش
كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا
فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون
والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود
قريظة عاهدهم رسول الله صلعم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم
عاهدهم فنكثوا ومالئوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين
معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون
الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب
فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة
والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى
واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون
واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم
على سواء على عدل وطريق قصد فى العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء
فى الخوف او العلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اى ثابتا على طريق
سوى او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر
بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبى صلعم
وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد
او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو
ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح
على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل للنهى
اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم

وكذا ان كسرت ان لانه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد
وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن فلت من المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد
او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته صلعم يقول
على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل
اسم الخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا
ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم البا وسكونها جمع رباط
وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون
بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم
من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم
الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع
العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح او
الاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها
فيه قال ه السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم
وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه
هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة
نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك
قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك
بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى
شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا
من معجزاته صلعم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم
الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة
والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز
تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريد حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل

الآية في الأوس والخزرج كان بينهم إحن لا أمد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم
الله ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وصاروا أنصارا يا أيها النبي حسبك الله كافيك
ومن اتبعك من المؤمنين إما في محل النصب على المفعول معه كقوله إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا
فحسبك والضحاك سيف مهند أو الجر عطفا على المكني عند الكوفيين أو الرفع عطفا على
اسم الله تع أي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع النبي
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رض فنزلت ولذلك قال ابن عباس رض نزلت في
إسلامه يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه وأصله الحرض وهو أن ينهكه
المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد
بأنهم إن صبروا غلبوا بعون الله تع وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الاثنين
ووافقهم البصريان في وإن تكن منكم مائة بأنهم قوم لا يفقهون بسبب أنهم جهلة بالله واليوم
الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون
من الله إلا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله لما أوجب على الواحد منهم مقاومة
العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم
قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة
على أن حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين
فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين
بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد أن يكون له أسرى وقرأ البصريان
بالتاء حتى يثخن في الأرض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي
أهله من أثخنه المرض إذا أثقله وأصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون
عرض الدنيا حطامها بأخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب
نيل الآخرة من إعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف كقوله

اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم
ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين
وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمومنين روى انه عليه السلام اتى يوم
بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشارهم فيهم فقال ابو بكر رض قومك
استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك فقال عمر رض اضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب لي ومكن
عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلعم وقال ان الله
ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد
من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا
الفداء فنزلت فدخل عمر رض على رسول الله صلعم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض
علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبياء عليهم السلام يجتهدون
وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته
في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح
لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء
عذاب عظيم روى انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك
لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا
عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا
وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر
اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على
الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم
اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم

الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس رض
كلفه رسول الله صلعم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال
يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله
والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي تع قال فاشهد انك صادق وان لا اله
الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس
فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله
ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد
خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل
يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا
اوطانهم هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في
الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين اووا
ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء
بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب
حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين امنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرا حمزة
ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول
عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون
بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث وهو بمفهومه يدل على منع التوارث
او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل
بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة

في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير
والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا
لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل
مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدلهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق
كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القرآن
واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها
بالاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلعم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع
له يوم القيامة وشاهد انه برئ من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له

سورة براءة مدنية

سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء
اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة
والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري
منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم
ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل وتسع وعشرون

وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان صلعم اذا نزلت
عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال
وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة
في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله
براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله
ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ
بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين
وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين
اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي
العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين
اربعة اشهر ليسيروا اين شاءوا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي
الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر
من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلعم عليا رضه
راكبا العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها
الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي رضه سمع ابو بكر رضه الرغاء فوقف وقال هذا
رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية
خطب ابو بكر رضه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع
ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة
وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلعم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام
بعث لان يؤدي عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى
العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ
هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين
بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال
بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد
لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر
عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة
ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله
فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيدهم
اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين
اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها

الاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان
قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس
ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة
او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه
هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء
من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا
منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين
ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ
خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر
الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها نسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم
وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام
واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك
بالايمان واقاموا الصلاة واتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم
ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله
ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدهم
الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك
فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه
ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعوا
ويتدبروا كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار
والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله

بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاول
صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا
تبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء
او الجر على البدل والرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد
الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد
فاستقيموا على الوفا وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما
تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم
على العهد وبقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله هو خبرتماني
انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم
اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان
لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق
للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم
استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية
وقيل اشتقاقه من الل الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله
لانه قرئ ايلا كجبرال وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم
استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا
يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات
ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر
والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما يتفوهون به
افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر
لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات
الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات
فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والقفاء

للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه
لا يرقبون فى مؤمن الاً ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام فى المنافقين وهذا
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك
هم المعتدون فى الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم
فى الدين فلهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض
للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا فى دينكم
بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير
للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم فى الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة
رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر
وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا
ايمان لهم اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا
طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف
لان المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا
ايمان لهم بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لا يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون
بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون
متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم فى المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة
المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار فافادت المبالغة
فى الفعل نكثوا ايمانهم التى حلفوها مع الرسول صلعم والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا فى امره بدار الندوة على ما ذكر فى قوله واذ
يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدءوكم
اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى
به فعدلوا عنه الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم

اتخشون

قوله ولم يتبين المخلص منكم اشارة الى ان لما كلمة نافية وبينهما فرق مذكور في النحو وهذا بيان لمعنى النظم كما في الكشاف بعينه وفي الكشف انه يخالف بظاهره اوله اخره لدلالة اوله على ان العلم مجاز عن التمييز والتبيين بعني مجاز ارسلا باستعماله في لازم معناه واخره على انه كناية عن نفي المعلوم اي لم يوجد ذلك اذ لو وجد كان معلوما له تعالى فهو نفي له بطريق برهاني بليغ واجاب بانه اشارة الى انه استعمل لنفي الوجود مبالغة في نفي التبيين وما ذكره اولا حاصل المعنى وذلك لانه خطاب للمؤمنين الثابتين لهم وحثا على ما حضهم عليه بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا وبخوا على حسبان ان يتركوا ولم يوجد فيما بينهم مجاهد مخلص دل على انهم ان لم يقاتلوا لم يكونوا مخلصين وان الاخلاص اذا لم يظهر اثره بالجهاد في سبيل الله ومضادة الكفار كلا اخلاص ولو فسر العلم بالتبيين مجازا لم يحتج الى المبالغة انتهى ولذا قيل لم يرد به تفسير الاية على ان يكون المخلص منصوبا مفعولا للتبيين فانه يتعدى كبين تقول بينت الامر فتبين اي عرفته لمنافاته لما يجيء ومن ضيرهم متعلق به لتضمنه معنى الامتياز قوله من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه قيل قوله في الكشاف المعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم يقتضي ان تصرف المبالغة الى الثبوت يعني ان للمعنى على التوبيخ والانكار فنفي العلم في التحقيق اثبات له على وجه الانكار فاذا اريد بالعلم المعلوم يكون مبالغة في ثبوت المعلوم لان العلم كالبرهان على المعلوم من حيث ان تعلق العلم به على ان قوله مستلزم على صيغة الفاعل واما اذا حمل المبالغة على المبالغة في النفي فظاهره غير مستقيم لان انتفاء الملزوم لا يستلزم انتفاء اللازم الا بعد المساواة وحينئذ هو لازم فلا وجه للتعبير بالملزوم الا ان يقرأ مستلزم بفتح الزاي لكنه خلاف الظاهر والمعروف في الاستعمال وقد تابعه من بعده وقد قيل ايضا ان مراد المص رحمه الله ان نفي العلم دليل

[illegible]

قوله خطاب للمؤمنين وقيل للمنافقين واياما كان فهو ترغيب في الجهاد بان يقال ام حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم بالتلفظ من الايمان فلا تؤمروا بالجهاد وتمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب والمراد بنفي العلم نفي المعلوم اي ولم يوجد منكم ما يدل على صدقكم واخلاصكم فيما اظهرتموه من الايمان وجهاد المشركين وهو نظير ان يقال ما علم الله مني ما قيل في والمراد ما وجد ذلك مني ولما كان علم الله تعالى بوجود الشيء لازما لوجوده في نفسه جعل علم الله تعالى بوجوده كناية عن وجوده وعدم علمه بوجوده كناية عن عدم وجوده فانه تعالى يعلم كل ما سيوجد بانه يوجد ويعلمه موجودا حين يوجد لانه يعلم كل شيء على ما هو به والعلم الذي يجازى عليه هو العلم بالشيء بعد وجوده والمص رحمه الله جعل تعلق العلم بالوقوع مستلزما له فجعل نفي العلم كالبرهان على نفي الوقوع من حيث ان نفي الملزوم يكون مستلزما لنفي اللازم في مادة تحقق اللزوم من الجانبين ولو جعل تعلق العلم بالوقوع لازما له لكان نفي العلم برهانا على نفي المعلوم فيكون نفي العلم اثباتا لنفي المعلوم بالبرهان قوله عطف على جاهدوا داخل في الصلة اي الذين جاهدوا ولم يتخذوا فان شعار المؤمن المخلص في ايمانه ان يجاهد اعداء دين الله وان يوالي الله ورسوله ولا يوالي غير الرسول والمؤمنين ولا يتخذ غير اولياء الله من الكفار اولياء وخواص ويحتمل ان يكون في محل النصب على انه حال من فاعل جاهدوا اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين وليجة فان المجاهد قد لا يكون مخلصا بل منافقا باطنه يخالف ظاهره يسخر اده

[illegible]

اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعدهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلعم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رض في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم

الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة اى انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية
والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس
العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلعم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد
وان زوّاري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم
زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمام الايمان به او لدلالة قوله واقام الصلاة وآتى
الزكوة عليه ولم يخش الا الله اى في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل
يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين
في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان
اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا
عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره اجعلتم اهل
سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة
الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة
ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم
الظالمين اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون
الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى
رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك
هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات
لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه
وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل
ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا
تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا

آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة
الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة
لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك
هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة
وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون
كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ منه فتربصوا حتى يأتي الله بامره
جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين
لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن
الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر
الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على
موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها
اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلعم والمسلمون
وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن
وثقيفا وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلعم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم
من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على
كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلعم في مركزه ليس معه الا عمه العباس
آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال
للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا
عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا
حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن
عنكم اى الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اى

سعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا
مكان له ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال
ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا
واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا
وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف
الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء
كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور
رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلعم واسلموا
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد
سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما
اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلعم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين
وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت
نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا
رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد
رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب
الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على
ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضه ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر
النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم
وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة
لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في
المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة
وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من
قدومهم من المكاسب والارزاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد انجز

وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم
البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة ~~على انها مصدر عائلة~~
على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الامال الى الله ولينبه على انه
متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم
باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما
على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون
اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر
الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية
ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن
يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل
فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من
الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم
صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رضه تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الاية
يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد
عبد الرحمن بن عوف رضه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب
وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية
عندنا وعند ابي حنيفة رضه تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه السلام
صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعن مالك رضه تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها
في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما
وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود
عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك
لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام

امل عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا
القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي
ويعقوب بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى
اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف
والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر
وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون
ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك
قولهم بافواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد
عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون
قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا
الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه
وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله
دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون
عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم
ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم اي وما امر المتخذون او المتخذ
اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله واما
طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية
او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون
ان يطفئوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة
محمد صلعم بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز
الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلعم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء
نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل

موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر
ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر
بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس
اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا
لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة
في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه
ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل
كبر على المسلمين فذكر عمر رض لرسول الله صلعم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها
ما بقي من اموالكم وقوله عم ما ادي زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على
الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفرا او بيضاء
كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عم فيما اورده الشيخان مرويا عن
ابي هريرة رض ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت
له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما يوم
يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء
للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من
صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير
ودراهم كثيرة وانما قال عليها او المذكور كما قال علي رض اربعة آلاف وما دونها نفقة وما
فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيها للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما
بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب
اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب

الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل
واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء
الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن
ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها
فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان
عدة الشهور ان مبلغ عددها عند الله معمول لعدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله
في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنى عشر وقوله هذا امر ثابت في نفس الامر مذ خلق
الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القيم دين ابراهيم واسمعيل
والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور
على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم
وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر
الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى انه عم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين
في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء
فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة
وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا
جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر
واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء
فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا اخره زيادة
في الكفر لانه تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين
كفروا اضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل
على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون المنسي من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا
آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل ان اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني

كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في قابل
ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله
اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين
فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ
على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم
الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق
به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم
من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة
الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا فما التمتع بها في
الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما
بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني
عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة
ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما
قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره كما نصره اذ اخرجه الذين
كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه
او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في
غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ
ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على
الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في
اعلى ثور وثور جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني
لصاحبه وهو ابو بكر رض لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا

نوحى الغار فاشفق ابو بكر رض على رسول الله صلعم فقال عم ما ظنك باثنين الله ثالثهما
الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه ~~وقيل لما دخلا الغار فجعلوا يترددون حوله~~
فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فانزل الله سكينته امنته التى تسكن عندها القلوب عليه على النبى صلعم او على صاحبه وهو الاظهر
لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه فى الغار او ليعينوه
على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى يعنى الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هى العليا يعنى التوحيد او
دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلعم عن ايدى الكفار الى المدينة فانه المبدأ
له او بتاييده اياه بالملائكة فى هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب
كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية
فى نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم
فى امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها
او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام
مكتوم لرسول الله صلعم اعلى ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم
وانفسكم فى سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون
الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا
اى لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك
لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين وسيحلفون بالله اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا
يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها
بواو الضمير فى قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا
من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها فى العذاب وهو بدل
من يحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم

لكاذبون فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه فى الاذن
فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شىء اذنت
لهم فى القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا
فى الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلعم شيئين لم يؤمر بهما اخذ الفداء
واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا وان الخلص منهم
يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك فى التخلف عنه او ان يستأذنوك
فى التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما
يستأذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر
فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت
قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة اهبة
وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وعده بكسر العين
باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج
كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم
بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او
وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين
يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم
شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة
باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثنا منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولا وضعوا
خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير
وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب
فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعوه
او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يأتون

منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه
كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول صلعم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا
يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق
النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون اى على رغم منهم والآيتان
لتسلية الرسول صلعم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم
له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلعم بالمبادرة
الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة
اى العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن
او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي
ان الجد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر اعينك بمالي فاتركني
الا في الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما
احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن لان احاطة اسبابها
بهم كوجودها ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان
تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا
بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجمعهم له او عن الرسول
وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه
من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ
هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم
يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا
ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون
بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا

انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اى
لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول
كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول الجد بن قيس واعينك
بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يأخذه منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين
تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل
بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلاة الا
وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما
عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم
بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد
والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة
فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة
المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون
بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا
او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا
اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم
يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من
يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا
منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال
الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي
الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلعم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة
بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا
للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول

من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا
حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله ورسوله صدقة او غنيمة اخرى فيؤتينا
اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب
محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله
الرسول عليه السلام فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوات لهؤلاء المعدودين
دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير
من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه اصيب فقاره والمسكين من له مال
او كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز اسكنه ويدل عليه قوله اما السفينة فكانت لمساكين
وانه عليه السلام سأل المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين
عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف
قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلعم
عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على
ان يسلموا فانه عم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد
منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد
الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون
المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان
يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل
للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء
او لاصلاح ذات بين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة الا لخمسة لغاز في سبيل الله
او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع
الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله
فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن

في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية
يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم
ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس
وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة واختاره
بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رح على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم
لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه
سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك
او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كأنف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول
ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن لكن لا على الوجه
الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به
لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة
للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين
آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا
بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب بفعل
دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على
ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون
بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم اي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين
والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين
او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول
كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله
يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد
ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك
فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين

سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان تكون الضماير للمنافقين
فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا
في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولون
فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه
من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلعم في غزوة تبوك فقالوا انظروا
الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال
قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه
الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم
بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا
باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد
ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان يعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء
والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء
والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء
والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من
بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب
لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على
مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا
ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في التمرد والفسوق عن دايرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم
من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق

كالذين

كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر
اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا
واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم
بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او
كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة
الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا
بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوضة واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين
وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت
فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن
انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم
يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في
مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله في ساير الامور اولئك
سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده
حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ
والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عم عدن دار الله التي لم ترها
عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله
طوبى لمن دخلك ومرجع العطف يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع

او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابتهاج الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه
طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات
التى لا يخلو عن شىء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار
اقامة وثبات فى جوار العليين لا يمسهم فيها فنا ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك
فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز
باللقا وعنه عليه السلام ان الله تع يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شىء افضل
من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم
هو الفوز العظيم الذى تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم فى ذلك ولا تحابهم وماويهم جهنم
وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى انه عليه السلام اقام فى غزوة تبوك شهرين
ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا
لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس
وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام
وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك
ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح
فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا
عبد الله بن ابى وان لم يرض رسول الله صلعم وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث
نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك
من العيش فلما قدمهم رسول الله اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته
اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك
خيرا لهم هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب وان يتولوا بالاصرار

على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير
فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
نزلت فى ثعلبة بن حاطب اتى النبى صلعم وقال ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة
قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا
لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل
واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلعم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد
فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا
بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا
اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايى فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعنى ان اقبل منك
فجعل يحثو التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله صلعم
فجاء بها الى ابى بكر فلم يقبلها ثم جاء الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان فلما
اتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم اى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا
وسوء اعتقاد فى قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا
فى قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اى جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله
ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين
فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرى يكذبون بالتشديد
الم يعلموا اى المنافقون او من عاهد الله وقرى بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه
فى انفسهم من النفاق والعزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن
او تسمية الزكاة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع
او منصوب او بدل من الضمير فى سرهم وقرى يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين
فى الصدقات روى انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال
كان لى ثمانية الاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال رسول الله صلعم بارك الله

سبعين مرة

قوله يريد به التساوي بين الامرين اي يعني هذه الجملة الطلبية خبرية والمراد التسوية بين الاستغفار وعدمه كقوله انفقوا طوعا او كرها وقوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم والمقصود الاخبار بعدم الفائدة في ذلك وانهم لا يغفر لهم اصلا وقيل الظاهر ان المراد منه التخيير وهو المروي عنه صلى الله عليه وسلم لما قال عمر رض كيف تستغفر لعدو الله وقد نهاك الله عنه فقال ما نهاني ولكن خيرني فكأنه قال ان شئت فاستغفر وان شئت فلا تستغفر ثم اعلمه انه لا يغفر لهم وان استغفر كثيرا وقيل وليس كما قال القول النسفي رحمه الله سعيد ان يفهم منه التخيير ويمنعه عمر رضي الله عنه وقيل انه ناظر الى ظاهر اللفظ فانه يدل على الجواز في الجملة وفي لفظ التخصيص اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بحرمة الاستغفار للكافر الا انه خص له في ذلك ليظهر عدم القبول الظهور مع ان الكلام لا يخلو عن اشكال وقيل لما سوى الله بين الاستغفار وعدمه ورتب عليه عدم القبول ولم ينه عنه فهم انه مخير ومرخص فيه وهذا مراده صلى الله عليه وسلم لا انه فهم التخيير اذ هي تنافي التسوية بينها المرتب عليها عدم القبول والمغفرة وذلك تطييبا لخاطرهم وانه لم يأل جهدا في الرأفة بهم هذا على تقدير ان يكون مراد عمر رض بالنهي ما وقع في هذه الاية لا في قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين لعدم مطابقته

قوله لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد وبيانه ان الستة عند الحساب عدد تام اذ هو الاصل وزجه عنده شقيقه يهذلهم درقته بهم واستعطاف من عداهم فلا بعد فيه كانوا هم والعدد التام عندهم ما ساوى مجموع كسوره المنطقة وما عداه زائد او ناقص وكسوره سدس وهو واحد وثلث وهو اثنان ونصف وهو ثلثة ومجموعها ستة فاذا زيد عليها واحد كانت اتم في الكمال ولذا قال ابن عيسى الربعي السبعة اكمل الاعداد لان الستة اول عدد تام وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ ليس بعد التمام سوى الكمال ولذا سمي الاسد سبعا لكمال قوته والسبعون غاية الغاية اذ الاحاد غايتها العشر وقال المصرح في شرح المصابيح السبعة تستعمل في الكثرة يقال سبع الله اجرك اي كثره وذلك ان السبعة عدد كامل جامع لانواع العدد وكله اذ الاعداد اما زوج او فرد واما زوج زوج واما زوج فرد فالزوج هو الاثنان والفرد هو الثلثة وزوج الزوج هو الاربعة وزوج الفرد هو الستة والواحد ليس من الاعداد عندهم لكنه منشأ العدد فالسبعة ستة وواحد فهي مشتملة على جملة انواع العدد ومنشئها فلهذا استعمل في التكثير انتهى وقيل انها جامعة للعدد لانها تنقسم الى فرد وزوج وكل منهما اما اول واما مركب

لك فيما اعطيت وفي ما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلعم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله تع يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلعم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه السلام لا زيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبع مائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل فابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض

بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا
لا تنفروا في الحر اى قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون
ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار
عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه
حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد
من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة
وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين
او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة
اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في
معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان
اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة
الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اى المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد
كالنساء والصبيان وقرئ الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد
منهم مات ابدا روى ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل
عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي على بدنه ويصلي عليه
فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وانما
لم يمنعه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان المنة بالقميص
كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر
ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر
ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر
للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عليه على قبره

للدفن والزيارة إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون

تعليل للنهي أولنا بيد الموت ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد

الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون تكرير

للتأكيد والأمر حقيق به فإن الأبصار طامحة إلى الأموال والأولاد والنفوس

مغتبطة عليها ويجوز أن تكون هذه في فريق غير الأول وإذا أنزلت سورة

من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها أن آمنوا بالله بأن آمنوا ويجوز

أن تكون المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول

منهم ذو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين

قعدوا لعذر رضوا بأن يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال

الخالفة للذي لا خير فيها وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة

الرسل من السعادة وما في التخلف عنهم من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا

معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير

منهم وأولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة

والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة بتخفيف

خيّرة وأولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب أعد الله لهم

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم

بيان لما لهم من الخيرات الأخروية وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم

يعني أسدا وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة

العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت طيء على أهالينا

ومواشينا والمعذر إما من عذّر في الأمر إذا قصر فيه موهما أن له عذرا ولا

عذر له أو من اعتذر إذا مهد العذر بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين

ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ

يعقوب معذرون من أعذر إذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد

العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم
فى العين وقد اختلف فى انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون
قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فى غيرهم وهم منافقوا الاعراب
كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم
من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء
ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم
كجهينة ومزينة وبنى عذرة حرج اثم فى التاخر اذا نصحوا لله ورسوله
بالايمان والطاعة فى السر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح او بما قدروا عليه
فعلا او قولا يعود الى الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين
من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين
موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين
فى ذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين
اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب
وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا
رسول الله صلعم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال
المخصوفة نغزوا معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن
معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم
عليه حال من الكاف فى اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض
تسيل من الدمع اى دمعها فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب
على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا
فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله

الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون فى مغرام
انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون
الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب
لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف
ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا
يعلمون مغبته يعتذرون اليكم فى التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه
السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم
لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو
ما فى ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون
عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة
على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما
كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم
انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل
على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك
المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من
اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى
ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون
يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم
بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم
فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم لا يستلزم
رضاء الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد

عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا
يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهى عن الرضا
عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم
الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم و
قساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة
واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن
الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه فى سبيل الله ويتصدق
به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجوا عليه ثوابا
وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه
لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض
بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم
والدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمى بها عقبة
الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل
صدق وقرا ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفى الفتح بضم السين والله
سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من
يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات سبب قربات وهى ثانى
مفعولى يتخذ عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب
صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر
ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له
ان يصلى عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابى اوفى
لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله

بصحة معتقدهم وتصديق رجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه
وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرا ورش قربة بضم الراء
سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه
وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان
وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون
من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا
او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا
سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم
ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين
اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين ومن اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء
اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات
تجري تحتها الانهار وقرا ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين
فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ممن حول بلدتكم يعني المدينة
من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار
كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف
صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين
فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم
وتمهرهم على النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم
فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك
وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك
لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل

اوباحدهما وعذاب القبر اوباخذ الزكاة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طايفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل بالمتخلفين فقدم رسول الله صلعم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب وحب المال المودى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات

يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم
وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم
فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون
فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة
بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين
مرجون موخرون اى موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة
والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله فى شانهم
اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد
للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم
حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن
مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك
اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله تعالى فرحمهم الله تعالى والذين
اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اى وفيمن
وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر
بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد
قبا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه
فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه
ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلعم
فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية
فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك
ابن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم
انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل

واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذى يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين
يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة فى مسجد قبا وارصادا ترقبا لمن حارب
الله ورسوله يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين
حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش
يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام من قبل متعلق بحارب او باتخذوا
اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل
غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فقال
انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه
فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة
الحسنى والارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين
والله يشهد انهم لكاذبون فى حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلاة لمسجد
اسس على التقوى يعنى مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة
او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابى سعيد سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام
وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين
من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلى فيه فيه رجال يحبون
ان يتطهروا من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضات الله
وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم
ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف بباب مسجد قبا فاذا الانصار

جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فأعادها فقال عمر إنهم مؤمنون
وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على
البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب
الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما
الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط
الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا رجال يحبون أن يتطهروا
أفمن أسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير
على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة أم من
أسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي أضعف القواعد وأوهاها
فانهار به في نار جهنم فأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى السقوط في
النار وإنما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة
التقوى تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس
ثم رشحه بانهياره في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على
أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه عن النار ويوصله إلى رضوان الله
ومقتضياته التي الجنة أدناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد
الوقوع في النار ساعة فساعة ثم إن مصيرهم إلى النار لا محالة وقرأ نافع
وابن عامر أُسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه على الإضافة
وأُسس وأَساس بالفتح وإساس بالكسر وثلاثتها جمع أس وتقوى بالتنوين
على أن الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر
جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم
لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر أريد به المفعول وليس
بجمع ولذلك تدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم
أي شكا ونفاقا والمعنى أن بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم

فإنه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك
في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم
قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار وهو في غاية المبالغة
والاستثناء من أعم الأزمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل
أو في القبر أو في النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما وأسفا وقرأ يعقوب
إلى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهي قراءة ابن عامر وحمزة وحفص
وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول
أو كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم
حكيم فيما أمر بهدم بنائهم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في
سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف
ببيان ما لأجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الأمر وقرأ حمزة والكسائي
بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت أن الواو لا توجب الترتيب وأن فعل البعض
قد يسند إلى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فإنه
في معنى الوعد في التوراة والإنجيل والقرآن مذكورا فيهما كما أثبت في القرآن
ومن أوفى بعهده من الله مبالغة في الإنجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فإنه أوجب لكم عظائم
المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح أي هم
التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف
تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى
أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه
الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين العابدون
الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه أو لما نابهم من السراء

والضرّاء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتى الصوم
شبّه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصّل
بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم
الراكعون الساجدون فى الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان و الطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على
انه بما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين
وفى قوله تع والحافظون لحدود الله اى فيما بيّنه وعيّنه من الحقائق والشرائع
للتنبيه على ان ما قبله مفصّل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان
التعداد قد تمّ بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء
تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمّى واو الثمانية وبشّر المؤمنين يعنى
بهم الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه
على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشّر
به للتعظيم كانه قيل وبشّرهم بما يجلّ عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما
كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روى انه عليه السلام
قال لابى طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاجّ لك بها عند الله فابى فقال
لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء
فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استاذنت ربى فى زيارة قبر
امى فاذن لى واستاذنته فى الاستغفار لها فلم ياذن لى وانزل على الآيتين
ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبيّن لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا
على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم
للايمان فانه يجبّ ما قبله وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر
فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه
وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرنّ لك اى لاطلبنّ مغفرتك بالتوفيق

للايمان

للايمان فانه يجبّ ما قبله ويدلّ عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابراهيم ابوه
وهى الوعد بالايمان فلما تبيّن له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحى فيه
بانه لن يؤمن تبرّأ منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاوّاه لكثير التاوّه وهو
كناية عن فرط ترحّمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله
على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضلّ قوما اى
ليسمّيهم ضلالا او يؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبيّن
لهم ما يتقون حتى يبيّن لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول
فى قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا
على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة دليل على ان الغافل غير
مكلّف ان الله بكل شىء عليم فيعلم امرهم فى الحالين ان الله له ملك السموات
والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولىّ ولا نصير لما منعهم عن
الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولى قربى وتضمّن ذلك وجوب التبرّى
عنهم راسا بيّن لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه
ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبرّؤا عما عداه حتى لا
يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبى والمهاجرين
والانصار من اذن المنافقين فى التخلّف او برّأهم عن علقة الذنوب كقوله تع
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخّر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى
ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين
والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام
ينتقص دونه ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار
لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتّبعوه فى ساعة
العسرة فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظهر يعتقب
العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء

حتى شربوا الغيظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعايد عليه الضمير في
منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ
من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير
للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد
انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على
الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا
تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل
لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم
بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه
الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل
قبول توبتهم ليعدوا في التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد
اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم
مائة مرة الرحيم المتفضل عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا
يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا
وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء
الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه
ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة
حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء
البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام
فرحل ناقته واخذ سيفه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب
والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف ووجوب
المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظما شيء من العطش ولا نصب تعب
ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن ولا يدوسون موطئا مكانا
يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر
والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة
ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على
ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن
كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة
الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة
مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا
في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع
بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا
يعملون جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام
لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا
جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من
كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا
الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير

من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم
ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة
ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان
لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة
الى التفقه لتنذر فرقتها كي تتذكروا ويحذروا فلو لم تعتبر الاخبار
ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا
في كتابي المرصاد وقد قيل للاية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما
نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر
من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع
التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود
من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد
الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم
النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امر بقتال الاقرب منهم
فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته
فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة
كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو
قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال
وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول
انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب
على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم
الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم

يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم
واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها
مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى
ماتوا اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون
بانواع البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما
يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا
يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها
من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة
الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احدا اقاموا ثم انصرفوا من حضرته
مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم
رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم
عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم
اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم
قدم الابلغ منهما وهو الرافة لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل
فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك
عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه
وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي ينزل
منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي رضه آخر ما نزل
هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية
آية وحرفا حرفا خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما
سبعون الف صف من الملائكة ٥ ٥ ٥ ٥

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وأمالها الباقون اجراء لألف الراء مجرى
المنقلبة عن الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة
او القرآن من الآي والمراد بالكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على
الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها أكان للناس عجبا استفهام
انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر
بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على انهم
جعلوه اعجوبة لهم فوجهوا نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم
من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله
لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم
وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة
هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا
في المال وخفة الحال عون نبي في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله
كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام
ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون في موقع
مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما
ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا
به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت
قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها
الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية
قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين
وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف

بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة
وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر
يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك
اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة
ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان
آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي
الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ
لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون
تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه
اليه مرجعكم جميعا بالموت والنشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله
مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر
مؤكد لغيره وهو ما دل عليه قوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده
بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل
القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين
كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في
استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة
هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق
بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء
اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما
كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان

مرجع الجميع اليه لا محالة وتوبيخ قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز
ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي
جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط
وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل
القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي
نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض
نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها
والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساء منها وقدره منازل الضمير
لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر
وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع
به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات
من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق
الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم
يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص
يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات
والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال
علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين
لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات
عن ما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا
بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها
سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها
لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان
الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث

لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر
البعث ولم ير الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل
في الآجل والاعداد له اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا
عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق
كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان
والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية
وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استئناف
او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم
خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها
اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي
به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر
دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم
اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال
ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله
تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة
وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم
استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته
لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه
كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس
الشر تعجيله للخير حين استعجلوه كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف
لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر

ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت
عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا يعجل ولا يقضي فنذرهم امهالا لهم
واستدراجا وإذا مس الإنسان الضر دعانا لإزالته مخلصا فيه
لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا أو قاعدا أو قائما وفائدة الترديد تعميم
الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر
مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه
كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر
مشرق الصدر كأن ثدياه حقان إلى ضر مسه إلى كشف ضر كذلك
مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات
والإعراض عن العبادات ولقد أهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة
لما ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد
او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد
استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد
النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم
عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي
كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم
اعلام ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد
القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون أتعملون خيرا
او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام
يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال
وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى وإذا

قوله وما استقام لهم ان يؤمنوا الخ فاذا استعدادهم لم يكن فيقبل عليه ان علمه تعالى
ليس علة لعدم ايمانهم لان العلم تابع للمعلوم لا بالعكس وقال بعض فضلاء عصرنا
كون العلم علة لكفرهم وعدم ايمانهم باطل لا يشتبه على مؤمن فضلا عن عالم فاضل
لان كون علم العالم الديان علة للكفر والعصيان مقالة اهل الزيغ والطغيان عطف ٣
وحاشا مثل المصنف رحمه الله ان يقع فيه لكن ظاهر قوله وعلمه بها على قوله لفساد
استعدادهم يوهم ذلك فيجب ان يؤول كلامه ويصرف عن ظاهره بان يجعل
المراد موتهم على الكفر المعلوم منه تعالى ويجعل العلم علة للحكم بانهم يموتون على
الكفر ويكون حاصل المعنى ولقد اهلكنا القرون الخ لانه لما كذبوا وعلمت انهم
لا يؤمنون وان اهلكناهم فيكون العلة هي المعلوم اعني عدم ايمانهم فيما سيأتي و
لكنه انما علم ذلك لكون علم الله تعالى محيطا بالمستقبل فتوسيط العلم لاثبات
المعلوم للافادة علية العلم فافهم ٦ وقال آخر من فضلاء العصر ايضا اقول
معنى كون العلم تابعا للمعلوم ان علمه تعالى في الازل بالمعلوم المعين الحادث تابع
لماهيته بمعنى ان خصوصية العلم وامتيازه عن سائر العلوم انما هو باعتبار انه
علم بهذه الماهية واما وجود الماهية وفعليتها فيما لا يزال تابع لعلمه الازلي
التابع لماهيته بمعنى انه تعالى لما علمها في الازل على هذه الخصوصية لزم ان
تتحقق وتوجد فيما لا يزال على هذه الخصوصية فنفس موتهم على الكفر وعدم
ايمانهم متبوع لعلمه الازلي ووقوعه تابع له فخذ هذا التحقيق ينفعك في مواضع
شتى وهذا مما لا شبهة فيه وهو مذهب اهل السنة رحمهم الله تعالى وقد صرح به
النحرير في اول سورة الانعام حيث قال علم الله بانهم يتركون الايمان ويؤثرون
الكفر صار سببا لامتناعهم عن الايمان باختيارهم عند المعتزلة واما عند
اهل السنة فقد صار ذلك سببا لعدم ايمانهم بحيث لا سبيل اليه اصلا
وبهذا يندفع ما قال الامام الرازي ان هذا يدل على ان سبق القضاء بالخير
والخذلان هو الذي حملهم على الامتناع عن الايمان وذلك عين مذهب اهل السنة
انتهى وبهذا علمت ما في هذا المقام من الخبط وقد زاد نغمة في الطنبور من قال في رده
ان المص لم يرد الاستدلال بالعلم على المعلوم حتى يلزم جعل المعلوم تابعا للعلم ويرد
عليه ان الامر بالعكس بل اراد به الاشارة الى ان وقوع اهلاكه تعالى القرون مشروط
بعلمه بموتهم على الكفر وان كان نفس الموت على الكفر سببا لنفس الاهلاك وهذه كناية
عن نفس موتهم على الكفر لان علم الله تعالى يتعلق بالاشياء على ما هي عليه والنكتة
في تلك الاشارة ما ذكرنا من الاشتراط فتدبر ما ذكرناه ولا تقنع في هذه التقليد
كما وقعوا واحدا بعد واحد وقد سبق طرف من هذا فيما سبق وكون الكلام
لتأكيد النفي من تقريره
من حاشية مولانا الشهاب عليه الرحمه

قنالي زاده حسن افندي

صدر الدين زاده

[illegible]

سنان افندي

٢٨١

قوله
انتهى بخبر وقع في القاعدة
او نحو انه حذف او ترقى فعلا انتهى
ليكن انه يقبل عليه ان كان جعله من
التعدية ان اللعب يستعمل ضرب ويجيء
كان حال نحو كيف زيد وهو مخالفة وبحمل انه
كان خبر نحو كيف زيد المقام عليه اطلاقه فانها
عن معنى اي شيء الدالة ليس على ان يفعل بها
كما حاصل المعنى سيف وفيه انا ذكره طلب زيدا مفعول
كيف انت خير او قسم الاحوال والصفات ولها عامله
والتحقيق ان معناها السؤال عن حال الشيء وفيها
لا من الذوات وهذا فالسؤال انما هو كونه حسنا او قبيحا
ولا معنى السؤال عن الفعل الا على حقيقتها فهي
وجه انه امر نحو اقلبت مجاز بل مطلق قال سم
اما مفعول به او مفعول انما انه
في المغني وعند مفعولا مطلقا
ان يكون حالا مما انها على انه

تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن
غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب
بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة
على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما
يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر
استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع
الإتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره
في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض
ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد
التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل
عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح
قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لسان
وعن ابن كثير ولادريكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا علمكم
به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه ولو لم ارسل به لارسل
به غيري وقرئ ولا ادراكم ولا ادرأتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب
الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم
بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى
اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار
عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة
الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة
لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم
كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على
قواعد علم الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الا

على ما هو عليه علم انه سيعلمه به من عند الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم
بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
تفادٍ مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم
انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فيكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم فانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر
والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او
دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما
يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه
وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة
ما يعلمون قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده
قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع
وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات
لا يكون له تحقق في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف
موكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي وارضي ولا شيء
من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ
حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان
الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في
عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة
من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم
طايفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم
او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي
بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون

لولا انزل عليه اية من ربه اي من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب
لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة مفاسد تصرف
عن انزالها فانتظروا النزول لما اقترحوه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله
بكم بجحودكم ما نزل علي من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا
الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم
مكر في اياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين
حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحياء فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون
رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما
دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية
والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا
يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما يدبرون من اخفائه
لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء
ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب
الى الغيبة للمبالغة كانه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة
لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك
او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب
وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا
وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين
له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف
وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من
جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاؤا

الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز
عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقطع اشجارهم فانها افساد
بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم
وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى
عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدأ محذوف
تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص
على انه مصدر موكد اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا محذورا وضلالا
او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيامة
فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة
في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط
بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش
حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها
والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت
بها من تفعّل وازينت اصلها تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت
كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع
غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا
زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها
اى لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل
بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية
وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف
وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان و

حرف التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون
به والله يدعوا الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله
وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها
على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم
هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص
الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة
لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد
على المثوبة تفضلا لقوله تعالى ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم
والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله
ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم
ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق
اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف
الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على
قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او
الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها اى تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه
على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف وكانما اغشيت او اولئك اصحاب
النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سيئة
بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء
ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله
او من عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما
لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت

لانه العامل فيه قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب
قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار
لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب
الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين
جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل
بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ
بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي
كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه
من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك
لا ما اشركوا به وقيل ان الله ينطق الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم
لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك
المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره
وقرأ حمزة والكسائي تتلوا من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي
تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال
ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها
وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء
اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا
بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم
ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر

المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم
او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما
جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما
توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض
ام من يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما
من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة
والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون
الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل
افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك
فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت
ربوبيته لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق
الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق
الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال
كذلك حقت كلمت ربك اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم
مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم
وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها
والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل
الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها
ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق
ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد
السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل
والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى

بالامر للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق
ولذلك عدى بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق
ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم
هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف
شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي
بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي
فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع
الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم
في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون
بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا
مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد و الخالق
على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز
او نظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد
الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل
على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان
الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما
كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق
الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها
ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها
ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق
الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل
ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر
ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في

التقليد في العقايد غير جايز

المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر اخر بتقدير كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه وسياق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان

كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم
فتبرأ منهم فقد أعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او
باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا
اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ
باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرايع
ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم
ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان
حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهايم
وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم ما ووفة بمعارضة
الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة
فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق
ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلايل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت
تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم
البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه
البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم
الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون
بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس
مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم
بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به
ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا
ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما
يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا

ساعة او صفة ليوم والعايد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف
اي حشرا كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم
يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم
وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير
يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم
والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول
وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف
فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدايم واما نرينك
نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك
قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة
واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم
يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة
يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر
والايمان قضي بينهم بانجاء المومنين وعقاب الكافرين كقوله وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء
ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين قل
لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب
اليكم الا ما شاء الله ان املكه او لكن ما شاء الله من ذلك كاين لكل امة اجل
مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل

ارايتم ان اتاكم عذابه الذي يستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال
بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون
اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلايم الاستعجال وهو متعلق
بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم
لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا على الاستعجال وتعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا
كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم وقوله
اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم
الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير
الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم
به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب
الخلد المولم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي
ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة
تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي ابن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان
الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده
انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد
مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي
انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي
بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال
اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل
نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها
واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى

فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه
من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة
اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصته من حيث
انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره
وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس بتكرير لان الاول قضاء بين
الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين
الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم
الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب
الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه
ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر
لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما
ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من
ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد
جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها
المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في
الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين
حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم
من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم
قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله
فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله
وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد
الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم

وذلك اشارة الى مصدريهما اى فبمجيئهما فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل
ان فرحوا بشئ فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع
بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله * فاذا هلكت فعند
ذلك فاجزعى * وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روى
مرفوعا ويؤيد انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها
الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح
المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق
جعل الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها وما فى موضع النصب
بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك
وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام
وحرث حجر وما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
قل الله اذن لكم فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون
فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد
وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم
على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اى شئ ظنهم يوم القيمة
ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ
الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث
انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا
يشكرون هذه النعمة وما تكون فى شان ولا تكون فى امر واصله الهمز من شانت
شانه اذا قصدت قصده والضمير فى وما تتلو منه له لان تلاوة القران
معظم شان الرسول صلى الله عليه وسلم او لان القراءة تكون لشان فيكون
التقدير من اجله ومفعول تتلو من قران على ان من تبعيضية او مزيدة
لتاكيد النفى او للقران واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا

تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك
ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا
عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون
وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى
من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء فى الارض ولا فى السماء
اى فى الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما
ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه
البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين
كلام براسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ
حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة
وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء
منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
بفوات مأمول والاية مجملة فسره قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون
وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم لربهم لهم البشرى فى الحياة
الدنيا وهو ما بشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا
الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفى
الآخرة بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة لتوليه
لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على
الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف
لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين هو الفوز العظيم
هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من
شرط ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم

وتهديدهم وقرأ نافع يُحزنك من أحزنه وكلاهما بمعنى إن العزة لله جميعا استئناف
بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم
لأن الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو
السميع لأقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها ألا إن لله من في السموات ومن
في الأرض من الملائكة والثقلين وإذا كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات
عبيدا لا يصلح أحد منهم للربوبية فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا أو شريكا
وهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أي شركاء
على الحقيقة وإن كانوا يسمونها شركاء ويجوز أن يكون شركاء مفعول يدعون
ومفعول يتبع محذوف دل عليه إن يتبعون إلا الظن أي ما يتبعون يقينا
وإنما يتبعون ظنهم أنها شركاء ويجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة
بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى أي شيء يتبع الذين تدعونهم
شركاء من الملائكة والنبيين أي إنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون غيره
فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة
فيكون إلزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم
ومنشأ رأيهم وإن هم إلا يخرصون يكذبون فيما ينسبون إلى الله أو يحزرون
ويقدرون أنها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما
ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وإنما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة
بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون
سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا أي تبناه سبحانه تنزيه له
عن التبني فإنه لا يصح إلا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني
علة لتنزهه فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في
الأرض تقرير لغناه إن عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما أقامه من

البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق
بسلطان أو نعت له أو بعندكم كأنه قيل إن عندكم في هذا سلطان أتقولون
على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على
أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد
فيها غير سائغ قل إن الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد وإضافة الشريك
إليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر
مبتدأ محذوف أي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر أو
حياتهم أو تقلبهم متاع أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم تمتع في الدنيا ثم إلينا
مرجعهم بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه إذ قال لقومه يا قوم إن
كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا
لمكان فلان أو كوني وإقامتي بينكم مدة مديدة أو قيامي على الدعوة
وتذكيري إياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فأجمعوا أمركم
فاعزموا عليه وشركاءكم أي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل
وجاز من غير أن يؤكد للفصل وقيل إنه معطوف على أمركم بحذف المضاف أي
وأمر شركائكم وقيل إنه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم
وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى أمرهم بالعزم أو الإجماع
على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة
بهم ثم لا يكن أمركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا
مكشوفا من غمه إذا ستره أو ثم لا يكن حالكم عليكم غما إذا أهلكتموني وتخلصتم
عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا إلي أدوا إلى ذلك الأمر الذي تريدون بي وقرئ ثم
افضوا بالفاء أي انتهوا إلي بشركم أو ابرزوا إلي من أفضى إذا خرج إلى
الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فإن توليتم أعرضتم عن تذكيري فما

سالتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله او يفوت
بتوليكم ان اجرى ما ثوابى فى الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم
يثيبنى به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه
لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم
الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة
العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه فى الفلك وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن
كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح
رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات
الواضحة المثبتة لدعوتهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا
لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اى بسبب
تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب
المعتدين بخذلانهم لانهماكهم فى الضلال واتباع المالوف وفى امثال
ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق
ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون الى فرعون
وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين
معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما
جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك
قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق فى فنه
واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكى للقول
لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول
بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير

والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم
فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح
الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل
ولم يبطل السحر ولان العالم بانه لا يفلح الساحرون لا يسحر او من تمام
قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح
ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل
اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء فى
الارض الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس
باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون
ائتونى بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار عليم حاذق فيه فلما
جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى
ما جئتم به السحر اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ
ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها
والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره اى
السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اى شئ اتيتم
ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل
المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا
حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ
بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى فى مبدأ امره الا ذرية من قومه
الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون
الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم
آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته
على خوف من فرعون وملائهم اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه

على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة
ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول
خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان
فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية
واسترق اسباط الانبيا وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين يا قوم ان كنتم
آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق
بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه
لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله
توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا
تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي
تقديم التوكل على الدعا تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل على الله اولا لتجاب
دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم
تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة
وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم
لئلا تظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين
بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء
للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان
جعل البيوت مساجد الصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد
لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا
انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها

واموالا في الحياة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا
عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله
ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة
لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها
سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا
وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا
اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم واشدد على
قلوبهم واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا
وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون
لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام
الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث
فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق
الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر
ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان
من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم
في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف
لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته
فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ
وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي
آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه
بالكسر على اضمار القول والاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن
عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن اتؤمن الآن وقد

أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك
مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم
ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او
نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرا يعقوب ننجيك من انجى
وقرئ ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية من الساحل ببدنك فى موضع الحال
اى ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها
كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك
آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما
خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا
على ممرهم من الساحل او لمن ياتى بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن
شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان
عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية
وقرئ لمن خلقك اى لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى
الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك
وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
ولقد بوأنا انزلنا بنى اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام
ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم
العلم فما اختلفوا فى امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا احكامها
او فى امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته ونظام
معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز
الحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت فى شك مما انزلنا اليك

من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد
تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما
فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج
الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام
لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبى والمراد امته او لكل من يسمع اى ان
كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على
ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم
لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة
فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا
تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت
وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم
ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى العذاب لا
يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان
السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب
الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا
كانت قرية من القرى التى اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخره اليها
كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها
الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم
يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ويجوز ان تكون
الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا
لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية
فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى

حين الى اجالهم روى ان يونس عليه الصلاة والسلام بعث الى اهل نينوى من
الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين
فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم
فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا
الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة
وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة
واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء
يوم جمعة ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد
جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية فانه
تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد
بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم
حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها
حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف
المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه فضلا عن الحث والتحريض
عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك
قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه
وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هداها فانه الى الله تعالى ويجعل الرجس
العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاى وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون
على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات ولا
يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل
انظروا اى تفكروا ماذا فى السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم
على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل
وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فى علم الله وحكمه وما نافية

او استفهامية فى موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا
من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام
العرب لوقائعها قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكى
انى معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا عطف على
محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا
ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين كذلك
الانجاء او انجاء كذلك ننجى محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض
ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل
مكة ان كنتم فى شك من دينى وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله
ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم فهذا خلاصة دينى اعتقادا
وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا
صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى
هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد وامرت ان اكون
من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من ان يجوز
ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان
محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما تتضمن
معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب
والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن
القبائح او فى الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه
ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين
جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر

وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بالذات بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القران ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر محذوف احكمت اياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد ايات السورة وليس منها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ

والأخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم والتراخى فى الإخبار **من لدن حكيم خبير** صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغى باعتبار ما ظهر امره وما خفى **الا تعبدوا الا الله** لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد والامر بالتبرى عن عبادة غير الله بمعنى الزموا او اتركوها تركا **انى لكم منه** من الله **نذير وبشير** بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد **وان استغفروا ربكم** عطف على ان لا تعبدوا **ثم توبوا اليه** ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين **يمتعكم متاعا حسنا** يعيشكم فى امن ودعة **الى اجل مسمى** هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت معلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير **ويؤت كل ذى فضل فضله** ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين **وان تولوا** وان تتولوا **فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير** يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى **الى الله مرجعكم** رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس **وهو على كل شيء قدير** فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم **الا انهم يثنون صدورهم** يثنون عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبى صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ تثنونى بالتاء والياء من اثنونى وهو

بناء المبالغة وتثنونى وبخوص واصله تثنونن من الثن وهو الكلام
الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنين
من اثنان كابياض بالهمز وتثنوى ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا
يطلع رسوله ثنيا بنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل
نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا
حين يستغشون ثيابهم الاحين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم
يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوى في علمه سرهم
وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور
بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى
بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها
اماكنها في الحياة وفي الممات والاصلاب والارحام او مساكنها من الارض
حين وجدت بالفعل ومودعها في المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل
واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه
اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا
على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام اى خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في
الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف
العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء
قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به
على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم
وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا
متعلق بخلق اى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم

كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج
اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما
جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر
والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين
باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي
دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم
الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت
ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث
او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان
وقرا حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح
على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اى ولئن قلت علكم مبعوثون
بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة
في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من
الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم
يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم
منصوب بخبر ليس مقدم وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم
واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد •
ما كانوا به يستهزؤن اى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه
انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور
مبالغ في كفران ما سلف له من النعم ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة

بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب
السيئات عنى اى المصائب التى ساءتنى انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور
على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفى لفظ الاذاقة والمس تنبيه
على ان ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الاخرة
وانه يقع فى الكفران والبطر بادنى شىء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ
الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا
الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر
كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان
محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء
منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو
ما يخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشىء
لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل
عن الخيانة فى الوحى والثقة فى التبليغ ههنا وضائق به صدرك وعارض
لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
ينفقه فى الاستتباع او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير فى به مبهم
يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك
ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شىء وكيل فتوكل
عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه
ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله فى البيان وحسن
النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة
وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم
ان صح انى اختلقته من عند نفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على
مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم

القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم
صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير
اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول
متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه
على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر
عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر
بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام
الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان تجيرهم من بأس الله
الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا
تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير فى
لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن
المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما
دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة
وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام
الموجب وزوال العذر من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها باحسانه وبره
نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم فى الدنيا من الصحة والرياسة
وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ بالياء اى يوف الله ونوف على البناء
للمفعول ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه
خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا
ينقصون شيئا من اجورهم والاية فى اهل الرياء وقيل فى المنافقين وقيل
فى الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار مطلقا فى مقابلة

ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم
السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم
لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق
الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون
لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ
باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا
خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان
من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب
من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب
بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة
كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي
هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن
قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في
التصديق او البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل عليه السلام
او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير
في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة
وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن
كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ
من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم
لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة
يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا

تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه
ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا او تعرض اعمالهم
ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد
كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله
على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله
الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف
عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم
كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم
به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا
ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب
ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم
العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد
ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا
يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل
هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء
فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض
اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل
عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع
عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة
هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض

المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دايمون مثل الفريقين الكافر
والموٴمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى
لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر
معانيه وتشبيه الموٴمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما
مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم
والموٴمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله
الصابح فالغانم فالايب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل
يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال
والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرا نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات
العذاب ووجه الخلاص الا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين
ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم موٴلم وهو في الحقيقة صفة المعذب ولكن يوصف به العذاب
وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صايم للمبالغة فقال الملا الذين
كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا
تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم
اراذلنا اخساونا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او
ارذل جمع رذل بادي الراي ظاهر الراي من غير تعمق من البدو او اول الراي
من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة وانتصابه
بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك
وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة
الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم
لك ولمتبعيك علينا من فضل يوٴهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل

نظنكم

نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك
فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على
بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده بايتاء
البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير
لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاها يوجب خفاء النبوة او على تقدير
فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرا حمزة والكسائي
وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها
انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها
وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني
الفصل والوصل ويا قوم لا اسالكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر
فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول منه وما انا
بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سالوا طردهم انهم ملاقو ربهم
فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم
ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم
او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله
من يدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون
لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب
ولا اقول لكم عندي خزائن الله ٥ اي خزاين رزقه وامواله حتى جحدتم
فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزاين الله اي ولا اقول انا
اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هوٴلاء اتبعوني
بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول
ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين
تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يوٴتيهم

قوله شرط ودليل جواب بعني آخر قوله نعم ان اردت ان انصح لكم شرط جزاؤه محذوف وما قبله دليل الجواب وتبين الجواب عند البصريين فانهم لا يجوزون تقدم الجزاء على الشرط وكذا قوله ان كان الله يريد ان يغويكم شرط محذوف الجزاء حذف لدلالة الجملة الشرطية المتقدمة وتقدير الكلام ما ذكره المص فتكون الآية نظير قولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك فقولك ان كلمتني اكرمتك جواب قولك ان اتيتني وهي مسئلة اعتراض الشرط على الشرط وفي مثله يكون الجزاء المذكور معلقا على الشرط المذكور اولا وواقعا عند وقوع ذلك الشرط بشرط حصول الشرط الثاني ولما كان حصول الشرط الثاني شرطا لكون الشرط الاول مستلزما للجزاء ومن المعلوم ان الشرط مقدم على المشروط في الوجود وجب ان لا يحكم بتحقق الجزاء الا عند وجود الشرط الاول بعد وجود الشرط الثاني فقولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك ان اتاه ثم كلمه لا يجب الاكرام لكن ان كلمه ثم اتاه وجب الاكرام ولو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق لانعدام شرط كون الدخول مستلزما للطلاق ولكن ان كلمت ثم دخلت تطلق قال الامام هذا الشرط المؤخر في اللفظ مقدم في الوجود ولو قال لامرأته انت طالق ان دخلت الدار كان المفهوم منه ان ذلك الطلاق من لوازم الدخول فاذا قال بعده ان اكلت الخبز كان المعنى على ان تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول مشروط بحصول هذا الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا ان حصل الشرط الثاني تعلق الجزاء بذلك الشرط الاول وان لم يحصل الثاني لم يتعلق الجزاء بذلك الشرط الاول من حاشية شيخزاده عليه الرحمة

ام يقولون افتراه قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل يقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان افتريته بالفرض البحت فعلي اجرامي اثمي ووبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع وبنصره انه فسره الاولون بآثامي وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل يقول مشركوا مكة افترى محمد صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكأنه انما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتاكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة بعذابهم من تفسير فاضل الروم ابي السعود المرحوم

الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب والهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم تقديره الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل

ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم
ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق
فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملا
من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمل السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة
عن الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ان
ان كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا
اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل
عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم
دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما
بينهما حال من الضمير فيه وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه
النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او
بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها
قلنا احمل فيها في السفينة من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها
زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى
احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف
على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول
بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن
والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين
زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون
رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من
الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل
لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي

اعلاها الطير وقال اركبوا فيها صيروا فيها وجعل ذلك ركوبًا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرساها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمّين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت والمكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ ايضا مرساها من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمّين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوّغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن

غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواة عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله تعالى في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا بعد بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ وأراد نداه بدليل عطف قوله فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي
فانه النداء وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد
وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل
غرقه وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي
الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ
أَهْلِكَ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ
صَالِحٍ فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته
ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين
وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب
انه عَمِلَ اي عمل عملا غير صالح فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ما لا تعلم اصواب
هو ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه
في شان ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه
بقوله إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ لان استثناء من سبق عليه القول من
اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه
الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر
غير انهما كسرا النون على ان اصله تسالنني فحذف نون الوقاية لاجتماع النونات
وكسرت المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها قَالَ
رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ في المستقبل مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ما
لا علم لي بصحته وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال
وَتَرْحَمْنِي بالتوبة والتفضل علي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ اعمالا قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ
بِسَلَامٍ مِنَّا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما
عليك وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير

ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن
معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم او
وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي
وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة
والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب
والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء
وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبران والضمير لها
اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال
من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة عندك
وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف
في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه
اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر
على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر
وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا
عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله
وحدوه ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا
مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسالكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة
وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون
افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطا ويا
قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا
اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة
فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف

قوله صادرين عن قولك اه في الكشاف كانه قيل ما نترك آلهتنا صادرين عن قولك قطب
فقيل عليه ان عن هذه كالتي في قوله فازلهما الشيطان عنها للسببية اى وما نحن بتاركي آلهتنا
بسبب قولك وحقيقته ما يصدر تركنا لآلهتنا عن قولك فهو ظرف لغو متعلق بتاركي والمص
رحمه الله جعله مستقرا حالا وقدره صادرين عن قولك وهو امّا من صدر صدورا بمعنى وقع
ووجد او من صدر صدرا بمعنى رجع والاول باطل لانهم ليسوا موجودين عن قوله وكذا
الثاني لان الرجوع عن القول لا يتصور الا اذا كانوا قائلين له ولم يكونوا كذلك اصلا
فالصواب مصدرين الترك عن قولك قلت هذا كما ورد في الحديث وكلام العرب
لا يصدر الا عن رأيه وهو من الصدر بمعنى الرجوع عن الماء والمقابل للورود فان الورود والصدر
يجعل كناية عن العمل والتصرف لانهم ارباب سفر وبادية وذلك جل امرهم ولذا قال
معاوية رض طرقتني اخبار ليس فيها اصدار وايراد وقال ما امس الزمان حاجا الى
ان يتولى الاصدار والايراد اى يتصرف في الامور بصائب رأيه وكما قال بعض البلغاء
ان امير المؤمنين نطق بلسانك واعطى واخذ بيدك واورد واصدر عن رأيك
ولما كان الصدر مستلزما للورود اكتفوا به فقالوا لا يصدر عن رأيه فالمعنى ما نحن بتاركي
آلهتنا عاملين بقولك وهو تقدير للمتعلق بقرينة عن والمقدر كناية لا تضمين ولذا
قال في الكشف لم يحمله على التضمين كما في قوله فازلهما الشيطان عنها لان المضمن هو المقصود
والترك ههنا هو مصب الفائدة ومن لم يدر هذا قال صادرين بمعنى معرضين وهو صريح
في التضمين لكنه جعل المضمن حالا والمضمن فيه اصلا مع رجحان العكس لان المضمن هو
المقصود غالبا لكون الترك ههنا مصب الافادة فتنبه بذلك على انه قد يختار خلافه
لعارض وقصد به الرد على ما في الكشف تبعا لغيره من حاشيته مولانا الشهاب سعدي شاه

وخرافة كثمامة رجل من بني عذرة استهوته الجن
وكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا حديث
خرافة او هي حديث مستملح كذب قاموس

قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زرع وعمارات
وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود على الايمان
والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم
اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على
صحة دعواك وهو لفرط عنادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا
بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي
وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك
ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض
آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم
بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو والاستثناء مفرغ قال اني اشهد
الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم
لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى
على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم
بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في هلاكه من غير انظار
حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن اضره وهم الاقوياء الاشداء
ان يضروه لم تبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن
من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد
الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام
ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك
عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم
وان بذلتم غايتكم وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله وواثق بكلاءته وهو
مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم
برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اى الا وهو مالك

لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلككم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل وان تتولوا يعذبني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم والمراد به تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم يعذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد

قوله او جعلكم معمرين دياركم اي تدل على كونه من العمرى ايضا وهو ما في الكشاف حيث قال ان ذلك
ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها
لسكنها عمره ثم يتركها لغيره وقد قيل عليه ان ما في الكشاف ان معنى استعمركم جعلكم معمرين
بوزن اسم الفاعل من اعمره وقول المصنف رحمه تسكنونها مدة عمركم يقتضي ان معمرين على صيغة
اسم المفعول فان اردت حمل كلامه على ما في الكشاف جعلت الاعمار مفهوما من قوله ثم تتركونها
لغيركم لان تركها للغير وتوريثها اياه بمنزلة الاعمار لذلك الغير حيث يسكنها هو ايضا مدة
عمره ثم يتركها لغيره ولك ان تقول مراد المصنف رحمه انها لهم عمرى اما للمورث عنه فلان الله
جعلها له مدة عمره واما للوارث فلان الله او مورثه جعلها له كذلك فلا حاجة الى جعل العمرى
مخصوصة بقوله ثم تتركونها حتى يكون ما قبله توطئة اذ لا يدل على المراد ولا يرد عليه ما قيل
ان الاولى ان يقول او جعلكم معمرين دياركم تتركونها بعد انقضاء اعماركم لسكنها مدة عمره
اذ لا مدخل لسكنى المعمر مدة عمره في تحقق كونه معمرا بل الاعتبار فيه للمعمر له مدة عمره ولا يرد على
هذا القايل انه توهم ان معمرين في كلام المصنف رحمه بزنة اسم الفاعل وهو بزنة المفعول كما قيل
مع انه لا مانع منه وحاصله ان الوجوه ثلثة اما ان يكون استعمركم من العمر او التعمير او العمرى
من حاشية الشهاب

واستدل الكيا بهذه الاية على ان عمارة واجبة لطلبها منهم وقسمها في الكشاف الى واجب
كالقناطر اللازمة والمسجد الجامع ومندوب كالمساجد ومباح كالمنازل وحرام كالمبني من مال
حرام وقد كان ملوك فارس اعمارهم طويلة الى الالف مع ظلمهم فسال الله نبي لهم عن سبب
تعميرهم فقال الله انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي يعني لانهم عمروا البلاد وحفروا الانهار
وغرس الاشجار فطولت لهم الاعمار كما قال الشاعر
ليس الفتى بفتى لا يستضاء به
ولا يكون له في الارض اثار
من الشهاب

وفي الكشاف المخشب بينهم
بعد ما نقله من سعد ال معاوية
لطول اعمارهم وعمر معاوية الارض
ببيع الى اخر انه اخذ فرضايه على ذلك
انه حلف على ذلك
بر الى سفيان له فقيل القول القايل
من امره

الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم واتما
كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف
بيان لعاد وفايدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
البعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره
فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها
عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من
العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين
دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه
ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا
مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا
ومستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك
انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا على حكاية الحال الماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب
موقع في الريبة من اراب او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في
الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة
وحرف الشك باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني
من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن
الاشراك به فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان
تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما
تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية
انتصب اية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها
لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها

ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسّكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الوعد قال له أفي بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ههنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان ربك هو القوى العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القران وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اى امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما تأخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم

خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكروا وانكروا واستنكر
بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا لما احسوا منه اثر الخوف لا
تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد
اليه ايدينا لانا لا ناكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم
للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة
رايها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل
بهذا القوم وقيل فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم تعد حقا
ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرنا
ها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل
يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب
وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف
ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه
مبتدأ خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله
سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب
وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما
في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة
اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على
الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء
على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي
واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال
والعامل معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر
بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل منه ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو
استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا أتعجبين من امر الله

رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات
باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت
نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن
ابراهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته
البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته
اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه
في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا
او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابراهيم
لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب
والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له
على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت
الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه
الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا
بدعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا
في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم
وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه
اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب
الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات
الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم
هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن
وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار

فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه
او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا اليه وقيل المراد بالبنات نساؤهم
فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم **هن اطهر لكم** انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة اطيب
من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي
هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها **فاتقوا الله** بترك الفواحش او بايثارهن
عليهم **ولا تخزون** ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء
في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه **اليس منكم رجل رشيد**
يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح **قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق**
من حاجة **وانك لتعلم ما نريد** وهو اتيان الذكران **قال لو ان لي بكم قوة** لو قويت
بنفسي على دفعكم **او اوي الى ركن شديد** قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل
في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد
وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف
تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب
فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب **قالوا يا لوط انا رسل
ربك لن يصلوا اليك** لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا
واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم
فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة **فاسر باهلك** بالقطع من الاسراء
وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القران من السرى **بقطع من الليل**
بطائفة منه **ولا يلتفت منكم احد** ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في
اللفظ لاحد وفي المعنى للوط **الا امرأتك** استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل
عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل
الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة

ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين
في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت
يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة
والاولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله لا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه
الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها
بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستيناف
بقوله **انه مصيبها ما اصابهم** ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة
الرفع **ان موعدهم الصبح** كانه علة الامر بالاسراء **اليس الصبح بقريب** جواب
لاستعجال لوط واستبطائه العذاب **فلما جاء امرنا** عذابنا او امرنا به ويؤيده
الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله **جعلنا عاليها سافلها** فانه جواب
لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه
من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه
تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح
الديكة ثم قلبها عليهم **وامطرنا عليها** على المدن او على شذاذها **حجارة
من سجيل** من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل من
اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية
في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم
فابدلت لامه نونا **منضود** نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع بعضه
بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به **مسومة** معلمة
للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من
يرمى بها **عند ربك** في خزائنه **وما هي من الظالمين ببعيد** فانهم بظلمهم حقيق
بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما
من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير

للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير
البعيد على تاويل الحجر او المكان وَالَى مَدْيَنَ اَخَاهُمْ شُعَيْبًا اراد اولاد مدين
ابن ابراهيم عم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ امرهم بالتوحيد
اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل
بحكمة التعاوض اِنِّى اَرَاكُمْ بِخَيْرٍ بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان
تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها
بما انتم عليه وهو فى الجملة علة للنهى وَاِنِّى اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ
لا يشذ منه احد منكم وقيل مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب
يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة
العذاب لاشتماله عليه وَيَا قَوْمِ اَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ صرح بالامر بالايفاء
بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف
بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بِالْقِسْطِ بالعدل والسوية
من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور
به وقد يكون محظورا وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ اَشْيَاءَهُمْ تعميم بعد تخصيص فانه
اعم من ان يكون فى المقدار او فى غيره وكذا قوله وَلَا تَعْثَوْا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ
فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس
كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة
وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عم وقيل معناه
ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بَقِيَّتُ اللّٰهِ ما ابقاه
لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خَيْرٌ لَكُمْ مما تجمعون بالتطفيف
اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة
وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية

الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرى تقية بالتاء وهى تقواه التى تكف عن
المعاصى وَمَا اَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم
فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ
عليكم نعمة الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قَالُوا يَا شُعَيْبُ اَصَلَاتُكَ تَاْمُرُكَ
اَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء
والتهكم بصلاته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه
خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلاة فلذلك جمعوا
وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك
تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره اَوْ اَنْ
نَفْعَلَ فِى اَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ عطف على ما اى وان نترك فعلنا ما نشاء فى اموالنا
وقرى بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف
والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فاراد به ذلك
اِنَّكَ لَاَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار
ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة
الى امثال ذلك قَالَ يَا قَوْمِ اَرَاَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى اشارة الى ما اتاه الله
من العلم والنبوة وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا اشارة الى ما اتاه الله من المال
الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع
للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه فاخالفه فى امره ونهيه
وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهى عن دين الاباء والضمير
فى منه لله اى من عنده وباعانته بلا كد منى فى تحصيله وَمَا اُرِيدُ اَنْ اُخَالِفَكُمْ
اِلَى مَا اَنْهَاكُمْ عَنْهُ اى وما اريد ان آتى ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا
لاثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته
وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس اِنْ اُرِيدُ اِلَّا الْاِصْلَاحَ مَا

استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت
استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة
الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه
ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل
ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية
واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذي استطعته او
بحذف المضاف **وما توفيقي الا بالله** وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا
بهدايته ومعونته **عليه توكلت** فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه
عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض
التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ **واليه انيب** اشارة الى معرفة
المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على انيب وفي هذه الكلمات
طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتي ويذره من الله والاستعانة به في مجامع
امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم
وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء **ويا قوم لا يجرمنكم**
لا يكسبنكم **شقاقي** معاداتي **ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح** من
الغرق **او قوم هود** من الريح **او قوم صالح** من الرجفة وان بصلته ثاني
مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم
منقول من المتعدى الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة
الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله • لم يمنع الشرب منها
غير ان نطقت • حمامة في غصون ذات اوقال • **وما قوم لوط منكم ببعيد**
زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم
في الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما
اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث

لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق **واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه** عما
انتم عليه **ان ربي رحيم** عظيم الرحمة للتائبين **ودود** فاعل بهم من اللطف
والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد
على الاصرار **قالوا يا شعيب ما نفقه** ما نفهم **كثيرا مما تقول** كوجوب التوحيد
وحرمة التبخيس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم
وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم
عنه **وانا لنراك فينا ضعيفا** لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا
لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف
ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق
بين **ولولا رهطك** قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم
فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة **لرجمناك** لقتلناك
برمي الاحجار او باصعب وجه **وما انت علينا بعزيز** فتمنعنا عزتك عن الرجم
وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء
ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع
لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك **قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه
وراءكم ظهريا** وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة
برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ
والرد والتكذيب والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب
ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها **ويا قوم اعملوا
على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه** سبق مثله
في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار
والتمكن مما عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا
يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل **ومن هو كاذب** عطف على من يأتيه

لا لانه قسيمه كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه
قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو
صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال
ومن هو كاذب على زعمهم **وارتقبوا** وانتظروا ما اقول لكم **انى معكم رقيب**
منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع **ولما**
جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما فى
قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط
فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح
فلذلك جاء بفاء السببية **واخذت الذين ظلموا الصيحة** قيل صاح بهم
جبريل فهلكوا **فاصبحوا فى ديارهم جاثمين** ميتين واصل الجثوم اللزوم
فى المكان **كان لم يغنوا فيها** كان لم يقيموا فيها **الا بعدا لمدين كما بعدت**
ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت
من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان
الكسر لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما
والبعد مصدر المكسورة **ولقد ارسلنا موسى باياتنا** بالتورية او المعجزات
وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها
ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلنا بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له
على نبوته واضحا لنفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما متعديا والفرق
بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع
والمبين يخص بما فيه جلاء **الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون**
فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات
القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان
الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم

وعدم استبصارهم **وما امر فرعون برشيد** مرشد او ذى رشد وانما هو غى
محض وضلال صريح **يقدم قومه يوم القيامة** الى النار كما كان يقدمهم فى
الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم **فاوردهم النار** ذكره بلفظ الماضى
مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال
وبئس الورد المورود اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد
وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد
فان من هذا عاقبته لم يكن فى امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد
ما يكون مأمون العاقبة حميدها **واتبعوا فى هذه** فى هذه الدنيا **لعنة**
ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا والاخرة **بئس الرفد المرفود** بئس العون
المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص
بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين **ذلك** اى ذلك النبأ
من انباء القرى المهلكة **نقصه عليك** مقصوص عليك **منها قائم**
من تلك القرى كالزرع القائم **وحصيد** ومنها عاف الاثر كالزرع المحصود
والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا
ضمير **وما ظلمناهم** باهلاكنا اياهم **ولكن ظلموا انفسهم** بان عرضوها له
بارتكاب ما يوجبه **فما اغنت عنهم** فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم **الهتهم**
التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك لم ينفعهم بل ضرتهم
لما جاءهم عذابه ونقمته **وما زادوهم غير تتبيب** هلاك او تخسير **وكذلك**
ومثل ذلك الاخذ **اخذ ربك** وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب
على المصدر **اذا اخذ القرى** اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى **وهى**
ظالمة حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها اقيمت مقامها اجريت
عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه
او غيره من وخامة العاقبة **ان اخذه اليم شديد** وجيع غير مرجو الخلاص عنه

وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما انزل بالامم الهالكة او فيما
قصه الله من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة
لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن
موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر
الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لا سباب
فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة
وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة
على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه
فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة
والمجازاة وذلك يوم مشهود اي يوم مشهود فيه اهل السموات والارضين
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس
مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام
كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة
متناهية على حذف المضاف واراد مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها
فانه غير معدود يوم يأتي اي الجزاء او اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم
بمعنى حين او امر الله عز وجل كقوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس
لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه
باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله تعالى لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون في موقف اخر او الماذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه
هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد
وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم

مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم
فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول
النهيق واخره والمراد منهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم
بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات
الحمير وقرى شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس
لارتباط دوامهم في النار بدوامها فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع
دوامها بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه
على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض
زوال عذابهم ولا من دوامه دوامها الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم
لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة
وارضها ويدل عليها قوله تع يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل
الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده
ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي
له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم
وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان
زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني
فانهم مفارقون الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدأ معين ينتقض
باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم
فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد
تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه
لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد
ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل

وهو مبالغة فى التهديد والتحذير ان فى ذلك اى فيما انزل بالامم الهالكة او فيما
قصه الله من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة
لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعدّ الله للمجرمين فى الاخرة او ينزجر عن
موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر
الاخرة واحال فنا هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب
فلكية اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة
وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة
على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه
فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة
والمجازاة وذلك يوم مشهود اى يوم مشهود فيه اهل السموات والارضين
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله فى محفل من نواصى الناس
اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا
مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام
كذلك وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة
متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجال لا منتهاها
فانه غير معدود يوم يأتى الجزاء او اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم
او ص
بمعنى حين الله عز وجل كقوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس
لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب وشفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه
باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله تعالى لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون فى موقف اخر والماذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه
هى الاعذار الباطلة فمنهم شقى وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد
وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم

مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففى النار لهم
فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول
النهيق واخره والمراد منهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم
بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات
الحمير وقرى شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس
لارتباط دوامهم فى النار بدوامها فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع
دوامها بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبّرون به عنه
على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض
زوال عذابهم ولا من دوامه دوامها الا من قبيل المفهوم لان دوامها كالملزوم
لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة
عطف على قوله ليس لارتباط
وارضها ويدل عليها قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل
الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده
ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى
له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم
وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان
زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى
فانهم مفارقون الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض
باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم
فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد
تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه
لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقى او مانع من الجمع وههنا المراد
ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلوا عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين او لان اهل

اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة
ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله
ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره
يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان
الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء
من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا
بمعنى سوى كقولك على الف الا الفان قديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة
التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير
اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان
الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع
ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتابيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا
على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر
المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل
عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها
ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم
او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم
من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك
اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه
من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل
في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات
ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة من قبل عليه وانا لموفوهم
نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب

عنهم

عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص من النصيب لتقييد التوفية فانك
تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا
كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال
ما يستحقه المبطل ليتميز به المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه
من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم
والكافرين والتنوين بدل عن المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف
مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة
للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اوليهن والمعنى لمن الذين يوفيهم ربك جزاء
اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية
ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت شيء منه وان
خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب
في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة
للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل
مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما انزل والقيام
بوظايف العبادات من غير افراط وتفريط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عم
شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن
معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام
الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير
فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على
وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان •

ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل
اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان
الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين
اى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه
ولعل الآية ابلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة
التى هى العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفى افراط وتفريط فانه ظلم
على نفسه او غيره بل ظلم فى نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم النار بكسر التاء
على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول وما لكم من دون الله من اولياء
من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اى ثم لا
ينصركم الله اذ سبق فى حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره
اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة
الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على
نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفى النهار غدوة
وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات
منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة
صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشية العصر
وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء
وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر فى بسرة وزلفى بمعنى زلفة
كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفى الحديث ان
الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفى سبب النزول
ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى اصبت من امرأة غير انى لم
آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى

للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصى فان الله لا يضيع
اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة
والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون
من قبلكم اولوا بقية من الرأى والعقل او اولوا فضل وانما سمى بقية لان
الرجل يستبقى افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم
ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها
من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهى المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا
راقبه ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا
منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفى
اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات
واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين
كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم
فيهم واتباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على
مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا
مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون
الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى
شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه ومن ذلك
قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى
مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل
ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراد
يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل
لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله

من فضله فاتفقوا على ما هو اصول الحق والعمدة ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اى وكل نبا نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فوادك بيان لكلا او بدل منه وفايدة التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فوادك من انباء الرسل وجاءك فى هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمومنين اشارة الى ساير فوايده العامة وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدواير انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرا نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازى كلا ما يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف عليه السلام مكية وايها مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة وهى المراد بالكتاب اى تلك الايات ايات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز او الواضحة

معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اى الكتاب قرانا عربيا سمى البعض قرانا لانه فى الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مفرقا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على الاعاجيب والحكم والايات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القران يعنى السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرى بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من اسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها

لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها
او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه
جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء
من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم
فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص
رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن
جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد
عن النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك
هل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق و
والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس
والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها
رأيتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما
اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة
او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام
من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم
وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بتاء
التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة
الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما
بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها
مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه
فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة
لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن

والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى
فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان
عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحوى فلا يالوا جهدا في تسويلهم
واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل
هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك
او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك
كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث
من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس و
الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء
وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته
عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب
يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله
كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار
وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من
قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن
يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف
واخوته في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك
للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا
وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا
تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف
وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع بينهما محرما حينئذ واربعة آخرون دان
ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه
بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب

ابينا منا وحد لان افعل لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله
بخلاف اخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف ونحن عصبة والحال
انا جماعة اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة
العشرة فما فوقها سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفى ضلال مبين
لتفضيله المفضول او لترك التعديل فى المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه
من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر
عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة
المحكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوه وقيل
انما قاله شمعون او دان ورضى به الاخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة
من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة
يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته
عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم فى محبته احد وتكونوا جزم
بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف والفراغ من امره
او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم
يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين فى امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو
وجه ابيكم قال قائل منهم يعنى يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل
لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابة الجب فى قعره سمى بها لغيبوبته
عن عين الناظر وقرا نافع فى غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ
غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض
الذين يسيرون فى الارض ان كنتم فاعلين بمشورتى او ان كنتم على ان تفعلوا
ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لم تخافنا
عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله
عن رايه فى حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تامنا بالادغام باشمام

وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنّا بكسر التاء **ارسله معنا غدا** الى الصحراء **نرتع** نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب **ونلعب** بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء **وانا له لحافظون** من ان يناله مكروه **قال اني ليحزنني ان تذهبوا به** لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه **واخاف ان يأكله الذئب** لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة **وانتم عنه غافلون** لاشتغالكم بالرتع واللعب ولقلة اهتمامكم بحفظه **قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة** اللام موطئة للقسم وجوابه **انا اذا لخاسرون** ضعفا مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال **فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب** وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى وقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه

جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان
مراهقا اوحي في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص
ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم عليه السلام الى اسحق واسحق
الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه
لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك
اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون
متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء
آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشا بالضم والقصر جمع اعشى اي
عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا
بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في الرمي
وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا
صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم
كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة
وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة
اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه
به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف
اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه
لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى
خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني

ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت
لكم انفسكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر
جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل
الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على
احتمال ما تصفون من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح
وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب
وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان مالك ابن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب
ليملاها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى
بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالي فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب
له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ
يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي على قصد الوقف واسروه اي الوارد
واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا
اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا
كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته
فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة
ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه
من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف
عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه
وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او
نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما
بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين
وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في كانوا

جبريل بالوحي كما قال وأوحينا إليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان
مراهقا أو أوحي في صغره كما أوحي إلى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص
أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام
بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم عليه السلام إلى إسحق وإسحق
إلى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبريل وألبسه إياه
لتنبئنهم بأمرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف
لعلو شأنك وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك
إشارة إلى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
بشره بما يؤول إليه أمره إيناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون
متصل بأوحينا أي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا أباهم عشاء
آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أي
عشوا من البكاء يبكون متباكين روي أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا
بني وأين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو وفي الرمي
وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف
عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا
صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم
كذب أي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة
وقرئ بالنصب على الحال من الواو أي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة
أي كدر أو طري وقيل أصله البياض الخارج على أظفار الأحداث فشبه
به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف
أي فوق قميصه أو على الحال من الدم إن جوز تقديمها على المجرور روي أنه
لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل قميصه وأخذه وألقاه على وجهه وبكى
حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني

ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا أي سهلت
لكم أنفسكم وهونت في أعينكم أمرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر
جميل أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وفي الحديث الصبر الجميل
الذي لا شكوى فيه أي إلى الخلق والله المستعان على ما تصفون على
احتمال ما تصفون من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم إن
صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من الجب
وكان ذلك بعد ثلاث من إلقائه فيه فأرسلوا واردهم الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فأدلى دلوه فأرسلها في الجب
ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى
بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعالى فهذا أوانك وقيل هو اسم لصاحب
له ناداه ليعينه على إخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالإضافة وقرئ
يا بشري بالإدغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف وأسروه أي الوارد
وأصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه إلينا
أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لإخوة يوسف وذلك أنه
كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فأخبر إخوته
فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة
أن يقتلوه بضاعة نصب على الحال أي أخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه
من البضع فإنه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف
عليه أسرارهم أو صنيع إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم وشروه وباعوه
وفي مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه من إخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه أو
نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فإنهم كانوا يزنون ما
بلغ الأوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين
وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في كانوا

ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه
لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل
في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق
بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق
بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول
وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر
واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي
وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة
سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور
انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء
روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث
عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وتوفي وهو
ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول
فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة
وقيل ذهبا **اكرمي مثواه** اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى
احسني تعهده **عسى ان ينفعنا** في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في
مصالحنا **او نتخذه ولدا** نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد
ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت
استأجره وابو بكر حين استخلف عمر **وكذلك مكنا ليوسف في الارض**
وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز
مكنا له فيها **ولنعلمه من تأويل الاحاديث** عطف على مضمر تقديره ليتصرف
فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل
ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير

المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها
قبل ان تحل كما فعل لسنيه **والله غالب على امره** لا يرده شيء ولا ينازعه
فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوته شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا
ما اراده **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ان الامر كله بيده او لطائف صنعه
وخفايا لطفه **ولما بلغ اشده** منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن
الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ
الحلم **آتيناه حكما** حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس **وعلما**
يعني علم تأويل الاحاديث **وكذلك نجزي المحسنين** تنبيه على انه تعالى
انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره **وراودته**
التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود
اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد **وغلقت الابواب** قيل كانت سبعة
والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق **وقالت هيت لك** اي اقبل وبادر
او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين
كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر
بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء
يهيء اذا تهيأ وقرئ هئت وعلى هذا فاللام من صلته **قال معاذ الله**
اعوذ بالله معاذا **انه** ان الشأن **ربي احسن مثواي** سيدي قطفير احسن
تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير
لله انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف على قلبه فلا اعصيه **انه لا يفلح**
الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني
والمزني باهله **ولقد همت به وهم بها** قصدت مخالطته وقصد مخالطتها
والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه
والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك

مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لولم اخف الله لولا ان رای برهان ربه فی قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها فی حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رای جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودی يا يوسف انت مكتوب فی الانبيا وتعمل عمل السفهاء كذلك مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فی كل القرآن ای الذين اخلصوا دينهم لله ٥ واستبقا الباب ای تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج فاسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدا الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به او انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى ای شیء جزاؤه الا السجن قال هی راودتنی عن نفسی طالبتنی بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا فی المهد وعن النبی صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين

لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها
فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو
من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته
والشرطية محكية على ارادة القول وعلى ان فعل الشهادة من القول وتسميتها
شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان
ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه
ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن
دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين
للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه
ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من
كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن
عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن
يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس مسارقة يوسف حذف منه حرف
النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري
لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا
اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا
الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة
ظرف لقال اي اشاعت الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب
والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امراة العزيز تراود فتاها
عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك
واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذ قد شغفها حبا شق شغاف
قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف
الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه

انا لنراها فى ضلال مبين فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما
سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرًا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر
مكره او قلن ذلك ليريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت
لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا
حين يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن
فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرهن اذا خرج
وحده على اربعين امرأة فى ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعامًا او مجلس طعام
فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفًا ولذلك نهى عنه قال جميل
وظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله • وقيل المتكأ طعام يحز حزًا
كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكًا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع
الفتحة كمنتزاح ومتكًا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشئ اذا بتكه
ومتكأ من تكئ يتكئ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه
عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبى صلى الله عليه وسلم رايت يوسف
ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وكان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن
بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير
المصدر او ليوسف على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت فى الخدور العوائق وقطعن
ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيهًا
له من صفات العجز وتعجبًا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه
ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفًا وهو حرف يفيد معنى التنزيه
فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيا لك
وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشًا لله بالتنوين على تنزيله منزلة

المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
اى صار فى ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرًا لان هذا الجمال غير معهود
للبشر وهو على لغة اهل الحجاز فى اعمال ما عمل ليس لمشاركتها فى نفى الحال وقرئ
بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم
فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة
او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذى لمتننى
فيه اى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه
حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى او فهذا هو الذى لمتننى فيه
فوضع ذلك موضع هذا رفعًا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم فامتنع طالبًا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها
كى يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اى ما آمر به فحذف الجار
او امرى اياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من
الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرًا وصغارًا والصغير من صغر
بالضم صغرًا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه
بالالف كلنسفعا على حكم الوقف وذلك فى الخفيفة لشبهها بالتنوين قال
رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه اى آثر عندى من مواتاتها زنا نظرًا
الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد
الدعوة اليهن جميعًا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او
دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان
يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان
يسأل الصبر والا تصرف عنى وان لم تصرف عنى كيدهن فى تحبيب
ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى
جانبهن او الى انفسهن بطبعى ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه

قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في مقامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا نباتكما بتاويله استثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نباتكما به بان بينت لكما ماهيته
وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما واطلاق التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك
بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما روي في المنام وشبيه له واما بطريق
المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قوله نبئنا بتاويله وقد جعل الضمير لما قصصتما علي قبل ان
على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتاويل ما قصصتما في التنبئة وانت خبير بان
ان ياتيكما ذلك الطعام الموقت مراد به الاخبار بالاستعمال والاخبار بالتاويل وتجددهما وان المقام مقام
النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام في ذلك رؤياهما دخولا اوليا من تغيير الى السعود
اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك

الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق
واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل
القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب
له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن
فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن واثرها على اللذة المتضمنة
للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وبما يصلحهم
ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد
الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن
واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها
خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس
انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به
العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن
فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل معه آخران من عبيد الملك
شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي
اني اراني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه خمرا
بما يؤول اليه وقال الاخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل
الطير منه تنهش منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين
يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن
يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل
ما راينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله اي
بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني ببيان ماهيته وكيفيته
فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالاه منه كما هو طريقة الانبياء

والنازلين منازلهم من العلما في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما ذلك التاويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة اباءي ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدا لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالاخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى ساير الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس اي المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلايل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبيّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسامي اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات

من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامر امر على لسان انبيائه
ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا
تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم
اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما
يسمونها الهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين
المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني
الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه
واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا
فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان
فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين
لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما
الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان
يأول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني
فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر
لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان
بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان
كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع
سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني
ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه راى الملك
سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل

السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات
قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان
حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز
بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه
يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية
التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها
تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف
فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه
قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث
احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم
فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل ولتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل
الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس
لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية
للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي
وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة
وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان
يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم
بتاويله فارسلون الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق
اي فارسل الى يوسف فجاء فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو
المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه

افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن
عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها
او فضلك او مكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع
فربما اخترم دونه ولا بعلمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا اي على عادتكم
المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون
دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأَبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب
في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم
فذروه في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن
العبارة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك
سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن
فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما
تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون
ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره
اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم
بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه
معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخصبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المجدبة
ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية
على ان يوسع على عباده ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه
الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله

ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تانى في الخروج وقدم سؤال النسوة
وفحص حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد
ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم
ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن
ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فسله ان يفتش
عن حالهن تهيجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما
صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن
عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه
وعلى انه بريء مما قرف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك
لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف
عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله
ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق
ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم
الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله
بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما
عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم
اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا
غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب
المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي
الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في
خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي
لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار

ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مايلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل والمستثنى يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه والمعترف على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدها قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزل امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسئلك من خيره واعوذ بك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذرا وولدت له افرائيم وميشا قال اجعلني على خزاين الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى انه يستعمله في امره لا محالة اثر ما يعم فوايده ويجل عوايده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا

علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يديه وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوا منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرا ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعهما اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الامر امرك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب ساير البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها من حاله التي فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة واتوني

باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون فكان يوسف يعطي
لكل نفر حملا فسألوه حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه
به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف
والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتوني به فلا كيل
لكم عندي ولا تقربون اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي
او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه
وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع
فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي
شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسعا وتفضلا
عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عندهم
ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها
اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم
ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع
من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ
اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله
مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد
قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض
امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين
وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا على قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله
والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل

كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ما نطلب
هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا
نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نتزيد فيما حكينا لك من احسانه
وقرئ ما تبغي على الخطاب اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل
على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقولهم ما نبغي
ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا
بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد
كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما
اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي فيما نقول
ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما
كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم
ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك
ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر
لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا
من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني
به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا
ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم
الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل
على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة
بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم
عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال
يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا
ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم

ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم
كانوا مجهولين حينئذ وكان الداعى اليه خوفه على بنيامين وللنفس اثار منها
العين والذى يدل عليه قوله عليه السلام فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله
من كل عين لامة ونفس هامة وما اغنى عنكم من الله من شىء مما قضى عليكم
بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة
ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
جمع بين الحرفين فى عطف الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف
والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة فى البلد ما كان يغنى عنهم
رأى يعقوب واتباعهم له من الله من شىء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب
فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصاع فى رحله وتضاعفت المصيبة
على يعقوب الا حاجة فى نفس يعقوب استثناء منقطع اى ولكن حاجة
فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحزازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى
بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما اغنى
عنكم من الله من شىء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر
وانه لا يغنى عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
على الطعام او المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين
وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلسه معه على مائدته
ثم قال لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات عنده وقال له
اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم
يلدك يعقوب ولا راحيل قال انى انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال
من البؤس بما كانوا يعملون فى حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية المشربة فى رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها

وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب
وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن
نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية
السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف
من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل عليها الاحمال
لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبى وقيل
جمع عير واصله فعل كسقف ففعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير
ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اى شىء ضاع
عنكم والفقد غيبة الشىء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون
من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع
بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير
من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل
على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب
والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض
وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم فى كرتى
مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التى جعلت فى
رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه
فما جزاء السارق او السرق او الصاع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين
فى ادعائكم البراءة قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه اى جزاء
سرقته اخذ من وجد فى رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو
جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنه معنى الشرط او جواب
لها على انها شرطية والجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام
الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو كذلك نجزى الظالمين

بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء
اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث
من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف
بان علمناه اياه واوحينا اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك ملك مصر
لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا
ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال
ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات
من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة
منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من
هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان
العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه
وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرا
وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت
المنطقة في وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه
فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف
وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه
ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة والمقالة او نسبة
السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال انتم
شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة
في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار
الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله
اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها

العزيز

العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر وذكروا له حاله استعطافا له عليه
فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به انا نراك
من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين للاحسان فلا تغير عادتك
قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم
على فتواكم فلو اخذنا احدا مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده
ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت
غيره كنت ظالما فلما استياسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما
وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية
قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا
ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم
بالله موثقا منه وتاكيدا من جهته ومن قبل من قبل هذا ما فرطتم في يوسف
قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية في موقع النصب بالعطف
على مفعول تعلموا اذ لا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وعلى
اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر
لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون
موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم
فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم
الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه
روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل والله لتتركنا او لاصيحن
صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف
لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر
ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب

وهو خير الحاكمين لان تحكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اي نُسب
الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج
من وعائه وما كنا للغيب حافظين فلا ندري انه سرق او سُرِّق ودُسّ الصاع
في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق
او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعنون
مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم
عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا
معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى
ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم
انفسكم امرا امرا اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ
بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم
جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم
بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما
صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفى تعال فهذا اوانك
والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من يا المتكلم وانما تأسف على
يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات
وكان غضا آخذا بمجامع قلبه لانه كان واثقا بحياتهما دون حياته
وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة
الا امة محمد الا ترى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى
وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت
سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز
التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف

فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط
الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملو من الغيظ على
اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله تع وهو مكظوم
من كظم السقا اذا شد على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من
كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ
تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله
فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن
معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك
وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث
ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقرئ به وبضمتين كجنب او تكون
من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه
من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي
واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ
اليه او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل راى ملك
الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا
يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا
من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته
التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
بالله وصفاته فانه لا يقنط المسلم من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا
عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا
واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد

وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم
زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق
المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا
او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في انه هل حرمت
الصدقة ثم الانبياء او تخص نبينا عليه السلام ان الله يجزي المتصدقين
احسن الجزاء التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغي
به ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه
فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع
ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه
او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم
لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة ولا تثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب
في تخليص بنيامين وذكروا ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه
فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا
حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك
حقق بان واللام عليه وقرا ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله
حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل دفع التاج عن راسه فراوا علامة
بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف
وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما له وادخالا له في
قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق ويصبر
اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن
من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اختارك

علينا

علينا بحسن الصورة وكمال السيرة **وان كنا لخاطئين** والحال ان شاننا
انا كنا مذنبين بما فعلنا معك **قال لا تثريب عليكم** تفعيل من الثرب وهو الشحم
الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض
ويذهب ماء الوجه **اليوم** متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا
تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله
يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ **وهو**
ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن
كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي
الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا
ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني
من حفدة ابراهيم عم **اذهبوا بقميصي هذا** القميص الذي كان عليه
وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ **فالقوه على وجه ابي يأت**
بصيرا يرجع بصيرا اي يصير بصيرا **واتوني** انتم وابي **باهلكم اجمعين**
بنسائكم وذراريكم وسواليكم **ولما فصلت العير** وخرجت من مصر
وعمرانها **قال ابوهم** لمن حضره **اني لاجد ريح يوسف** وجده الله ريح
ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل اليه يهوذا من ثمانين فرسخا **لولا ان**
تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحصل من هرم ولذلك لا
يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف
تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب **قالوا** اي الحاضرون **تالله انك**
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة
يوسف وايثار ذكره والتوقع للقائه **فلما ان جاء البشير** يهوذا روي
انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه **القاه**

على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال ألم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او انى لأجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روى انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا شكرا لله وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن

الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل التى رأيتها ايام الصبى قد جعلها ربى حقا صدقا وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى ان ربى لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه عم فى خزائنه فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بنى ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال امرنى جبريل قال وما تسأله قال انت ابسط منى اليه فسأله قال جبريل الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى رب قد آتيتنى من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتنى من تأويل الاحاديث الكتب والرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه انت وليى ناصرى ومتولى امرى فى الدنيا والآخرة او الذى يتولانى بالنعمة فيهما توفنى مسلما اقبضنى والحقنى بالصالحين من آبائى او بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله

موسى صوم الى مدفن بانه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل
افرائيم وميشى وهو جد يوشع ابن نون ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة
الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدا من انباء الغيب
الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم
يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي
لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة
الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى
على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا
الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت
في اظهار الايات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسئلهم
عليه على الانباء او القران من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو
الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من اية وكم من اية والمعنى
وكاي عدد شئ من الدلايل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته
وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الايات ويشاهدونها
وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض
بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب
على يطؤن وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون اثار
الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته
الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني
اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل
الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا
ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم او تاتيهم

الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها
غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد
ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على
بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعوا وعلى بصيرة
لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان
الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء
النساء يوحي اليهم كما يوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي
في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى
لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك
او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة
ولدار الحال او الساعة او الحياة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي
افلا يعقلون فيستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون
حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغرنهم تمادي
ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن
ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم
قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد
الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل كذبوهم
بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل
قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن
ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح

لقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هنا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد اى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرى كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرى فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء وامهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولى الالباب لذوى العقول المبراة عن شوايب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط او غير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاكم سورة يوسف فانه ما من مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه الا هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى اياتها اى تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران والذي انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى والرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرى عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج ساير ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكاينات وبقايها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها دوره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا

واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل
فيها زوجين اثنين وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين
كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل
النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر يغشّي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان
تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها
وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها
سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون
الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه
لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض
لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة
في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين
فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرعٌ ونخيلٌ بالرفع عطفا على
جنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات
مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر
شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان
اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار
وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة
والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم
البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص

عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والايات المعدودة كما هي دالة على
وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه
وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق
جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه
أئنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته
على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى
خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود ويستعجلونك
بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا
وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت
من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا
بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها
كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال
للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات
بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات
على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة
والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن
منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر
والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا
وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا

لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر مرسل للانذار
كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما
يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب
عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله
تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما
يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه قادر على انزال
ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه
قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم
ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال
الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما
تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا و خمس
سنين عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روى ان الضحاك ولد لسنتين
وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف
اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعي رضي الله عنه
اخبرني شيخ باليمن ان امراتي ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا
ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون
مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل
شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى
انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين
وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن
الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان الذي لا يخرج عن
علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت

المخلوقين

المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر
به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب
بارز بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او
مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة
بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب
معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة مبالغة عقبه اذا جاء
على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله
او معتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات
جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض الياء من حذف
احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم
واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال والاستغفار
له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل
المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله
ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم
من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد
له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال
ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال
هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما
على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع
او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذو واطلاق المصدر بمعنى
المفعول والفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه
من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع

نقيلة وانما وصفه السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد
سامعوه بحمده ملتبسين به فيصيحون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد
بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول
نعمته وعن ابن عباس رض سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال
الملك الموكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة
من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية
واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل
والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل
واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين
لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه
له الرسول فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة
فقتلته ورمى عامر بغدة فمات ببيت سلولية وكان يقول غدة كغدة
البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة
لاعدائه من محل بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف
استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى
القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ
بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار
فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد
له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون
غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق
الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة

اوعلى

او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق
والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا
به محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة
فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة
دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي
والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او المشركون الذين
يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم
بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط
كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد
لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم
وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه وقرئ
تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في
ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه تسجد له الملائكة والمؤمنون من
الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة
وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا
او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب
طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والاصال ظرف ليسجد والمراد
بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص
اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقني وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر
والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك
اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل

افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل
اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها
نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه
وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا
لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها
والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على
احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا
كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق
الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه
عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها
ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا
عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة
جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل
على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء
انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها
فان المبادي منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل
الماء فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب
بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار
او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر
الغليان رابيا عاليا ومما يوقدون عليه في النار يعم الفلزات
كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا
لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني والات الحرب والحرث

والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه
زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرا حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله
الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء
الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فتنتفع
به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في مناقعه ويسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والقني والآبار وبالفلز الذي ينتفع
به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة
والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد
فيذهب جفاء يجفا به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه
على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة
الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال
لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم
الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام
متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل
لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا
مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء
الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء و
مأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا
يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب
من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول المبراة عن مشايعة الالف

ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من
الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون
الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد
تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالات الناس
المومنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق
ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس
ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء او سمعة
ونحوها واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه
الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به
ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان
او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا
وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت
بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استحقوا
بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها
العدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن
صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ
للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم
وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة
تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقترن بعضهم ببعض
لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد
بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب [illegible] مبشرين بدوام السلامة بما صبرتم

متعلق

متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل
والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون
والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون
عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به
من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء
الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة
بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة في
جنب الاخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي
والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به
نعيم الاخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل
من يشاء باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب
اقبل على الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم
كانه قال لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم
فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من اناب بما جئت به
بل بادنى منه من الايات الذين امنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف
وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته
بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او
بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب
تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم
وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى

وذلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك

مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها

تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم

الذى اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذى اوحيناه وهم يكفرون

بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت بهم نعمته ووسعت

كل شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم

وانزال القرآن الذى هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل

نزلت فى مشركى مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو

ربى اى الرحمن خالقى ومتولى امرى لا اله الا هو لا مستحق للعبادة

سواه عليه توكلت فى نصرتى عليكم واليه متاب مرجعى ومرجعكم ولو

ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان

القرآن او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا زعزعت به

الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند

قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع فتجيب

عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير

والانذار او لما آمنوا به كقوله تع ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقيل ان قريشا

قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع

لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام

او ابعث لنا قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت

وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله

وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى

على المذكر الحقيقى بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شئ وهو

وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان بما

اقترحوه

اقترحوه من الايات لكن ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم
ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من
احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل
اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما
ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه
نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق
بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلعهم او تحل
قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في
كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عليه السلام
كان لا يزال يبعث السرايا اليهم فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز
ان يكون تحل خطابا للرسول فانه عليه السلام حل بجيشه قريبا من دارهم عام
الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت والقيمة او فتح مكة ان الله
لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل
من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة
من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابي اياهم
افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير وشر لا
يخفى عليه شئ من اعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف
تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استينافا وعطف على
كسبت ان جعلت ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون

الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل
سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل
اتنبئونه بالتخفيف لا اخلها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ ام بظاهر
من القول ام تسمونها شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار
معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على
نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل
ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل
الحق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر
وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى
لهم عذاب فى الحياة الدنيا بالقتل والاسر وساير ما يصيبهم من
المصايب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من
عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التى وعد المتقون
صفتها التى هى مثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى
فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجرى من تحتها الانهار على
طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى
من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العايد
المحذوف من الصلة اكلها دايم لا ينقطع ثمرها وظلها اى وظلها
كذلك لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس تلك اى الجنة الموصوفة عقبى
الذين اتقوا مالهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفى
ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين اتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه
ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن

واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم
ومن الاحزاب يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من
ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت
ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما انزل
الى ان اعبد الله واوحده وهو العمدة فى الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما
ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية
فى جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو
لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر
المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف فى
بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل ذلك
الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم فى
القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب
ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التى
يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد
ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولى ولا واق ينصرك
ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى
دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية نساء واولادا كما هى لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن فى
وسعه ان يأتى باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه
الملى بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما تقتضيه
استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما
تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها

وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحسن في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي

ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وقرئ ومن عنده علم على الحرف البناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او والله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين

يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويُصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا انكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذروهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر

معجزاته

معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدرا ومفعول تاذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان

الله لغنى عن شكركم حميد مستحق للحمد فى ذاته محمود تحمده الملائكة وينطق
بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد
الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود من كلام موسى وكلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض
والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون
جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم فعضوها غيظا مما جاءت
به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه
او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او
اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب
لهم سواه او ردوها فى افواه الانبياء يمنعوهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون
تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم وما
اوحى اليهم من الحكم والشرائع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم
ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا
لفى شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع
فى الريبة او ذى ريبة وهى قلق النفس وان لا تطمئن الى الشىء قالت رسلهم
افى الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه
لا فى الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر
السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى
الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم اى يدعوكم الى المغفرة كقوله دعوته لينصرنى
على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم
وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جىء بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين
فى جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب

الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة
والتجنب عن المعاصى ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى
اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر
رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه
الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية
او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج
واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم فى الجنس وجعلوا
الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنته عليهم وفيه دليل على ان النبوة
عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا ان نأتيكم
بسلطان الا باذن الله اى ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا
حتى نأتى بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبى بنوع من الايات
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه بالصبر على معاندتكم ومعاداتكم
عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا انفسهم قصدا اوليا الا ترى
قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله اى اى عذر لنا فى ان لا نتوكل وقد هدانا
سبلنا التى بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف
ههنا وفى العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا
به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل
المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا حلفوا
ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل وعودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة
لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ومن آمن معه

فتغلبوا الجماعات على الواحد فاوحى اليهم ربهم الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول واجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اى ارضهم وديارهم لقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المومنين لمن خاف مقامى موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اى وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار واستفتحوا سالوا الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم كلهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اى ففتح لهم فافلح المومنون وخاب كل متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح اذ معنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلتين كان اوقع من ورائه جهنم اى من بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير فى يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اى اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجليه وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس

وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهى على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح فى يوم عاصف العصوف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شئ لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبى والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يومن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اى يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله

فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد ضعاف الراى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشيء الذى هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اى بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون قوله سواء علينا كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضى الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الموعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لى عليكم من

سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم بتسويل وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى اسرعتم اجابتى فلا تلومونى بوسوستى فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم احتج المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله بمعنى وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخى بمغيثى وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة انى كفرت بما اشركتمونى من قبل ما مصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون لهم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة

كشجرة طيبة اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت فى الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ تؤتى اكلها تعطى ثمرها كل حين وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك والدعا الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم فى الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفى الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة وروى انه عم ذكر قبض روح المومن فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك

قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم
تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا
نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروا سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر
بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم
ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر فصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر
وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة
فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين
شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان
لها يصلونها حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها
او مفسر لفعل ناصب لجهنم وبئس القرار اى وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا
ليضلوا عن سبيله الذى هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب
بفتح الياء والضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته
جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات
التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه
الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم
الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من آمر مطاع قل لعبادي
الذين امنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق
العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اى قل لعبادي الذين امنوا
اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا
بانهم لفرط مطاوعتهم للرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب

الموجب له ويجوز له ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك هٰهنا
ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه
وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة
ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل
واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال
اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب
واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع ما يتدارك به تقصيره
او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليلك او من قبل ان يأتي
يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض
مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون
به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال
منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر
لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيته الى
حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير
هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان
في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار
يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه
يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل
المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسئل
وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول
وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال
ويجوز ان تكون ما نافية في موقع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان

تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولا تطيقوا عدّ انواعها فضلا عن افرادها فانها
غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان
كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن
لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة
الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني
بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما
على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء
بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم
ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة
يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا
فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة
واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية
كقوله تع وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي هو بعضي
لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان
تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله
ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت
من ذريتي اي بعض ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان
اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية
لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل
معظما ممتنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي
عتيقا اي اعتق منه بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان

او ما سيول اليه روى ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام
فولدت منه اسمعيل فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما
الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا
على الماء فقصدوه فراوا عندهما عينا فقالوا اشركينا في مائك نشركك في
البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت
اى ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة
عند بيتك المحرم وتكرير الندا وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة من اسكانهم
ثمة والمقصود من الدعا توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم
باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله ان يوفقهم لها فاجعل
افئدة من الناس اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل
لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم وحجت اليهود والنصارى
او للابتدا كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناس وقرى آفدة وهو يحتمل ان
يكون مقلوبا افئدة كآدر فى ادؤر وان يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة
اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه
فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا ووِدادا
وقرى تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا
احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم
واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والخريفية فى يوم
واحد ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علانيتنا والمعنى
انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب
لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك
وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير

الندا المبالغة فى التضرع واللجا الى الله تعالى وما يخفى على الله من شىء فى
الارض ولا فى السماء لانه العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن
للاستغراق الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اى وهب لى وانا كبير آيس عن
الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الآية اسمعيل
واسحق روى انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة
سنة ان ربى لسميع الدعاء اى لمجيبه هو من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به
وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله
على اسناد السماع الى دعا الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه
الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها
رب اجعلنى مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتى عطف على
المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى او استقراء عادته
فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائى
او وتقبل عبادتى ربنا اغفر لى ولوالدى وقرى لابوى وقد تقدم عذره
استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله
قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله
والمراد به تثبيته على ما عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه
خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته
جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما
يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اى تشخص فيه ابصارهم فلا تقر فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين
الى الداعى او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو
الاقبال على الشىء مقنعى رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل تبقى

عيونهم شاخصة لا تطرف ولا يرجع اليهم فينظرون الى انفسهم وافئدتهم هواء
خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان
قلبه هواء اى لا راى فيه ولا قوة قال زهير رح من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية
عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى يوم القيمة
او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا
بالتكذيب والشرك ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى
الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن
بك ونجب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى
الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم
من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة
دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم
اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل
اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزولون عن تلك
الحالة الى حالة اخرى كقوله تع واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من
من يموت وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى كعاد
وثمود واصل سكن ان يعدى بفى كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء
فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون فى
منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم
الامثال من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب
او صفات ما فعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم
وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند
الله مكرهم ومكتوب عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما
يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم فى العظم والشدة

لتزول

لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة
لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه
وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرايعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع
على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب
على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف
رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله
ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله
عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم
تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر
باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما
بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات
والتبديل يكون في الذات كقولك ابدلت الدراهم بالدنانير وعليه بدلناهم جلودا
غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه
قوله تع يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملها وعن علي رضي الله عنه تبدل
ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على
ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير
صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عم قال تبدل الارض غير الارض
فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم
على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد
على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله ان كتاب
الابرار لفي عليين وقوله تع ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم

لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على
ان الامر في غاية الصعوبة كقوله تع لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان
الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار
وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في
العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت وقرنوا مع الشيطان او في
مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم
وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته
ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد
القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل ٭ وزيد الخيل قد لاقا صفادا ٭ يعض
بساعد وبعظم ساق ٭ واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران جمع
قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنا به الابل الجربى فيحرق
الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار
حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن
ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات
الردية والهيات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب
قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية
او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا
بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما
تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله تع افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله تع يوم يسحبون في النار على وجوههم
ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة
ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون

لاجرامهم

لاجرامهم علما ان المطيعين يثابون بطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا به انزل او تلى وقرى بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلث فوايد هى الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال لهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفايزين بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة الى ايات السورة والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اى ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغى بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرى ربما بالفتح والتخفيف وفيها لغات اخر وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضى في تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف

وهم يودون كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان كانت منهم افاقة فى بعض
الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله
ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم
توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون
سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه
بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بالاطايل تحته وفيه الزاجر
للنجحة وتحذير عن ايثار التنعم وما يودى اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة وا
صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت
صورتها صورة الحال دخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق
من امة اجلها وما يستاخرون اى وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة
فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر نادوا به النبى صلى الله
عليه وسلم على التهكم الا يرى الى ما نادوا له وهو قوله انك لمجنون ونظير
ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول
قول المجانين حين تدعى ان الله نزل عليك الذكر اى القرآن لوما تاتينا ركب
لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة
ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذ
او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين
فى دعوتك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائى
وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرى تنزل
بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى قدره واقتضته
حكمته ولا حكمة فى ان يأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا فى
معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان

وقيل الحق الوحى او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء الشرط
مقدر اى لو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم
واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من التحريف
والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر لا يخفى تغيير نظمه
على اهل الدين او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ كما نفى ان يطعن
فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من
قبلك فى شيع الاولين ~~اتباع~~ فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق
ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى
نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وما
للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وعلى هذا حكاية
الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله فى قلوب المجرمين والسلك ادخال الشئ
فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل
على انه تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله لا يؤمنون
به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب
المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج
ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون
الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى
الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك
الكفر فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ٥
ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين او تصعد الملائكة
وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق انما سكرت

ابصارنا سُدّت عن الابصار بالسحر من السَّكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حُيّرت من السُّكر ويدل عليه قراءة من قرأ سَكِرت **بل نحن قوم مسحورون** قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خُيّل ما خُيّل اليهم بنوع من السحر **ولقد جعلنا في السماء بروجا** اثني عشر مختلفة الهيات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء **وزيناها** بالاشكال والهيات البهية **للناظرين** للمعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها **وحفظناها من كل شيطان رجيم** فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها **الا من استرق السمع** بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شُبّه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات والارض لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رض انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيها تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب أخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع **فاتبعه** فتبعه ولحقه **شهاب مبين** ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق **والارض مددناها** بسطناها **والقينا فيها رواسي** جبالا ثوابت **وانبتنا فيها** في الارض وفيها وفي الجبال **من كل شيء موزون** مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة **وجعلنا لكم فيها معايش** تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل **ومن لستم له برازقين** عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقكم

واياهم وقد ذكرنا الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية و الامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ٥ ومختبط مما تطيح الطوائح ٥ وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ٥ ونحن الوارثون اي الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان

لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل
رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل
ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه فتقدم بعض القوم لئلا
ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء
وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق
الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء
تدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم
وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس يصلصل
اي يصوت اذا نقر وقيل من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حما طين تغير
واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حما مسنون مصور
من سنة الوجه او مصبوب متصور كالجواهر المذابة يصب في القوالب من السن
وهو الصب كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر
صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن
من سننت الحجر بالحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى
سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من
الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس
باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلقها في الاجرام
المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها
من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم
من تراب ومساق الاية كما هي للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين
فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول
المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق

بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ
الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل
النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف
المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف
الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه
لما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد
الملائكة كلهم اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص
وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة
وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا الا ابليس ان جعل
منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان
جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس
ما لك ان لا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم اكن
لاسجد لبشر جسماني كثيف واللام لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي
ان اسجد وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حما مسنون وهو
اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع
والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها اي من
السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة
فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب
عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى
امد اللعن لانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله تعالى فاذن مؤذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر وينسى عنده هذه وقيل انما
حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس ولانه يعذب فيه بما ينسي اللعن معه
فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه

فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة
عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله وهو النفخة
الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف
العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا ~~بيوم الجزاء لما عرفت ثانيا~~
بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف
واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك
ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة
وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة
والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن
لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا
التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى
خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي والتسبب له
بامره اياه بالسجود لآدم عم او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال
الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني آدم بان
الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار
امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب
وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين
على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم
من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر
في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان
اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو
تخليص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى

الوصول اليّ من غير اعوجاج واضلال وقرئ عليّ من علو الشرف ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما
استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم
وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على
من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما
كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء
منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي
لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين
او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا
على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة
ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة
وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد
لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية
والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم
افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين
وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي
ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجري الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او
من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها
ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات
وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام

وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها
على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا تكسر التنوين
بسلام سالمين او مسلمًا عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الذ
بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل
وحقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من
الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل
فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين
لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين او يكون متقابلين حالا من
من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استينافا او حال بعد حال
او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة
ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد
بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته
بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم
عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه
فقالوا سلامًا اي نسلم عليك سلامًا او سلمنا سلامًا قال انا منكم
وجلون خائفون وذلك انهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولانهم امتنعوا
من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ
لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك
استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة
نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ
قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار

لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون اي فبأي اعجوبة تبشرون
او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عليه بشارة بغير شيء
وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون
الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين
ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا
محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره
فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا
من غير الابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه
الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه
وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو
والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم
ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم
ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد
ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال
لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا
اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا
والقوم والارسال شاملين للمجرمين ولآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا
ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط
ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استيناف
اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا
جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول

لايكون الامن ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا
وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة
لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق
والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا
أجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار
غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص
فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر
مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك
بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي
توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون
فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل
الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل
وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع
ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت
منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات
ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي
اليه وهو الشام او مصر فعدي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف
على الاتساع وقضينا اليه اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر
مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم الامر
وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستاصلون عن آخرهم
حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير
في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء

اهل المدينة سدوم يستبشرون باضيافه فلوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه
واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي
وهو الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن
العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد
وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي
يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود ان
كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو
لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم
انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين
خطاهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك
وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة
وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها
عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد
بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين
المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها
وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان
في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين
هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فاهلكوا
بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني
سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما

منبهًا على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم يوتم به فسمى به الطريق ومطمر البنا واللوح لانها مما يوتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المومنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يعنى ايات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هولاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل فلا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينهم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للكثير والقليل والخلاق يختص بالكثير ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن

على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الايات والسور فمن عطف الكل على البعض والعام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الاخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه صلعم وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يومنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمومنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تومنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين تقاسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عم وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلعم وقوله لا تمدن الخ اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع

عضة واصله عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته
اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة
وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه
والموصول بصلته صفة للمقتسمين **فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون**
من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر
والمعاصي **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فرق
بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع
محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع **واعرض عن المشركين** ولا تلتفت الى ما يقولون
انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش
الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن عبد المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال
جبريل عليه السلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم
فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص
فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف الحارث
ابن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة
فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن
المطلب فعمي **الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون** عاقبة امرهم في
الدارين **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** من الشرك والطعن في القرآن
والاستهزاء بك **فسبح بحمد ربك** فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك
ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق **وكن من
الساجدين** من المصلين وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع
الى الصلاة **واعبد ربك حتى ياتيك اليقين** اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي
مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار
والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم من قيام الساعة او هلاك
الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام
تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق
من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خلاص لكم عنه **سبحانه وتعالى
عما يشركون** تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون على تلوين الخطاب او
على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي
ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه **ينزل الملائكة بالروح** بالوحي او القرآن
فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره
عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه
وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل
وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني
للمفعول من التنزيل **من امره** بامره او من اجله **على من يشاء من عباده ان** يتخذه
رسولا **ان انذروا** بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته **انه لا اله الا
انا فاتقون** ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه
لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة
لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح
او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي
بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة

العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطا
والايات التى بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه هو الموجد
لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على
ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل
واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون
منها او مما يفتقر فى وجوده وبقائه اليها ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل
على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لاحس لها ولا حراك
سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة
او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف
اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله يحيى هذا بعد
بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره
خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل
له فيها دفء ما يدفأ به فيقى البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما
عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم
والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى ولان الاكل منها
هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى
سبيل التداوى والتفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من
مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الال
تتزين بها فى الوقتين ويجل اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال
فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لا
وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اى لم تكن فضلا
ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ

بالفتح

بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور
بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم
وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة
اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم
لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب
واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة
لتركبوها او مصدرا فى موضع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل
به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا
يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان
الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التى يحتاج
اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا
بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر
على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق
السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا
محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده
السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال
ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله
ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد
والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين
اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء
هو الذى انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب
ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها
يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه

ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه
المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها
اللحم الضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية او اسامها صاحبها واصلها
السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر
بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض
كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل
منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح
بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع
وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق
اعلاها ويخرج منها ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو
ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام
مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات
الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد
والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال
كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف يشاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او
لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب
واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة
على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا
للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرا حفص والنجوم مسخرات
على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من
الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات

وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات
مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي
سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص
لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم يسرع اليه
الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق
وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه
بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى
سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية
تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي يلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم
ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه
بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله
من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون
بحقها ولعل تخصيصه بتعقيبه الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث
انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا
رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق
فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة
كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت
جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل
لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت
وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا
لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل بها السابلة
من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار

والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل
الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري
الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن
الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هو لاخصوصا
يهتدون بالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا
يخلق انكار بعد اقامة الدلايل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد
بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على شيء
من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس
تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العاجزة شبيها بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام
واجراؤها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة
بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم
فكيف بمن لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل
للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام
الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراء ما عدد نعم لا تنحصر
وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء
شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك
باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اي والالهة الذين تعبدونهم من دونه
وقرا ابو بكر يدعون بالياء وقرا حفص ثلثتها بالتاء لا يخلقون شيئا لما نفى
المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا تخلق شيئا لينتج انهم لا يشاركونه
ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها

ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات
هم اموات لا يعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول
كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان
يبعثون وهم لا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت
جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب
وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد
اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان
المؤمن بها يكون طالبا للدلايل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله
بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف
فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله
والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله
يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر
او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او
اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القايل بعضهم على التهكم او الوافدون
عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين
وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا
تحقيق فيه والقايلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة
رسوخهم في الضلالة ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض وزر ضلال من يضلونهم
وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلمون انهم
ضلال وفايدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا
ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد

مكر الذين من قبلهم اى سَوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم فصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاءى اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعاندون المؤمنين فى شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزى اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته ليكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرا حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمى انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى فيجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعنى المؤمنين ماذا انزل ربكم

قالوا خيرا اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة مكافاة فى الدنيا ولدار الاخرة خير اى ولثوابهم فى الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا فى الجنة كذلك يجزى الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائى بالياء او ياتى امر ربك القيامة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف وتسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا فى الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ ولا

ابآؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة
والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما
او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو
كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ
لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعد تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين
من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا
البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر في هدى من شاء الله وقوعه
انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة
الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد الله اهتداءه وزيادة لضلال من اراد الله
ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يأمر
بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم
ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على
فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله و
ارادته من جهته فسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا في
الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود
وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من
يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين
لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع
العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على
وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه
زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا
مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه

لامتناع

لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي
جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم
ان الله تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون
فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو
اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين
الحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته
لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن تكوين الاشياء
ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي
فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا
هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى
المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله
وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في
الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة
او تبوية حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما عجل لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى
رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا
وما ادخر لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله
يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين وقيل للمهاجرين
اي لو علموا ذلك لازدادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدايد
كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم
يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي

جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة فى ذلك قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه **فاسئلوا اهل الذكر** اهل الكتاب وعلماء الاحبار ليعلموكم **ان كنتم لا تعلمون** وفى الاية دليل على انه تع لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصور الرجال ورد بما روى انه عليه السلام راى جبريل صلوات الله عليه على صورته التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم **بالبينات والزبر** اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه جواب قايل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال من القايم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام **وانزلنا اليك الذكر** اى القران وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه **لتبين للناس ما انزل اليهم** فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه ومما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل **ولعلهم يتفكرون** وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقايق **افامن الذين مكروا السيئات** اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء والذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان **ان يخسف الله بهم الارض** كما خسف بقارون **او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط **او يأخذهم فى تقلبهم** اى متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم **فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف** على مخافة بان يهلك قوما قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شىء فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا نقصته روى ان عمر رض قال

على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقة ❊ تخوف الرحل منها تامكا قردا ❊ كما تخوف عود النبعة السفن ❊ فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم **فان ربكم لرؤف رحيم** حيث لا يعاجلكم بالعقوبة **اولم يروا الى ما خلق الله من شىء** استفهام انكار اى قد راوا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها **يتفيؤ ظلاله** اى اولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة **عن اليمين والشمايل** عن ايمانها وشمايلها اى عن جانبى كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمايل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله **سجدا لله وهم داخرون** وهما حالان من الضمير فى ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطأ راسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل ولان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمايل يمين الفلك وهو جانب الشرقى لان الكواكب تظهر منه اخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربى المقابل له فان الظلال فى اول النهار تبتدى من الشرق واقعة على الربع الغربى من الارض وعند الزوال تبتدى من الغرب واقعة على الربع الشرقى من الارض **ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض** اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل

السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء
كان في ارض وسماء والملئكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم
او عطف المجردات على الجسمانية وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان
لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها
ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله
حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون
عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافون
وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في
لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون
مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان
المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه وايماء بان الاثنينية تنافي
الالوهية كما ذكر الواحد في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات
الوحدانية دون الالهية او التنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي
فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه
قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض
خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده
والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين
الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون
ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء
اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط
باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار
بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تضرعون

الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم
اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا
جعل الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا
فريق وهم انتم ويجوز ان تكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم
كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون
اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز
ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون
اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون
فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف للعلم
نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون
من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات
كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب
منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب
بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون
ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا
بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا
من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوه
وهو كظيم مملو غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما
بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا في نفسه متفكرا في ان يتركه على هون
ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ وقرئ بالتأنيث
فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهو الحاجة الى الولد

المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية
الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق
والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض
وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم
وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وقيل
لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او
لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم
ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع
فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم
من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف
السنتهم الكذب مع ذلك هو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله تع ولئن رجعت الى
ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم
النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته
في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ
بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبايحها
وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم
حين كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او اتية ويجوز ان يكون الضمير
لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم
ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون
نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا عليك

الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال
المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين
فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض
بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون
سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم
نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير هنا ووحده
ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده
سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير
للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحد او له على المعنى فان المراد به الجنس
وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم
لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث
وهي الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس ان
البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه
مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب
صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفلها وهو الفرث ثم يمسكها ريثما
يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة
تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة الى المرتين وترفعها الى الكلية والمرارة
والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق
بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء
البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزايد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل
انصب ذلك الزايد او بعضه الى الضرع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض
فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها

ومجاديها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها في كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين اللبن الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه للتعسل بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالآلات وانظار دقيقة

ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بضم الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها كأنه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها عسلا ثم تلقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن ابن مسعود ان رجلا جاء الى النبي صلعم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرئ فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس

وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولادا او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او

حرموا

حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل عنه ولا يستطيعون ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل الكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون

فيصيفون نعمه الى غيره ويعبدون لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنايع والتدابير لنقصان عقله وهو كلّ على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله في امر وقرئ يوجّه على البناء للمفعول ويوجّه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجّه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضايل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غايب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام الساعة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلايق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلايق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء

فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرأه ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصري يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى مماتكم او الى ان تقضوا منها اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت

اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعنى الدروع والجواشن والسربال يعم كل
مايلبس كذلك كاتمام هذه النعمة التى تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم
تسلمون اى تنظرون فى نعمته فتؤمنون بها وتنقادون لحكمه وقرى تسلمون
من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب وتنظرون فيها فتسلمون
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم
يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ
وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اى يعرف
المشركون نعمة الله التى عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله
ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب
كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة و
اكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف
الحق لنقصان العقل او التفريط فى النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد
التكليف واما لانه مقام مقام الكل كما فى قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم
نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر
ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل فى الرجوع الى
الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط
الكلى على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
من العتبى وهى الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم
ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف
عنهم اى العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التى دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه •
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم ونطيعهم وهو

اعتراف

اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول
انكم لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة
وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق
الاصنام به حينئذ فانهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان
لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى والقوا والقى الذين ظلموا
الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا وضل
عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم
ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب
المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم
نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث
منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب
استيناف وحال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شىء من امور الدين على التفصيل
والاجمال بالاحالة الى السنة والقياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان
المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط
فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب
المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين
البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان
الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال
عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء
ذى القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم
للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط فى متابعة القوة الشهوانية
كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه

في اثار القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر
عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية لا يوجد من الانسان
شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث
ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع اية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام
عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان
كل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب
للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والتمييز بين الخير والشر لعلكم تذكرون
تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على الاسلام لقوله تع ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب
الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا
الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله
ومنه اكد ووكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك
البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون
في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر
بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام
واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من
غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض
بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء
تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او
في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شانها متخذي
ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان
تكون امة هي اربى من امة بان يكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة
والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش

فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما
يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر
اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله ام تغترون بكثرة قريش
وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء
وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام
ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسألن عما
كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي
عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح النهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام
بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم
واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما
صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من
نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا
تشتروا بايات الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد
انما عند الله من النصر والتنعيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم مما
يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض
الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو
تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا
اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكليف وقرأ ابن كثير وعاصم
بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات
اذ الجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا
للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما

المنوع عليها بتخفيف العقاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا
طيبا فانه اذا كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة
والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا
فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل في
الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران
اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فسل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه
للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على
شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان
بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرات على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ
انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون
وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر
السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه
على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان
مشركون واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة مكان
المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة
في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان
فيثبته مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما
انت مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا
والله اعلم بما ينزل وهو اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد

سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون
الخطا من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس
وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل
ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي التبديل من
ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه فانهم
اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم
واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان
على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك
لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
يعنون جبر الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان
السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل كان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه
وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل
سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون
قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسائي يلحدون
بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير عربي بين وهذا وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل في
احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه
بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه
لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار
المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها
الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام
سوقي سمع منه بعض اوقات مرورهم عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم
في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون

بايات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق والى سبيل النجاة
وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط
شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفترى الكذب الذين لا
يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى
الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب
او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه
بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض
او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب
ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره
على الافتراء وكلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد
كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان
هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه وروى ان
قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين
ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر
وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا
رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط
الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله
يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم
بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما
روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر فما تقول في محمد قال رسول الله

قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع
بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين
اى الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتأمل
فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة
عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها
فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
اى عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر
فتنوا بالفتح اى من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم
اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان
ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم
عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر
تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول
نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم
وضرب الله مثلا قرية اى جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة
فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف
يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم
الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم
واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليها بالنظر الى المستعار له كقول
كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ¤ غلقت لضحكته رقاب المال ¤ فانه استعار الرداء

للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الردا لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى
هو وصف المعروف والنوال لا وصف الردا نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار
كقوله ❊ ينازعنى ردائى عبد عمرو ❊ رويدك يا اخا عمرو بن بكر ❊ لى الشطر الذى ملكت
يمينى ❊ ودونك فاعتجر منه بشطر ❊ استعار الردا السيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى
المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعنى محمدا
صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم
من الجدب الشديد ووقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا
نعمة الله امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر
وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع
الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم
انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور
رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم
اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
الاية وسياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس
الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا
تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه ومتعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا
الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا
والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير
دليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب مبالغة

كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك
عد من فصيح الكلام كقولهم ❊ وجهها يصف الجمال ❊ وعينها تصف السحر ❊ وقرى الكذب
بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب وكذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على
الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب
نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة
قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم فى الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا
ما قصصنا عليك اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى
ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم
فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى
العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافترا على الله وغيره ثم تابوا من بعد
ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء
رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضايل لا تكاد
توجد الا مفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله ❊ ليس من الله بمستنكر ❊ ان يجمع
العالم فى واحد ❊ وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل
فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره
بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله
او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه
للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا لله
مطيعا قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين

كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم **شاكرا لانعمه** ذكر بلفظ

القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة **اجتباه**

للنبوة **وهداه الى صراط مستقيم** فى الدعوة الى الله **واتيناه فى الدنيا حسنة**

بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا

طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة **وانه فى الاخرة لمن الصالحين** لمن اهل

الجنة كما ساله بقوله والحقنى بالصالحين **ثم اوحينا اليك** يا محمد وثم اما

لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول عم ملته اولتراخى

ايامه **ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا** فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد

الدلايل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد بحسب فهمه **وما كان من المشركين**

بل كان قدوة الموحدين **انما جعل السبت** تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة

على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عم ان يتفرغوا

للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تع فرغ فيه من خلق السموات

والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال

السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى

واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله

وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف

او بمجازاة كل فريق بما يستحقه **ادع** من بعثت اليهم **الى سبيل ربك** الى الاسلام

بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة **والموعظة**

الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين

للحقايق والثانية لدعوة عوامهم **وجادلهم** وجادل معانديهم **بالتى هى احسن**

بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات

التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم **ان ربك هو اعلم**

بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى انما عليك البلاغ والدعوة واما

حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين

وهو المجازى لهم **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** لما امره بالدعوة وبين

طرقها اشار اليه والى من تابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان

الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح

فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما راى حمزة

وقد مثل به فقال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت

فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس ان يجاوز وحث

على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله **ولئن صبرتم لهو** اى الصبر **خير للصابرين** من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر

بقوله **واصبر وما صبرك الا بالله** الا بتوفيقه وتثبيته **ولا تحزن عليهم**

على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم **ولا تك فى ضيق مما يمكرون** فى

ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير فى ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز

ان يكون الضيق تخفيف ضيق **ان الله مع الذين اتقوا** المعاصى **والذين هم**

محسنون فى اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا بتعظيم امره والذين

هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل

لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلة

كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية ٥ ٥

سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى اخر ثمان ايات وهى مائة وعشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذى اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو

التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت

لما جاءنى فخره ٭ سبحان من علقمة الفاخر ٭ وانتصابه بفعل متروك اظهاره

وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا

نصب على الظرف وفائدة الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ
من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روى انه عم
قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتانى
جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به
ليطابق المبدأ المنتهى لما روى انه كان نائما فى بيت ام هانى بعد صلوة العشاء فاسرى
به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى النبيون فصليت بهم ثم خرج
الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال
الى ابى بكر فقالوا ان تصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق
واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا
اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال
تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا
العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة
واختلف فى انه كان فى المنام او فى اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى
بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السماء حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب
قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس
ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل
موضع طرفها الاعلى فى اقل من آن ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية
فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة
فى بدن النبى صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى
بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله ببركات الدين والدنيا
لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى عم ومحفوف بالانهار والاشجار
لنريه من آياتنا كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل
الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك

البركات

البركات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد عم البصير بافعاله فيكرمه
ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل
ان لا تتخذوا على اى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء
على ان لا يتخذوا من دونى وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيرى ذرية من حملنا
مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد
مفعولى لا تتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا وذرية
بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح
فى السفينة انه اى نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع حالاته
وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به
وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بنى اسرائيل واوحينا اليهم وحيا
مقضيا مبتوتا فى الكتاب فى التورية لتفسدن فى الارض جواب قسم محذوف
او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولهما
مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل
عيسى عم ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن
الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا
بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنحاريب
من اهل نينوى اولى بأس شديد ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد فجاسوا
ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة
فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما
منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان
وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة
اى الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك ان الق فى قلب

بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن بهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وبان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم اى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للبعث او الوعد او لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء المخففة والثقيلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوايف اسمه جودرز وقيل خردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقى منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا فى الدنيا وجعلنا جهنم يومئذ للكافرين حصيرا

محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدعو الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عم دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فاجيب له فضربت عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار ايتين يدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا اية الليل اى الاية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الايتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوى ايتين ومحونا اية الليل التى هى القمر جعلناها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل اية النهار التى هى الشمس مبصرة وجعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوءها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا فى بياض

النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطاير وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطاير ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتا للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما تتولاه الرجال وعلى تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على

ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقوله امرته فقرأ فانه لا يفهم منها الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز عن الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع في الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امروا به والانتهاء عما نهوا لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن

ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاث
كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة
كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى
ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك
من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا
من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب
كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في
الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع
الله الها آخر الخطاب للرسول عم والمراد منه امته او لكل احد فتقعد فتصير
من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز
عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان
من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا
بأن لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية
الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين
احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود
والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما
يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا
ولذلك صح لحوق النون المؤكدة على الفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة
حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا
او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك
فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت
يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو أتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين
وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على

التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك
يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا
يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل
ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما
ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما
بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح
الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة
ريح قد كشفت وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • اثبت للشمال يدا وللقرة
زماما مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته
الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك
الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من
فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما
وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين
لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما
لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما
كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم
اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه
تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح
فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية
او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه
الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من
صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر اليهم وقال ابو حنيفة رح حقهم اذا كانوا محاويج

فقرا ان يتفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عم والمسكين
وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف
واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضا
ما هذا السرف فقال أفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم
واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون
الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك
وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر
فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن وان اعرضت عن ذي القربى والمساكين
وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل
الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق الله تع ترجوه ان ياتيك
فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك
فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو
قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك
عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل
القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله
واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان
لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم
فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير
محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه
وعن جابر رض بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ اتاه صبي فقال
ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت
له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه

وقد

وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا الصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيته التابعة
للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا
بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد
ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر واما العباد فعليهم
ان يقتصدوا او انه تع يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا
كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر
فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم
كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ
الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرا ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ لما يضاد
الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرا ابن كثير خطاء وهو وان
لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله ه تخاطاه القناص حتى وجدته ٠ وخرطومه
منقع الماء راسب ٠ وهو مبني عليه وقرئ خطأ بالفتح والمد وخطا بحذف
الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم واتيان المقدمات فضلا
ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا
وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج
الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان
وزنا بعد احصان وقتل معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل
فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا
بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما
يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل
في القتل بان يقتل من لا يحق عليه قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه

بالهلاك او الولى بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابى فلا تسرفوا وقرا
حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة للنهى على الاستيناف
والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الاخرة
بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته
واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف
ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتى هى احسن الا بالطريقة
التى هى احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء
واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه عليه ان العهد
كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفى به او مسئولا عنه يسال
الناكث ويعاتب عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باى ذنب
قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل
اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو
رومى عرب ولا يقدح ذلك فى عربية القران لان العجمى اذا استعملته العرب واجرته
مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائى
وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا
رجع ولا تقف ولا تتبع وقرى ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة
ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع
اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد
وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله
فى ردغة الخبال حتى ياتى بالمخرج وقول الكميت ولا اقفوا البرى بغير ذنب ولا
اقفوا الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اى كل هذه الاعضاء
فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء

وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله
والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا فى ثلثتها ضمير كل اى كان كل واحد
منها مسئولا عن نفسه بمعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه للمصدر
لا تقف ولصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسندا الى عنه كقوله غير المغضوب
عليهم والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم
وفيه دليل على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية وقرى والفواد بقلب الهمزة واوا
بعد الضمة وابدالها بالفتح ولا تمش فى الارض مرحا اى ذا مرح وهو الاختيال
وقرى مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك
لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا لشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا
بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود
بجدوى ليس فى التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة
من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فعن ابن عباس رض انها المكتوبة فى الواح موسى عم
كان سيئه يعنى المنهى عنه فان المذكور مامورات ومناهى وقرا الحجازيان
والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهى عنه
خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على
المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرى به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى
كان او فى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد
لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تع ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة
مما اوحى اليك ربك من الحكمة التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله
الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل
عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليها
اولا ما هو عاقبة الشرك فى الدنيا وثانيا ما هو نتيجته فى العقبى فقال فتلقى
فى جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم

بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم
بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف
عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة
بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون
ثم تجعلون الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا
المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن
ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف
فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرا حمزة والكسائي ليذكروا
من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه
قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما
بعده على ان الكلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابو
عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله عليه وسلم
ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم اذا لابتغوا الى ذي
العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك
سبيلا بالمغازة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة
لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد
عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ
الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم
بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين

اللفظ

اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما
عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح
بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب
منكم واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا
مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله تعالى وعده ماتيا
وقولهم سيل مفعم اي ممتلئ او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفقهون ولا يفهمون
نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة
في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان
القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك
اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر
وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا
هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود
نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون
اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين
هم يستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر
ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع المضمر للدلالة
على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر
وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال
مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك

فلا يستطيعون سبيلا الى الطعن موجه فيها فنون ويخبطون كالمتحير في امره لا
يدرى ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الميت الرميم من
المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان
لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا
مما يكبر في صدوركم اى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان
قدرته لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم
عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه
مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما
هو ابعد منه من الحياة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا
واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان ما هو آت قريب
وانتصابه على الخبر او الظرف اى يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره
والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما
الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسير امرهما فان المقصود منهما الاحضار
للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اى حامدين لله على كمال قدرته قيل انهم لينفضون
التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين للبعثة انقياد الحامدين
عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا تستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي
مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعنى المؤمنين يقولوا
التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ
بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه
الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام

امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم
على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال روى
ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل
شتم عمر رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض
وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون
يتيم ابي طالب نبيا وان تكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض بالفضائل النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال و
الاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتي له من الملك وقيل
هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله واتينا داود زبورا
تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الز
بور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هنا وتعريفه في قوله ولقد
كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة
بالضم وهو كالعباس والفضل ولان المراد وآتينا داود بعض الزبور او بعضا من
الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه
كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض
والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم
اقرب بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف
الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة
ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت او الاستيصال او معذبوها
عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها

قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيبا ولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة بسوالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصاير او جاعلتهم ذوى بصاير وقرى بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او ظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالايات اى بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القرآن الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعث اليهم موخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش يعني اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حتى راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا راها في وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روى انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجرة ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في

اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشياطين وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اى لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاومهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولته له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخفف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا

لتسلط على من يغويه بمغوا بصوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم
حتى استاصلهم وقرا حفص رجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندِس وندُس
ومعناه وجمعك الرَّجِل وقرئ رِجالك ورُجّالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها و
جمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى
الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل على الاديان
الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة
الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا
غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان
عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين
يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون
به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك
في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم
رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر عليكم من اسبابه
واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل
من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم ح لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون
لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق
الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة
عطاء فتى تمكن في المعالي واعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا
كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء فيه للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر
بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر
ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة وقرا ابن كثير وابو عمرو
بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الى

الساحل

الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه
من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا
تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم
فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم
قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على
اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا
لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن
الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة
والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من
الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع
الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان
يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر
على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم
تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات من المستلذات مما
يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة و
الاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم
من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير
بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون
وقرئ يدعوا ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو او على ان
الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون
محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى
كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم
التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الا

وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف
والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عم واظهار شرف الحسن والحسين رض وان لا يفتضح اولاد
الزنا فمن اوتى من المدعوين كتابه بيمينه اى كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم
ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ
وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب
باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة
ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان فى هذه
اعمى فهو فى الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان
فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل
سبيلا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء
بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه
كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت
الفه فى حكم المتوسطة كما فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا
وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد امالهما حمزة
والكسائى وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى امرك
حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا
وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان
تحرم وادينا كما حرمت وادى مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى بذلك
اسم واد بهم وج بفتح الواو وتشديد الجيم فى القاموس هو واد بالطائف
وقيل فى قريش لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا فتمسها بيدك وان هى
المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى
الفتنة بالاستنزال عن الذى اوحينا اليك من الاحكام لتفترى علينا غيره غير
ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم
بريا من ولايتى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا

قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة
خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا
عن ان تركن اليه وهو تصريح فى انه عم ما هم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل
على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اى لو قاربت لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به فى الدارين بمثل
هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا فى الحياة
وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد
بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا
نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
اى ويرفعه فاكتفى بالدفع لانه اسهل من الرفع ه سح
بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت
لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا
ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بالشام حتى نؤمن بك
فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنو
النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان
كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على
ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه
قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد
ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك
كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافها الى الرسل لانها
من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اى تغييرا اقم الصلاة لدلوك
الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عم اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى

بى الظهر وقبل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدلالة
لا يستعرين وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل
الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت
مثلها فى لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخرة
وقران الفجر صلاة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل
به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها
نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى
غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو اخ الموت بالانتباه
او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس
ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة
صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه
واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل
فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران نافلة لك فريضة زايدة لك على
الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القايم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام
يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رض انه عليه السلام قال
هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره ان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك
الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما او
بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلنى اى
فى القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجنى اى منه عند البعث مخرج صدق
اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله
مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء

الرسالة

الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل ما يلابسه من مكان او
امر واخراجه منه وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقرى مدخل ومخرج
بالفتح على معنى ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا واجعل لى من لدنك
سلطانا نصيرا حجة تنصرنى على من خالفنى وملكا ينصر الاسلام على الكفر
فاستجاب له بقوله فان الله حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله
ليستخلفنهم فى الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك
الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت
وعن ابن مسعود رض انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون
صنما فجعل ينكت بمخصرة فى عين واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل
فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر
فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فانكسر وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى
للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفى من
المرض كالفاتحة وايات الشفاء وقرى البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين
الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة
اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد
بالامر ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرا ابن
عامر وناء على القلب وعلى انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض وفقر كان
يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته
التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال وجوهر روحه واحواله التابعة لمزاج
بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت
الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذى يحيى به بدن
الانسان ويدبره قل الروح من امر ربى من الابداعيات الكائنة بكن من غير

مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال
من قدمه وحدوثه وقيل مما استاثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه
عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس
بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح
وهو مبهم فى التورية وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن
ومن امر ربى معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بطرق
حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو فى الضروريات المستفادة
من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء
لا يدركها الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن
ادراك ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على ذلك الجواب كما
اقتصر موسى فى جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عم لما قال
لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب قال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب
شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا
فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام الآية وما قالوه لسوء فهمهم لان
الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ينتظم
به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله تعالى التى لا نهاية لها قليل
ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذى
اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النايب مناب جزاء
الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور ثم لا تجد
لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة
من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة
فى تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتب عليه وابقائه فى

حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن فى البلاغة
وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق
وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هى كان جوابا للشرط بلا جزم لكون الشرط
ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غايب مالى ولا حرم ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة
لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسايط فى اتيانه ويجوز ان
تكون الآية تقريرا لقوله لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة
زيادة فى التقرير والبيان للناس فى هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل
فى غرابته ووقوعه موقعا فى الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما
جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفى وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن
وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض مكة
والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر
او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون بستان يشتمل
على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا من السماء يعنون قوله تعالى او
نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو
عمرو وحمزة ويعقوب والكسائى فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر الا فى
هذه السورة وابو بكر ونافع وغيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من
المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتى بالله والملائكة قبيلا
كفيلا بما تدعيه اى شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر
وهو حال من الله وحال من الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله
فانى وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من
زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى فى السماء فى معارجها ولن

نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان
ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة
وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا
كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم
ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب
المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو
فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان
بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى
لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل
جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين
ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي
منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط
بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا
به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول
اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم
وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة
منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن
يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان
يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما
يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات
والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من

الموقف الى النار مؤف القوى والحواس مأويهم جهنم كلما خبت سكن لهيبها بان
اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة
مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جازاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة
والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما
ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم
يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم
فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا
لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل
يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز
والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق
اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذا
بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب منهم وكان الانسان قتورا
بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل
الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا
سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء
الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود
ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يديه ورجليه فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام
العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها
في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستأنف

زايد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم
فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا
او سال على هذه القراءة او فسئل يا محمد بني اسرائيل عما جرى من موسى وفرعون اذ
جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى
بما اقترحوه لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
توجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك
على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك
يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم
على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصائر
بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا
مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا
قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم
حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة
واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم
من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن
معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون
او اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء
وعد الاخرة الكرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم
لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف
الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا
بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه
من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من

تخليط

تخليط الشياطين ولعله اراد نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك
الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار
وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار
كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين
سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا
فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين
اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم
العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا
من الميز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز
ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة
ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا
يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة
محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان
ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة
ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر
عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله
وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور
ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او
ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله
يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
بانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو

للذات الذي هو المعبود وعلى انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود
وهو اجود لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية
وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض
عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان
التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها
على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين
فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك
من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد
في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم
حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل
معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا
بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به
ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه
اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي
يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه
ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه
على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتمجيد ينبغي ان يعترف
بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عم كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب
علمه هذه الآية وعنه عم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين
كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية